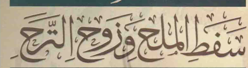
مخطوط



سفط الملح وزوح الترح

تأليف

سعد الله بن نصر بن سعيد بن علي بن الدجاجي

ويليه

الأخبار في آداب النوم

تحقيق الدكتور

خالد أحمد الملا السويدي

كتاب

سفط الملح وزوح الترح

تأليف

سعد الله بن نصر بن سعيد بن علي بن الدجاجي

ويليه

الأخبار في آداب النوم

تحقيق الدكتور

خالد أحمد الملا السويدي



مؤسسة بين النهرين
للإنتاج الفني والثقافي



الطبعة الأولى
١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

الناشر: مؤسسة بين النهرين للإنتاج الفني والثقافي
سورية - دمشق - كوين سنتر
هاتف: ٠٠٩٦٣ ١١ ٦٦٦٣٣٣٥
فاكس: ٠٠٩٦٣ ١١ ٦٦٣٩٨٧٥١
بريد إلكتروني: rafiden@mesopotamya.com
beth-nahrin@mail.sy
موقع الانترنيت: www.mesoptamya.com



فريندس غروب للتنضيد والإخراج الفني
Damascus - Syria - TelFax: +963 11 2237411 Mob: +963 94 567114

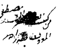
كتاب سقط الملح ونزوح الترح للشيخ
الامام العالم الفاضل مهذب
الدين جمال الاسلام ابو الحسن
سعد الله بن نصر بن سعيد
بن علي بن الدجاجي
رحمة الله عليه
عنه
م

ويليه الاخبار في اداب النوم

من كتب العبد ... الشيخ
السيد ... المعروف
ببطه زاده

من نعم المولى الباري
على عبده يوسف الجمالي
عفي عنه في ١٠٧٩
شهر ... الشيخ البكري
الصحاف
م

ولما سك الزمان بضر عظمت نحوه الخطوب
وانت بعده مصاب اخرى سامت نفسك الحزن
فانظر وابتد بلوغ الاماني فالبلايا اذا توالت



قال السيد في جواب الشيخ سعد الدين
مفرد
ولست جديرا ان تكون مقدما
وما انت الا ضفدع مقدم

فقال السعد
ايا جاهلا جعلت الكلم مركبا
فزده نقطا وعليه اركبا

عن عائشة رضي الله عنها قالت اجتمعت اربعة نساء من العرب فتعاهدن وتعاقدن
ان لا يكتمن من اخبار ازواجهن شيا، فقالت الاولى زوجي لحم جمل غث على راس جبل
وعر لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل وقالت الثانية زوجي لا ابث خبره اني اخاف
ان لا اذره ان اذكره اذكر عجره وبجره وقالت الثالثة زوجي العشنق ان نطق اطلق
وان سكت اعلق وقالت الرابعة زوجي كليل تهامة لا حر ولا قر ولا مخافة ولا سامة

وحسبنا الله ونعم الوكيل تم بحمد الله وعونه وصلواته على خير
خلقه محمد وآله وسلم في اليوم الثالث عشر شهر جمادى
الآخرة لسنة عشر ومائة [illegible] على يد افقر
عباد الله سبحانه وتعالى واحوجهم الى عفوه وغفرانه
محمد صادق بن عبد السلام بن احمد بن
محمد بن عبد الرحمن رضي الدين بن
عبد السلام الترودي غفر الله
له ولوالديه وعفى عنه
وكرمه
وحلمه
م

عن جابر رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا
الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القران يقول اذا هم
احدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم اني
استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسئلك من فضلك العظيم
فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان
كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة امري او قال في
عاجل امري واجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وان كنت تعلم ان
هذا الامر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة امري او قال وعاجل امري واجله
فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم ارضني به قال ويسمي
حاجته رواه البخاري

عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوماً
لاصحابه ايعجز احدكم ان يتخذ عند الله عهداً قلنا يا رسول الله وما
العهد قال يقول احدكم اللهم فاطر السموات والارض عالم
الغيب والشهاده الرحمن الرحيم اللهم اني اعهد اليك في هذه الحيوة
الدنيا انك انت الله لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمداً
عبدك ورسولك اللهم لا تكلني الى نفسي فاني فان نفسي تقربني
من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عندك
عهداً تؤديه الي يوم القيمه انك لا تخلف الميعاد قال فاذا قال هذا
كتب في رق ابيض ثم يطبع عليها بخاتم من مسك ثم يوضع تحت
العرش فاذا كان يوم القيمه قال الله تعالى اين الذين وفوا بالعهد
ان عبدي عهد الي في دار الدنيا واني موف بعهده ثم يغفر له بذلك
العهد وهو الغفور الرحيم نقل من مختصر
التبصره
فائده حديث عن ابن عباس ان من كان له حاجة الى الله تعالى
فليقم في موضع لا يراه احد ويتوضا وضوء سابغاً ويصلي اربع
ركعات يقرا في الاولى الفاتحه مره والاخلاص عشر مرات وفي الثانيه
الفاتحه مره والاخلاص عشرين مره وفي الثالثه الفاتحه مره
والاخلاص ثلاثين مره وفي الرابعه الفاتحه مره والاخلاص
اربعين مره فاذا فرغ من صلاته يقرا الاخلاص خمسين مره
ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم سبعين مره ويقول لا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم سبعين مره

بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون والثقة

قال الشيخ الامام العالم الحبر الورع مهذب الدين جمال الاسلام
شمس العلما ناصر السنة ناصح الامة بقية السلف شيخ العراقين ابو
الحسن سعد الله بن نصر بن سعيد بن علي بن الدجاجي الفقيه الواعظ
اطال الله عمره ورفع في الدارين قدره وامتع بحياته ونفع بكلماته
واعاد علينا من بركاته الحمد لله حمدا يبلغ منتهى رحمته ورضوانه وله
الشكر شكرا للزيادة من نعمه واحسانه وله الفضل اعترافا باياديه
وامتنانه وله الثناء تمدحا بجلاله وعظيم شانه الذي من بالعقول
لمعرفة دلايله وبرهانه ومهد الشرايع ترغيبا في طاعته وترهيبا من عصيانه
وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالدين الحنيف وتبيانه وايده بتظاهر
المعجز الخارق وسلطانه فاقام عمد الحق بتشييد اركانه ودرس معالم الضلال
بتشريك شيطانه فصلوات الله عليه وعلى آله واصحابه واعوانه
وعلى التابعين لهم باحسان في اقامة الدين واتقانه صلوة باقية الى
مدى الابد وطول زمانه اما بعد فان الله سبحانه ركب في النفوس
الملل وطبع في القلوب السامة والضجر فلا صبر لها على الفن المتحد ولا الما
على المعنى المنفرد بل وضعت على التنقل وطبعت على التقلب حتى لو اطلق
عنانها في فن من شهواتها واعرضت في اسلوب من لذاتها لمالت عنه يمينا
وشمالا وطلبت عنه نقلة وارتحالا وتقلبت من المقام فيه وتطلعت
الى سواه وارتاحت الى غيره ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السامة وقال

عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

في البداية يسعدني أنْ أتقدم بالشكر، والتقدير إلى الدكتور حاتم الضامن الأستاذ بكلية الدراسات العربية، والإسلامية بدبي، والمشرف على المخطوطات بمركز جمعة الماجد، فقد أهدى لي هذا المخطوط (سفط الملح وزوح الترح) لمؤلفه سعد الله الدجاجي، فقد قمت بتحقيق المخطوط، والذي أعتبره من نوادر المخطوطات الهامة في مجال الأدب العربي، وذلك لما يحتويه من نوادر وطرائف وملح جرت بين الخلفاء، والوزراء، والحكماء، والعلماء، كما احتوت المخطوطة على آيات من القرآن الكريم، وأحاديث رسول الله (ﷺ).

وعلى القول المأثور من الصحابة، والتابعين واحتوت على الحكمة، والعظة سواءً جاءت شعراً، أو نثراً، أو على هيئة طرفة كما وردت بعض الأحداث التاريخية منذ عهد الرسول الأكرم، أو الخلفاء الراشدين إلى أيام الدولة الأموية، أو العباسية، فقد قمت بهذا التحقيق رغم صعوبة الخط في بعض الصفحات.

مؤلف الكتاب[1]:

سعد الله بن نصر بن سعيد بن علي بن الدجاجي الشيخ الإمام العالم، الفاضل مهذّب الدين، جمال الإسلام، أبو الحسين الواعظ.

توفي سنة ٥٦٤هـ ١١٦٩هـ، أورد لَهُ الذهبي شعراً، وقد ذكر لَهُ (كتاب): (**سَفَطُ المُلَحِ وَزَوحُ التَّرَحِ**).

وكان من أعيان الفقهاء الفضلاء، وشيوخ الوعاظ النبلاء، وكان يخالط الصوفية، ويحضر معهم السماعات.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٥/١٨٦، سير أعلام النبلاء، ٢٠/٤٨٣، غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٣٠٣، فوات الوفيات ٢/ ٤٦ ت ١٦٤، إيضاح المكنون ٢/١٧، معجم المؤلفين ت ٥٦٤٨.

وصف المخطوط:

يتألف المخطوط من (٨٥) ورقة في كل ورقة صفحتان وقياس الصفحة (٢٢×١٥) سـم، وتاريخ النسخ ٣ جمادى الآخرة سنة ١٠١٠هـ، وهي من مقتنيات معهد الاستشراق الروسي في بطرسبورغ رقم (٧٦٤) B 970 أدب.

واسم الناسخ محمد صادق بن عبد السلام بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن رضي الدين بن عبد السلام البيروني، وخط المخطوط النسخ.

وعليها في الختام صفحتان ليستا من صلب المخطوط الأصلي وخط المخطوط واضح، في كل صفحة (٢٥) سطراً، وفي كل حوالي (١٣) كلمة بشكل وسطي، وقد ساد المخطوط طمس في إحدى الصفحات حَيْثُ أمكن التغلب على أكثره من خلال الاستعانة ببعض الكتب المساعدة، وعلى الصفحة الأولى بعض التمليكات؟ حَيْثُ أدرجناها في المقدمة.

عملنا في المخطوط:

قمنا بنسخ المخطوط وشرح الكلمات الغامضة، والصعبة، وتخريج الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية بالإضافة إلى تخريج الأشعار من مظانها في الدواوين، والمجاميع الشعرية كالحماسات، والأصمعيات، والمفضليات وغيرها، وتدقيق الأحداث السياسية، أو الأدبية، وكانت عدتنا أيضاً المعاجم وقمنا بفهرسة الكتاب الفهرسة الفنية، التي تليق به من حَيْثُ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأسماء الأعلام، والأماكن، والمصطلحات، وألفاظ الحضرة، والقوافي الشعرية.

وأخيراً أتمنى أنْ يحظى هذا العمل على القبول لدى الجميع، كما أتوجه بالشكر، والتقدير لمركز جمعة الماجد على التسهيلات المقدمة لطلاب العلم، والمعرفة.

راجياً أنْ يكون هذا العمل في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مالٌ، ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

الإمارات العربية المتحدة أبو ظبي

٢٧ المحرم ١٤٢٦هـ

٩ آذار ٢٠٠٥م

الدكتور خالد أحمد الملا السويدي



كتاب

سَفَطُ المُلَحِ وَزَوحُ التَّرَح

للشيخ الإمام العالم الفاضل مهذب الدين، جمال الإسلام
أبو الحسن سعد الله بن نصر بن سعيد بن علي بن الدجاجي
رحمة الله عليه، المتوفى سنة ٥٦٤هـ

ويليه

الأخبار في آداب النوم



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه العون والثقة

قال الشيخُ الإمامُ العالمُ الحبر الورع مهدي الدين جمال الإسلام، شمس العلماء، ناصر السُّنَّة ناصح الأمة بقيَّةُ السلف شيخ العراقين أبو الحسن سعد الله بن نصر بن سعيد بن علي بن الدَّجاجي لفقيه الواعظ أطال الله عمره ورفع في الدارَيْن قدره، وأمتع بحياته ونفع بكلماته، وأعاد علينا من بركاته:

الحمد لله حمداً يبلغ مُنتهى رحمته ورضوانه، وله الشكر شكراً لزيادة من نعَمه وإحسانه، وله الفضل اعترافاً بأياديه وامتنانه، وله الثناء تقديساً لجلاله وعَظَم شأنه، الذي مَنَّ بالعقول لمعرفة دلائله وبرهانه، ومَهَّدَ الشرائع ترغيباً في طاعته، وترهيباً من عصيانه، وبعث محمداً (ﷺ) بالدين الحنيف، وتبيانه، وأيده بالمُعجز الخارق وسلطانه، فأقام عهد الحق بتشييد أركانه، ودرس معالم الضلال بتشريك شيطانه، فصلوات الله عليه، وعلى آله، وأصحابه، وأعوانه، وعلى التابعين لهم بإحسان في إقامة الدين وإتقانه، صلاة باقية إلى ممر الأبد وطول زمانه. أما بعد:

فإن الله ركَّب في النفوس المَلَل، وطبع في القلوب السَّأم، والضجر، فلا صبر لها على الفن المتَّخذ، ولا المقام على المعنى المنفرد، بل وُضعت على التنقل، وطُبعت على التَّفلُّت، حَتَّى أُطلق عنانها في من شهواتها، وأُخْرِجَتْ في أُسلوب من لذَّاتها، لمالت عنه يميناً وشمالاً، وظلّت عنه نقلة وارتحالاً، وتقلَّبَتْ من المقام فيه، وتطَلَّعَتْ إلى سواه، وارتاحت إلى غيره. ولهذا قال ابن مسعود (ﷺ): «**كان رسول الله (ﷺ) يتخوَّلنا بالموعظة مخافة السآمة**»(١).

وقال [١] ﷺ: «**لا تحملوا من العمل ما لا تطيقون فإن الله لا يمل، حتى تملوا**»(٢).

---

(١) لم يرد الحدث في الكتب المعمده.

(٢) ورد الحديث: لا تحملوهم ما لا تطيقون: السنن الكبرى للبيهقي ٣٦/٦، الطبقات الكبرى لابن سعد ١٩٧/٧، كنز

وقال أبو العتاهية: قال المأمون من شأن النفس الملل، وحب الاستطراق، فقلت: أجل يا أمير المؤمنين، ولي في هذا المعنى بيت وهو[(١)]: [البسيط]

لا يُصلِحُ النَّفسَ إذ كانتْ مصرَّفةً إلا التَّنقُّلُ مِنْ حَالٍ إلى حَالِ

فأعجبه، وقد قال الشاعر: [البسيط]

ما سُمِّيَ القلبُ إلاّ مِنْ تَقَلُّبِهِ والمرءُ إنسانٌ إلاّ أنَّهُ نَاسِي

فلما كان هذا من شيمة القلوب، وسَجيَّة النفوس، ضمَّنت هذا المجموع فنوناً من أخبار الأنبياء، والأولياء، ووصايا العقلاء، والحكماء، وحكايات الخلفاء، والوزراء، وآثار النبلاء، والكرماء، وألفاظ الفصحاء، والفضلاء، وأجوبة الأَلِبَّاء، والفُهَمَاء، وقرائح الفقهاء، والعلماء، ومنظوم طرائف الخطباء، والشعراء.

ولم أقصد استيفاء فن، ولا استطراده، ولا إفراد معنى من أشكاله، وأضداده بل أودعته محاسن ما وقع لي على اختلافه، وتنويع معانيه، وأصنافه، ووسمته [**بسَفَط المُلَحِ وَزَوحِ التَّرَحِ**[(٢)]] ليكون راحة عند عدم المُؤانسة وعوناً على المُفاكهة، والمُجالسة، والله بكرمه يتجاوز لنا عن الخطايا، والزلل، ويوفِّقُنا لصالح القول، والعمل بمنِّه وكرمه، ورحمته وجوده، إنه جواد كريم.

رُوي عن النبي (ﷺ) أنه قال: «**مَنْ تعلَّمَ باباً من العلمِ عمل به، أو لم يعمل به، كان أفضل من صلاة ألف ركعة. فإن عمل به، أو علمه، كان لَهُ ثوابه وثواب مَنْ عمل به إلى يوم القيامة**»[(٣)].

وقال أبو الدَّرداء: قال رسول الله (ﷺ): «**كيف بك يا عُوَيمر إذا قيل لك يوم القيامة. أعَلمتَ، أو جَهلْتَ؟ فإن قلت قيل لك: فماذا عملتَ فيما عَلِمْتَ؟ قال: قلتُ جَهلتُ، قيل لك: فما عذرك فيما جهلت؟ ألا تعلَّمت؟**»[(٤)].

قال عمر بن العزيز: ما من شيء إلا، وقد علمت إلا أشياء صغار، كنتُ أستحي أنْ يُرى مثلي عنها، فبقي في جهالتها إلى الساعة.

قال لقمان لابنه: يا بني عليك بمجالس العلماء، فالْزَمْها واسمع من كلام الحكماء، فإن الله

العمال للمتقي الهندي ٢٥٠٦٤، ٣٧١٣٢، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر، ٣٨٧، ٣٦٧/٧.

(١) ديوان أبي العتاهية، ص٣٢١.

(٢) لروح: دهاب، وتفريق، اللسان (روح).

(٣) ورد الحديث في ١٠٠/٢، كنز العمال للمتقي الهندي ٢٨٨٥٢.

(٤) لم يرد هذا القول في الكتب المعتمدة.

تعالى، يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة، كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء.

قال ابن [٢] شهاب: العلم أفضل من العمل لمن جهل والعمل أفضل من العلم لمن علم. قال رجل لأحمد بن حنْبل (ﷺ): (أنسخ بالليل، وأصلي، فقال: إن كنت معلماً انسخ) وكان يقال: لا يزال المرء عالماً ما دام في طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم، فقد جهل.

قيل: كتب زاهدٌ إلى عالمٍ صف لي الدُّنْيا واجمع إليها الآخرة، وأوْجز. فكتب إليه: الدُّنْيا سنات، والآخرة يقظة، والمتوسط الموت، ونحن في أضغاث أحلام. وقال لقمان لابنه: يا بني إنك منذ سَقَطْتَ إلى الدُّنْيا استدبرتها واستقبلت الآخرة، وأنت إلى ما استقبلت أقرب منك إلى ما استدبرت.

قال علي ﷺ: «لكل امرئ في ماله شريكان، الوارث، والحوادث»(١).

نظمه ابن المعتز فقال:

يا مالُ كُلُّ جامعٍ ووارثٍ أبْشِرْ بريبِ وارثٍ وحادثِ

يقال: إن صحبة بليد نشأ مع العقلاء، خير من صحبة لبيب نشأ مع الجهال. قال أبو العيناء يوماً لعبد الله بن يحيى: أعزَّ اللهُ الوزير، نحن في العطلة مرحومون، وفي الوزارة محرومون، فمتى يكون الفرج؟

كان سعد بن عُبَادَة يقول: اللهم ارزقني مجداً وحمداً، فإنه لا مجد إلا بمال، ولا حمد إلا بفعال.

قال بعضهم: تذاكرنا عند معون أفضل الأشياء، فقال الأحنف: أفضل الكلام قيل كيف، قال: لأن العقلاء أحسن ما خُلِقَ، والكلام ترجمانه. قال عبد الله بن عمر: اتقوا مَنْ تُبْغِضُه قلوبُكم.

وقال يحيى بن خالد البرمكيّ رحمه الله: إذا كرهتم الرجل من غير سوء أتاه إليكم فاحذروه، وإذا أحببتم الرجل من غير سوء أتاه إليكم فاحذروه وإذا أحببتم الرجل من غير سَبْقٍ منه إليكم فارتجوه.

قيل إنه خرج المهدي إلى ماشيذان للصيد، فنصب الشباك، والأشراك للغزلان على الماء، فوردت لتشرب فوجدت ذلك، فتفرقت ونفرت، ثم عادت اليوم الثاني، والثالث وجَهَدَها العطش. قال: فرآها النَّاس قد اجتمعت، ورفعت رؤوسها إلى السماء، تضجُّ لضجيج أصواتها فنشأت سحابة في الوقت، وأرسلت وابلها، حَتَّى ملأت الأرض، وشربت ورويت، ولم يلبث

(١) ورد الحديث في تفسير القرطبي ٣٨٤/٥، ١٥/٢٨٨، الكامل في الضعفاء لابن عدي ١١٩٨/٣.

المهدي بعد ذلك إلَّا أياماً، حتَّى مات.

قيل لحكيم [٣] ما النعمة؟ قال: الأمن، فلا لذة لخائف، والغنى، فلا لذة لفقير، والعافية، فلا لذة لسقيم. قالوا: زدنا قال: لا أجد مزيداً، وفي نسخة أخرى، والشباب، فلا لذة لشيخ.

ورُوي في الآثار أنه «**من أصبح آمناً في سرْبه معافى في بدنه، مالكاً قوت يومه فكأنما ملك الدُّنْيا بحَذَافيرِها**»(١).

وقد نظم المعنى بعض الشعراء فقال:[مجزوء الكامل]

مَنْ نَالَ مِنَ السِّرْبِ فِي دَعَةٍ … وأَصَابَ عَافِيَةً مِنَ البَلْوَى
وأَتَاهُ قُوتُ اليَوْمِ فِي سَعَةٍ … فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا

قال رجل للمنصور: الانتقام عدل، والتجاوز فضل، ونحن نعيذ أمير المؤمنين بالله من أنْ يرضى لنفسه بأَوْكَس النصيبين دون أنْ يبلغ أرفع الدَّرَجَتَيْن، وقال المأمون: لو عَلمتْ الرعيا ما لنا في لذيذ العفو ما تقرَّبت إلينا بغير الجِنَايَات، وإني لأحسبُ أنني لا أجر لي لاستلذاذي به، وللمعنى: [الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا بِالْمَالِ يُكْتَسَبُ الغِنى … وَلاَ بِاتِّسَاعِ المَالِ يُكْتَسَبُ الفضلُ
فَكَمْ مِنْ قليلِ المَالِ تُحْمَدُ بَذْلُهُ … وآخَرُ ذا مَالٍ وَلَيْسَ لَـهُ بَذْلُ
وَمَا سَبَقَتْ مِنْ جَاهِلٍ قَطُّ نعمةٌ … إِلَى أَحدٍ إلاّ أَضَرَّ بهَا الجَهْلُ
وَذُو اللُّبِّ إِنْ لَمْ يُعْطِي أَحْمَدْتُ وِدَّهُ … وإِنْ هُوَ أَعْطَى زَانَهُ القَوْلُ، والفِعْلُ

رُوي أنه دخل كعب الأحبار على عمر بن الخطاب (ﷺ) فقال لَهُ عمر: يا أبا إسحاق اجلس على هذه الوسادة، فتركها وجلس دونها، فقال لَهُ عمر: ما منعك مما قلت لك؟ قال يا أمير المؤمنين: إن في حكمة آل سليمان ألا تكبر على السلطان، حتَّى يملك، ولا نقعد عنه حتَّى يسساك، واجعل بينك وبينه مجلس رجل، أو رجلين، فعسى أنْ يأتيه من هو أولى منك بذلك، فتقام عنه، فيكون زيادة لَهُ ونقصاً عليك، فقال عمر: صدق الله تعالى: ﴿**وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٥٩].

قال سعد بن أبي وقاص لابنه: يا بني إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة، فإن لم يكن لك قناعة فليس يغنيك مال.

---

(١) ورد الحديث في إتحاف السادة المتقين للزبيدي ١٥/٨، الترغيب، والترهيب للمنذري ٥٩٠/١، الأدب المفرد للبخاري ٣٠، تفسير القرطبي ١٣٤/٦، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٢٤/٦.

مدح أعرابي رجلاً [٤] فقال: ذاك من شجر لا يخْلُفُ ثَمرُهُ، ومن لا يُخاف كَدرُه. رُوي عن النبي (ﷺ) أنه قال: **«لا يزال المسروق منه في تهمة مَنْ هو برئ، حَتَّى يكون أعظم جرماً من السارق»**(١).

قال أبو بكر الصديق لعمر بن الخطاب (ﷺ): إنني مستخلفك بعدي وموصيك بتقوى الله تعالى، إن لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وأنه لا يقبل نافلةً، حَتَّى تُؤدى الفريضة، وإنما ثقلت موازين مَنْ ثقلت موازينه يوم القيامة، باتباعهم الحق في الدُّنْيا، وثقله عليهم عليهم، وحُقّ لميزان لا يوضع فيه الحق، أنْ يكون ثقيلاً.

وإنما خَفَّت موازين من خفت موازينه يوم القيامة، باتباعهم الباطل في الدُّنْيا، وخفته عليهم، وحُقّ لميزان لا يوضع فيه إلاّ الباطل أنْ يكون خفيفاً، إن الله (ﷻ) ذكر أهل الجنة، فذكرهم بأحسن أعمالهم، وتجاوز عن سيِّئاهم. فإذا أذكرتُهم، قلت: إني أخاف ألاّ أكون منْ هؤلاء.

وذكر أهل النار فذكرهم بأسْوَأ أعمالهم، ولم يذكر حسناهم، فإذا أذكرتُهم قلت: إني لأرجو أنْ لا أكون من هؤلاء، وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغباً راهباً، ولا تتمنى على الله عز وجل غير الحق، ولا تُلقى بيدك إلى التَّهْلُكَة، فإن حفظت وصيتي، فلا يكونن غائب أحب إليك من الموت، وهو آتيك، وإنْ أضعت وصيتي، فلا يكونن غائب أبغض إليك من الموت، ولست بمعجز الله (ﷻ).

قال رجل للمنصور: اتَّقِ الله فنكّرَ وجهه، فقال يا أمير المؤمنين: عليكم نزلت، ولكم قيلت وإليكم رُدَّتْ، قال عليّ (ﷺ): خُصِّصْنا بخمس: فصاحة وصباحة وسماحة وجدّة وحظوة يعني عند النساء.

لِيمَ مُصعب بن الزبيرعلى تطويل خطبته عَشِيَّةَ عرفة. فقال: أنا قائم، وهم جلوس، وأتكلم، وهم سكوت، ويضجرون.

أخبرنا أبو غالب أحمد بن الحسن بن أحمد بن شاذان، قال: أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد القطّان، قال: حدثنا محمد بن يونس، قال: أخبرنا محمد بن حجر الشامي قال: حدثنا علي بن منصور الأنباري قال: حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الوقّاصيّ عن محمد بن كعب القرظي قال: بينما عمر بن الخطاب رضوان الله عليه في خلافته في المسجد، إذ مرَّ في ناحية المسجد مارٌّ، فقال رجل من القوم: تعرف هذا المارَّ [٥] يا أمير المؤمنين؟ قال: لا،

---

(١) لم يرد الحديث في الكتب المعتمدة بهذه الصيغة.

ومن هو؟.

قال: رجل من أهل اليمن لَهُ فيهم شرف، وأصل، يقال لَهُ سواد بن قارب، وهو الذي أتاه ربه أنْ يخبر بالمغيبات من الحق بظهور رسول الله (ﷺ) فقال عمر عَلَيَّ به، فَدُعي بالرجل، فقال له[1]: «أنت سواد بن قارب الذي أتاك ربك أخباراً من الجن بظهور رسول الله ﷺ»،

قال: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: فأنت على ما كنت من كهانتك، فغضب الرحل غضباً شديداً، وقال: والله ما استقبلني بهذا أحد مذ أسلمت، فقال عمر: يا سبحان الله، ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك، أخبرنا بشأنك ورتبك، ومن أتاك حين أتاك بظهور رسول الله (ﷺ)؟ فقال: نعم، «بينما أنا ذات ليلة من الليالي بين النائم، واليقظان إذ أتاني ات فضربني برجله وقال لي: قُمْ يا سواد بن قارب وافهم إنْ كنت تفهم، واعقل إن كنت تعقل، قد بُعث رسول الله من لُؤَيّ بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته»

ثم أنشأ يقول: [السريع]

عَجِبْتُ للجِنِّ وتحساسِهَا ... وَشَدِّها العيسَ بأحلاسِهَا

تَهوي إلى مكةَ تَبْغي الهُدَى ... مَا طاهرُ الجنِّ ككفارِهَا

فَارْحَلْ إلى الصَّفوةِ مِنْ هاشمٍ ... واسْمُ بعينيكَ إلَى رَاسِهَا

قال، فلم أرفع رأساً بقوله، وقلت: دعني أنام فإني ناعس، فلما أقبلت الليلة الثانية ضربني برجله، وقال: قم يا سواد بن قارب واعقل إن كنت تعقل، قد بعث الله رسول الله من لُؤَيّ بن غالب، يدعو إلى الله وإلى عبادته، ثم أنشأ يقول: [السريع]

عَجِبْتُ للجِنِّ وأخْبَارِهَا ... وشَدِّها العيسَ بأكْوَارِهَا

تهوي إلى مكةَ تبغي الهدى ... مَا مُؤمنُ الجنِّ كَكُفَّارِهَا

فَارْحَلْ إلى الصَّفوةِ مِنْ هَاشمٍ ... بَيْنَ رَوَابِيهَا وأحْجارِهَا

قال: فلم أرفع به رأساً، فلما كنت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله وقال: قم يا سواد بن قارب واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لُؤَيّ بن غالب، يدعو إلى الله وإلى عبادته، ثم أنشأ يقول: [السريع]

(١) لم يرد الحديث في الكتب المعتمدة.

عَجِبْتُ للجِنِّ وطِلابِهَا وشدِّها العيسَ بأقْتَابِهَا
تَهوِي إلى مكَّةَ تبغي الهُدَى مَا صَادِقُ الجنِّ كَكَذَّابِها[٦]
فَارْحَلْ إلى الصَّفْوَةِ مِنْ هاشمٍ لَيْسَ قُدَامَاها كأذْنابِهَا

فوقع في قلبي الإسلام ورغبت فيه، فلما أصبحت شددت على راحلتي، وانطلقت في طلب النبي (ﷺ) فلما كنت ببعض الطريق، أُخبرت أنَّ النبي (ﷺ) قد هاجر إلى لمدينة، فلما دخلت المدينة سألت عنه، فقالوا: في المسجد، فأتيت المسجد فأنَخْتُ راحلتي على الباب، ثم دخلتُ المسجد، فإذا النبي ﷺ جالس، وأصحابه، فقلت: اسمع مقالتي يا رسول الله عليك، قال اذْنُ، فلم يزل يُدْنيني، حتَّى صرت بين يديه، ثم قال: قل: فأنشأت أقول: [الطويل]

أتاني نجيِّ بَعْدَ هُدْءٍ وَرَقْدَةٍ وَلَمْ يَكُ فيما قَدْ بُلَوْتُ بكاذبِ
ثَلاثَ لَيالٍ قَوْلُهُ كُلَّ ليلةٍ أتاكَ رسولٌ مِنْ لُؤَيِّ بنِ غالبِ
فَشَمَّرْتُ مِنْ ذَيْلي الإزارَ، ووسَّطَتْ بي الذِّعْلبُ الوجناءُ بَيْنَ السَّباسبِ
فَأشْهَدُ أنَّ اللهَ لا شيءَ غَيْرَهُ وأنَّكَ مأمونٌ على كُلِّ غائبِ
وأنَّكَ أدنى المُرْسَلينَ وَسيلَةً إلى اللهِ يا ابْنَ الأكْرَمينَ الأطَايِبِ
فَمُرْنا بِمَا يَأْتيكَ يا خَيْرَ مَنْ مَشَى وإنْ كانَ فيما جاءَ شَيْبُ الذوائبِ
وَكُنْ لي شَفيعاً يَوْمَ لا ذُو شَفَاعةٍ سواكَ بِمُغْنٍ عَنْ سواد بن قاربِ

قال: ففرح رسول الله (ﷺ) بإسلامي فرحاً شديداً، وأصحابه، حتَّى رُؤي الفرح في وجوههم، فقام إليه عمر فالتزمه وقال: والله لقد كنتُ أشتهي أنْ أسمع هذا الحديث منك، أخبرني عن رؤيتك اليوم، قال: منذ قرأت كتاب الله، فما رأيت شيئاً، فقال عمر: وَنِعْمَ العِوَضُ كتاب الله من الجن.

قال رجاء بن حيوة لعبد الملك بن مروان في أسارى بن الأشعث: إنَّ الله قد أعطاك من الظفر، والقهر ما تحب، فأعطه ما تحب من الصفح، والعفو، بعض الشعراء: [الطويل]

عَطِفْتَ عَليكَ النفسُ، حتَّى كأنَّما بكَفَّيْكَ بُؤْسٌ، أو لَديكَ نَعيمُهَا
تَبِعْتُكَ، إذ عَيْني عَلَيْهَا غِشاوةٌ فَلَمَّا انجلَتْ قَطَعْتُ نَفْسي أَلُومُهَا
فَإنِّي إنْ أقْصَيْتَني مِنْ ضَرَاعَةٍ ولا افْتَقَرَتْ نَفْسي إلى مَا تَسُومُها

قيل لعبد الله بن الأهتم ما السؤدد قال: رفع الأولياء، وحط الأعداء، وطول البقاء مع القدرة،

والسماء، إذا قصرت بداك عن المكافآت فليبطل لسانك بالشكر. [٧] قيل: جلــس المــأمون مجلساً عاماً فقام إليه غلام من البرامكة، فقال: أحلّنا سخط أمير المؤمنين المأمون، الماضي بدار هوان، فنحن بها يطرقنا الذل، وقد ألفت أنفسنا ذلك، فنحن، كما قالت بنت النعمــان(١):

[الطويل]

فَبَيْنَا نَسُوسُ النَّــاس، والأمــرُ أمرُنــا إذْ نحــنُ فــيهم ســوقةٌ نَتَنَصَّــفُ

فأمر بانصرافه وبَرَّهُ. قال بُزُرْجُمِهَر: رأيت من أَنُوشِرْوَان خليقتين متباينتين لم أَرَ مثلهما، رأيته يوماً، وقد دخل عليه بعض أساورته فتجاوز مرتبته، فأمر به، وحُرِم عطاءه، ثم رأيته، وأنا معه على سرير الملك في شيء من تدبير المملكة، فارتفع أصوات الخدم وحركة الحشم، فقطعونــا عما كنا فيه.

فقلت أيُّهَا الملك: رأيت بالأمس قد أمرت بفلان مع خدمته لأجل تجاوز اليسير من مرتبتــه، وأراك ساكناً، عن هؤلاء الخدم مع ضَالّة حرمتكم وعظيم حرمتهم.

فقال: يا بُزُرْجُمِهَر إنَّا معاش الملوك حكام على رعيتنا وخدمنا، حكام على أرواحنا، فيكــون منّا في خلواتنا من التبدل ما لا طاقة لنا بدفعه عنا، فإن منعناهم وضيَّقنا عليهم تمنوا الراحــة منّا، وأمكنهم ذلك في المأكول، والمشروب، والملبوس فنحن نتجاوز لهم عن الزلة، ونغفر لهم الخطيئة إشفاقاً على أرواحنا، فخرَّ بُزُرْجُمِهَر ساجداً وقال: حقٌ على مَن أخذ الملك بالسيف أنْ يكون عبداً لمن أخذه بالرأي، والحكمة وحسن التدبير.

قال سهل بن سعد الساعدي: لَقِيَنِي رجل من أصحابي، فقال: هل لك في جميل؟ فإنه مثقل، فدخلنا عليه، وهو يجود بنفسه، فقال: ما تقول في رجل لم يَزْنِ قط، ولم يشرب الخمــر، ولم يقتل النفس، يشهد أنْ لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله (ﷺ)؟ فقلت: أظنه نجا، فمن هذا الرجل؟ قال: أنا، قلت: والله ما سلمت، وأنت منذ عشرين سنة تَشَبَّبُ بثينة، قال: إني في اخر يوم من الدُّنْيَا، وأول يوم من الاخرة، فلا نالتني شفاعة محمد (ﷺ) إن كنــت وضــعت يدي عليها لريبة قط، فما قمنا، حَتَّى مات.

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل: عظْنِي، فقال: لا أصلح لذلك يا أمير المؤمنين، قال: لم؟ قال: لأني جلست لأصلي في المسجد، وكان إلى أَحَدِ جَنْبَيَّ غــنيٌّ، وإلى الآخــر فقــيرٌ،

---

(١) البيت مشهور ورد في معظم كتب الأدب، انظر مقابلة المعبرة بن شعبة مع الحرقة بنت النعمان بن المنذر، آخر ملــوك الحيره.

فجعلت أميل على الفقير، وأوسع على الغني.

روى أحمد بن حنبل رحمه الله بإسناده، [٨] عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ): «**في البطيخ عشرة خصال: هو طعام وشراب، وهو ريحان، وهو يغسل المثانة، ويغسل البطن، وهو يكثر الماء للظهر، ويكثر الجماع، ويقطع الأمردة، وينقي البشرة**»[(١)].

قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: إنما كانت دعوة المظلوم مستجابة، لأن المظلوم يقول: يا رب أعطني حقي، والله سبحانه لا يمنع ذا حق حقه، قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: الراحة للرجال غفلة، وللنساء غلمة، وقال بُزَرْجُمهَر: إن يكن الشغل مَجْهدة فالفراغ مَفْسدة. لمعنى شعر: [الطويل]

مِنَ النَّاسِ مَنْ لَـوْ يَسْتَشِـرِكَ فَجِـدْ ... لَهُ الرأْيَ يَسْتَغْشِشْـكَ مـا لَمْ تُتَابِعُـهُ

فَلَا تَمْحَنَّ الرَّأْيَ مَـنْ لَـيْسَ أَهْلَـهُ ... فلا أَنتَ محمـودٌ ولا النّصْـحُ نافِعُـهُ

قال أمير المؤمنين عليٌ ﷺ: لكميل بن زياد، يا كميل قل لقومك يَسْرُّوا في المكارم، ويدلجوا في حاجة مَن هو نائم، ف، والذي نفسي بيده، ما من عبد أدخل على قلب مؤمن سروراً، إلا خلق الله من ذلك السرور نوراً، فإذا نزلت به نازلة ابتدر إليها فطردها عنه، كما تُطرد غريبة الإبل.

وقع بين المازني وبين أخ لَهُ جفوة، فغاب عنه أياماً، ثم جاء المازني وعند الرجل جماعة، فدقَّ عليه الباب، فقال: أحسن لأشياء إنْ حفت من الإخوان جفوة طرحك للحشمة عنهم، وشجى من غيره دعوة، التدلل في الطاعة خير من التعزز في المعصية.

كتب رجلٌ إلى صديق لَهُ في ظهر شعر: [البسيط]

العُذْرُ في الظّهرِ عنْـدَ الحُـرِّ مُنبسِـطٌ ... إذَا رَأَى سَـطَوات الـدَّهرِ بـالنِّعَمِ

وَما أَصُنْ بِوَجْهِي لَوْ جَرَى قَلَمِي عَلَيْهِ ... عنْـكَ، ولـو أنَّ المِـدَادَ دَمِـي

يقال: إنَّ التدبير مع الكَفاف خير من الغنى مع الإسراف، كلَّم أعرابيٌّ خالد بن عبد الله، فخَلَط في كلامه، فلما أحس من نفسه بذلك، قال: لا تلمني أيُّها الأمير فإن معي ذُلّ الاحتياج ومعك عز الاستغناء عني.

كان لعديٍّ بن حاتم وليمة، جمع فيها العرب، فقال لابن لَهُ حَدَث السِّنّ: قم بالباب، فامنع من لا تعرف، وائذن لمن تعرف، فقال: لا والله يا أبت لا يكون أول شيء وليته منع قوم من

(١) ورد الحدث في كنز العمال للمتقي الهندي ٢٨٢٨٨.

الطعام.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إذا توجه أحدكم في حاجة ثلاث مرات، فلم يُصِبْ خيراً فَلْيَدَعْهَا، ويقال: أحسن ما عوشر [٩] به الملوك البشاشة، وتخفيف المؤونة، قال الجُنَيْد رحمه الله: إنما تُطلب الدُّنْيا لثلاثة أشياء: للغنى، والعزِّ، والراحة، فمن زهد فيها عـزَّ، ومـن قنـع استغنى، ومن قل فيها سعيه استراح، قال عبد الملك بن مروان: خمسٌ يَقْبُحْنَ من خمسة، ضيق ذرع الملوك، وسرعة غضب العلماء، وفحش النساء، ومرض الأطباء، وكذب القضاة.

أنشدنا شيخنا السعيد ناصح الإسلام أبو الخطاب محفوظ بن أحمد رحمه الله للصَّابي: [الطويل]

وَلِلسِّرِّ عِنْدِي فِيمَا بَيْنَ جَنْبَيَّ مَكْمَـنٌ ... قَصِيٌّ عَصِيٌّ عَنْ مَـدارجِ أَنْفَاسِـي

أضـنُّ بِـهِ ضَـنِّي بِمَوْضِعِ حِفْظِـهِ ... فَأُخْفيهِ عَنْ إِحساسِ غَيْرِي وإِحْسَاسِيْ

فَيُصْبِحُ كَالمَعْـدُومِ لا مُهْتَـدي لَـهُ ... يقينٌ، ولم يَخْطُرْ لِخَلْقٍ مِـنَ النَّـاسِ

كأَنّي مِـنْ فَـرْطِ احتيـاطِي أضَـعْتُهُ ... فَبَعْضِي لَهُ ذَاعٍ وبَعْضِي لَـهُ نَاسِـي

قال الجاحظ: حدثني يحيى بن خاقان، قال: مررت في بعض دروب بغـداد، فاحتجـت إلى المستراح، وضقتُ ذرعاً لحاجتي إليه، فقلت لبعض الغلمان، أطلب لي موضعاً، فاستفتح بابـ ففتح لنا، ودخلت إلى دار حسنة التقدير، والبناء، وخرجت إليَّ جارية ظريفة حسنة طنجة[1]. فأدخلتني مُستراحاً لطيفاً نظيفاً، وناولتني ماءً في إبريق لطيف الصَّنعة، فلما خرجت نـاولتني منديلاً وجاءت بطشت وإبريق، فتهيأتُ للصلاة، ثم أتتني بمرآة ومشط، فلما فرغتُ وقمـت للخروج، جعلتُ أشكرهم على جميلهم شكر مَنْ أُولى معروفاً، فضحكت الجارية ضـحك قهقهتْ فيه، فقلت مم تضحكين يا جارية؟ قالت: يا سيدي هذا الدعاء كله لأنك خريـت عندنا، فلو تغدَّيتَ أي شيء كنتَ تعمل؟ فَضحكتُ، حَتَّى كدتُ أنْ أسقط، وأعجبني مـ كان، فدفعت فيها مالاً، فلم تُبع ابن المُعْتَزّ[2]:[الكامل]

أَهْـدَتْ لَـكَ ظَرَائِفـاً بِظَرَائِـفِ ... جـامِينَ مِـنْ لُـوزِيَنجَ وقَطَـايِفِ

هـذا دُبَيْقِـيُّ الثِّيـابِ مُوَشَّـحٌ ... بِمَلاحِـقِ صَـقْلٍ وَذَا بِمَنَاشِـفِ

آخر: [الطويل]

وَعَهْدِي بِهَا سَكْرٌ مِنَ الرَّاحِ والكَـرَى ... فَلِلْبَدْرِ مِثْلِي فِي أَنَامِلِهَا عُـذْرُ[١٠]

(١) طنجة: مصة، اللسان: (طنج).

(٢) ديوان ابن المعتز ٢١٢/٣.

فلــمْ أدْرِ إذ فاخرْتُــهُ بجمَالِهَـــا وَفَــاخَرَني بــالنُّورِ أيُّهمـا البَــدْرُ
سوى أنْ عنْدَ الفَجْرِ غَــابَ و لم تَغِبْ مُكَايدَةً لِلْفَجْــرِ إذ طَلَــعَ الفَجْــرُ

أخذه من قول ابن الرومي(1): [الكامل]

أَصِــفُ الحَبِيــبَ ولا أقُــولُ كَأنَّــهُ كَلاَّ لَقَــدْ أمْسَــى مِــنَ الأَفْــرَادِ
إنِّــي لأَسْــتَحيي مَحَاسِــنَ وجْهِــهِ أنْزِهُهَـــا عَـــنِ الأَنْـــدَادِ

يُروى أنْ لمنصور دعا الربيع يوماً، فقال له: سلني ما تريد، فقد سـكت، حتَّـى نطقـت، وخففت، حتَّى ثقلت، وأقللت، حتَّى أكثرت، فقال: يا أمير المؤمنين، ما أرهبُ بُخْلَكَ، ولا أستقصر عمرك، ولا أستصغر فعلك، ولا أغتنم مالك، وأن يومي لفضلك عليَّ لأحسن مـن أمسي، وعدي في تأميلي لأحسن من يومي، ولو جاز أ ن يشكرك مثلـي لغـير الخدمـة، والمناصحة، ما سبقني على ذلك أحد، فقال لَهُ المنصور: صدقت علمي هذا منك، أحلك مني هذا المحل، فسلني عمَّا شئت.

قال: أسألك أنْ تُقرِّب عبدك الفضل، وتودَّهُ، وتحبُّهُ. فقال: يا ربيع إنَّ المحبَّـة ليسـت بمـال يوهب، ولا رتبة تُبذل، وإنَّما توجد لأسباب، قال فاجعل لها طريقاً إليه بالفضل عليه، قـال: صدقت الآن، وقد وصلته بخمسمائة ألف درهم، و لم أصل مثلها لأحد عمومتي، ليعلم مالـه عندي، فيكون عنده ما تستدعي محبتي، وكيف سألت المحبة يا ربيع؟ قال: لأنها مفتاح كـل خير، مغلاق كل شر يستر بها عندك عيوبه، وتصير ذنوبه حسنات. فقال: صـدقت، وقـد أوتيت ما أردت، ومات الربيع في أيام الهادي، لنصر بن أحمد: [المتقارب]

وَلـي حَاجَـةٌ لَـمْ أُطِـقْ ذِكْرَهَـا حَيَــاءً وقَــد أَخَــذَتْ بِــالكَظَمِ
أَهَابُــكَ فيهَـــا لِــأَنَّ الكَــرِيمَ يُهَــابُ وإنْ كَــانَ لا يُحْتَشَــمِ
لِسَــاني تَلَجْلَــجَ عَــنْ ذِكْرِهَــا فَتَرْجَمْتُهَــا بلِسَــانِ القَلَــمِ

لما قدّم مازيا بن قارن لضرب عنقه، قيل للمعتصم: إنَّ وراءهُ أموالاً جمَّة، فلو أمر أمير المؤمنين بتفريغه لها، ثم يقتله، فقال المعتصم متمثلاً: [البسيط]

إنَّ الأَسْــوَدَ أسْــوَدُ الغَيْــلِ هِمَّتُهَـا يومَ الكريهة في المَسْلُوبِ لا السَّـلْبِ

يقال: اصحب من ينسى معروفه عندك، ويذكر حقوقك عليه، ويقال الكريم ينسى فواضـل

---

(1) ديوان ابن الرومي ١١٧/٣.

لُقمه، ولا ينسى حُرمةَ خَدَمه، سأل محمد بن الهيثم أبا هشام الحرَّاني ألك مال؟ فقال: أما مال فليس لي، ولكنّ عندي صيّانة تستر الخلة، وتقدير يكثر القليل وصبر تُرجى به الأيـام. قـال المأمون: الحلم يحسن بالملوك إلّا في ثلاثة أشياء، قادح في دولة، أو مذيع لسـرّ، أو مُتَعـرِّض الحدمة لبعضهم. [الوافر]

إذا اسْـتَنْكَرْتَ حَـالاً مِـنْ صَـديقٍ فَلَسْـتَ عَـنِ التَّجَنُّـبِ في مضـيقِ
طَرِيقَـاً كُنْـتَ تَسْـلُكُهُ قَـديماً فاشْـنَعْ فاعْتَزِلْـهُ إلى طَرِيـقِ

يُقال: ثلاثة أشياء تورث المحبة، الدين، والتواضع، والبذل، ويقال: سادة الدُّنْيا الأسـخياء وسادة الأتقياء لبعضهم: [الخفيف]

أيُّهَا المَرْءُ كُنْ لمَا لَسْتَ تَرْجُـو مِـنْ نَجَاحٍ أَدْجَـى لِمَـا أنْـتَ دَاجِـي
إنَّ مُوسَـى مَضَـى لِيَقْتَبِسَ النَّـارَ لِضَـوْءٍ رَآهُ و لِليـلُ دَاجِـي
فـأتى أَهْلَـهُ وقـد كَلَّـمَ اللهُ ونَاجَـاهُ وهـو خَـيرُ مُنَـاجِي
وَكَذَا الهَـمُّ كُلّمَـا اشْـتَدَّ بالْعَبْـدِ دَنَـتْ مِنْـهُ سَـاعَةُ الإنْفِـرَاجِ

كان النبي (ﷺ): «**لا يقطع على أحد حديثه، حتَّى يجود، فيقطعه فهي، أو قيام**»[1].

قال بعضهم: الحوائج تُطلب بالرجاء، وتدرك بالقضاء. لبعضهم: [الطويل]

وكُنْتُ إذَا خَاصَمْتُ خَصْـماً كَبَبْتُـهُ عَلَى الوَجْهِ حَتَّى خَاصَمَتْنِي الـدَّرَاهِمُ
فَلَمَّـا تَنَازَعْنَـا الخصـومَةَ غَلَبَـتْ عَلَيَّ، وقـالوا قُـمْ فَإنَّـكَ ظَـالِمُ

ومما يقارب المعنى: [البسيط]

مَا مِنْ صَـديقٍ وإنْ تَمَّـتْ صَـدَاقَتُهُ يَوْماً بأَنْجَحَ في الحاجات مِـنْ طَبَـقِ
إذا تلـثَّمَ بالمنْـديلِ مُنْطَلِقَـاً لَمْ يَخْشَ نَبْـوَةَ بَـوَّابٍ ولا غَلَـقِ

قال رجلٌ لرجلٍ قصده: ما قصّرت بي همة صيّرتني إليك، ولا أخَّرتني ارتياد دلني عليـك، وا قعد بي رجاء قادني إليك وحدا بي إلى بابك.

روى الإمام أبو عبد الله بن بطة، في كتابه (كتاب): الإبانة عن أبي بكر الصديق (ﷺ) أنـ قال: مثلنا ومثل الأنصار، كما قال المنوي [١٢] لبني جعفر: [الطويل]

جَزَى اللهُ عَنَّا جَعْفَراً حِـينَ أَسْـفَرَتْ بِنَـا نَعْلُنَـا في الـوَاطِئِينَ فَزَلَّـتِ

---

(١) لم نرد الحديث في الكتب المعتمدة.

أَبَـوا أَنْ يَمَلُّونَـا ولـو أنَّ أُمَّنَـا تلاقي الَّـذي لاقَـوْهُ مِنَّـا لَمَلَّـتِ

وذكر أحمد بن عبد العزيز، في (كتاب): التعازي بإسناده عن هارون بن هلال الجزري، قال: لما قُبض النبي (ﷺ) رثته أم المؤمنين عائشة (ﷺ) فقالت: [الكامل]

قَدْ كُنْتَ ذاتَ حَمِيَّةٍ ما عِشْتَ لـي أَمْشي السَّرَاحَ وأَنْتَ كنتَ جَنَاحي

فـاليومَ أَخضعُ للضعيفِ وأَتَّقـي منـهُ، وأَدْفَـعُ ظـالمي بـالرَّاحِ

وَإِذا دَعَـتْ قُمْرِيَّـةٌ شَـجَناً لَهـا لَيلاً على غُصْنٍ بَكَيْـتُ صِـيَاحي

وقد ذكر أنَّ الشعر لفاطمة الخزاعية، وفيه زيادة لحد البيت الأول: [الكامل]

قَدْ كُنْتَ لـي جَـبَلاً أَلُـوذُ بظِلِّـه فَتَرَكْتَنِـي أَمْشِـي بِـأَجْرَدَ ضَـاحي

تعني بأجرد أي لا نبات عليه وضاحي تحت السماء تصيبني الشمس بحرها. روي أنَّ حسَّان بن ثابت كان يخضِّب شاربه وعنفقته بالحنَّاء، قال: لأكون كأني أسدٌ، والغ في دم.

قيل: إن عبد الملك بن مروان كان أشد النَّاس حباً لزوجته، عاتكة بنت يزيد بن معاوية، وهي أم يزيد عبد الملك، فغضبت يوماً على عبد الملك فشكا إلى خاصته، فقال عمر بن بلال الأسدي، وكان من خواص خلوته، ما الذي لي عندك إن رضيت عاتكة؟ فقال: حكمك. فأتى عمر بابها، وجعل يتباكى، وأرسل إليها يعرفها حضوره ببابها، فخرجن إليه خاصتها وجواريها وقلن: مالك؟، وما حاجتك؟

قال: إني فرغت إلى عاتكة ورجوتها، وقد علمت مكاني من أمير المؤمنين معون جدِّها، ومن ولده بعده، قلن: وما الذي دهاك ونزل بك؟ قال: ابنايَ لم يكن لي غيرهما، فقتل أحدهما صاحبه، وقال أمير المؤمنين: أنا قاتل الآخر به، فقلت: أنا الولي، وقد عفوت.

قال: لا أُعوِّدُ النَّاس هذه العادة، وقد رجوت أنْ يُنجيَ اللهُ ابني هذا الذي لم يبقَ لي سواه على يدها وشفاعتها، فدخلن فذكرن [١٣] لها ذلك، فقالت: كيف أصنع بغضبي عليه، وما أظهرت لَهُ من التعتب، فقلن: إذن، والله يقتل ولده، فلم يزلن، حَتَّى دعت ثيابها، ثم خرجت، وأقبل خديج الخادم الخصيّ فقال: يا أمير المؤمنين، هذه عاتكة قد أقبلت، قال: ويلك ما تقول؟ قال، والله قد طلعت.

قال: فأقبلت وسلَّمت فلم يرد، فقالت: والله لولا يعلم عُمَرُ ما جئت إليك، كيف تقتل ولده بالآخر يا أمير المؤمنين، وهو الولي، وقد عفا؟ فقال: إني أكره أنْ أعوِّدَ النَّاس هذا، قالت: أنشدك الله يا أمير المؤمنين، فقد عرفت مكانه من أمير المؤمنين أبي وجدي، وهو ببابي، فلم

ترل، حَتَّى أخذت رجله فقبلتها.

فقال: هو لَكَ، و لم يبرحا، حَتَّى اصطلحا، ثم راح عمر بن بلال على عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين كيف رأيت؟ قال: رأيا أثرك وثمرة توصلك فهات حاجتك، قال: مزرعة بعبرها، وما فيها، وألف دينار وفرائض لولدي، وأهل بيتي وعيالي، قال: ذلك لك، ثم اندفع عبد الملك يشد متمثلاً بشعر كثير(١): [الطويل]

وإنّي لأَرْعَى قَوْمَهَا مِنْ جَلالِهَا ... وإنْ أظْهَرُوا غِشّاً نَصَحْتُ لَهُمْ جُهْدِي

ولَوْ حَارَبُوا قَوْمي لَكُنْتُ لقَوْمِهَا ... صَدِيقاً، و لم أحْمِلْ عَلَى قَوْمِهَا حِقْدِي

كان الحكم بن عبد الماء الشاعر هجّاءً، وكان أعوراً أحدب، قال العتبي: إنه تـرك الوقـوف بأبواب الملوك، وكان ينفذ عصاه وعليها مكتوب حاجته مع رسول، فلا تقف لَهُ حاجة، ولا يُحبَس لَهُ رسول، فقال في ذلك يحيى بن نوفل: [الطويل]

عَصَا حَكَـمٍ فِي الـدَّارِ أَوَّلُ دَاخِـلٍ ... وَنَحْنُ عَلَى الأَبْوَابِ نُقْصَى ونُحْجَـبُ

وَكَانَتْ عَصَا موسَى لفِرْعَـونَ آيَـةً ... وَهَذا لَعَمْـرُو اللهِ أَدْهَـى، وأَعْجَـبُ

تُطَاعُ، ولا تُعْصَى، ويُحْـذَرُ سُـخْطُهَا ... ويُرْغَبُ في المَرْضَاةِ مِنْهَـا، ويرْهَـبُ

لبعضهم: [الكامل]

اسْـكُنْ إلَـى سَـكَنٍ تَلَـذُّ بِـهِ ... ذَهَـبَ الزَّمَـانُ وأَنْـتَ مُنْفَـرِدُ

تَرْجُـو غَـداً وَغَـدٌ كحَامِلَـةٍ ... في الحَـيِّ لا يَـدْرُونَ مَـا تَلِـدُ

روي أنَّ سحبان وائل مدح طلحة الطلحات الخزاعي فقال: [١٤] [الكامل]

يـا طَلْـحُ أَكْـرَمُ مَـنْ مَشَـى ... حَسَـباً وأَعْطَـاهُمْ لتالِـدِ

مِنْـكَ العَطَـا فَـأَعْطِني ... وَعَلَـيَّ حَمْـدُكَ فـي المَشَـاهِدِ

فقال طلحة: احتكم، فقال: بردونك الورد وغلامك الخباز وقصرك بـزرنج وعشـرة آلاف درهم، فقال لَهُ طلحة: أفٍّ لك لم تسلني على قدري، إنما سألتني على قدرك وقدر بأهله لـو سألتني كل قصر لي، وعبد لي، ودابة لي، لأعطيتك، ثم أمر لَهُ بما سأل، و لم يزده شيئاً، ثم قال صحة. تالله ما رأيت مسألةً محكم ألأم منها.

روي الدارقطني بإسناده في الأفراد عن النبي (ﷺ) أنه قال: «**اقبلوا الكرامة، وأفضل الكرامة**

---

(١) ديوان كثير عزة ١١٣.

الطِّيب، أخفه محملاً، وأطيبه رائحة»[1].

لقد أجاد، وأحسن عبيد بن أيوب حَيْثُ قال: [الطويل]

وَأَوَّلُ خُبْثِ المَالِ خُبْثُ تُرابِهِ ... وَأَوَّلُ لُؤْمِ المَرْءِ لُؤْمُ الحَوائِلِ

وكذا، قول بشار بن برد[2]: [الطويل]

وَبَدْءُ فَسَادِ الطِّفْلِ مِنْ عِرْقِ أُمِّهِ ... وَحَاضِنَةٍ تَغْذُوهُ بالذُّلِّ والمَلَقِ

قيل: إنَّ زياد بن ظبيان، قال لابنه عبيد الله، وهو غلام، وأبوه لما به حين نزل به الموت: ألا أوصي بك الأمير زياد؟ قال: لا، قال: ولِمَ؟ قال: لأنه إذا لم يكن للحيِّ إلا وصية الميت. فالحي هو الميت. ولما وفد عمر بن سعيد بعد وفاة أبيه على معاوية بن أبي سفيان، قال لَهُ معاوية: إلى مَنْ أوصى بك أبوكَ؟.

فقال: إنَّ أبي أوصى إليَّ، ولم يوصِ بي، قال: فما كانت وصيته إليك؟ قال: أوصى إليَّ أنْ أقضي دَيْنَهُ، ولا يفقد إخوانه منه إلا عينه، فقال معاوية: إنَّ ابن سعيد هو الأشدق. ودخل المعتصم إلى دار خاقان بن أبي مزاحم عائداً له، فرأى ابنه، وهو صبي، فقال له: أيّما أحسن دار أمير المؤمنين أم دار أبيك؟ فقال: ما دمتَ في دار أبي فهي أحسن.

قال الحَجَّاج لمعلم أولاده: علِّمهم السباحة قبل الكتابة، فإنهم إن يبلغوا يجدوا من يكتب، ولا يجدوا من يسبح. وهذا أخذه من كتاب كتبه ﷺ إلى سائر الأمصار: علموا أولادكم السباحة، والفروسية ورووهم ما سار من المثل وحسن السير، ما أحسن، قول إبراهيم بن العباس الصُّوليّ شعر: [الوافر]

وَلَكِنَّ الكَرِيمَ أَنَا هِشَامٌ ... وَفِيُّ العَهْدِ مَأْمُونُ المَغِيبِ

غَنِيٌّ عَنْكَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عنهُ ... وطَلَّاعٌ إِلَيْكَ مَعَ خطُوبِ

قال الأصمعيّ: لما عاد النابغة إلى النعمان بعد أنْ لحق بآل جفنة، أُذن لَهُ في الدخول عليه، فلما انتصب بين يديه، حيَّاهُ بتحية الملك، ثم قال. أبيتَ اللعن أيُّ صاحب لَخَم، وأنت سائس الحسب وغرة الأدب، واللات لأَمْسُكَ أسمنُ من يومه، ولَعَبْدُكَ أكرمُ من قومه، ولَقَفَاكَ أحسن من وجهه، وليسارك أسمح من يمينه، ولوعدك أنجح من رفده، ولخزلك أصوبُ من جدِّه، ولنفسك أمنع من جُنده، ولاسمك أشهر من قدره، وليومُكَ أشرفُ من دهرِكَ، وَلَفِتْرُكَ أبسط

---

(١) ورد الحديث في مجمع الزوائد للهيثمي ١٨٥/٥، كنز العمال للمتقي لهندي ١٧٣٤٢.

(٢) ديوان بشار بن برد ١١٣/٣.

من شِبْره، ثم قال(١): [البسيط]

أخْلاَقُ مَجْدٍ تَجَلَّتْ مَـا لَهَـا مَثَـلٌ   في الجُودِ والنَّاس بينَ العِلْـمِ، والحَضَـرِ
مُنَـوَّجٌ بالمعـالِي فَـوْقَ مفْرقِـهِ   وفي الرَّدَى ضَيْغَمٌ في صُـورةِ القَمَـرِ

قال: فتهلل بالنعمان السوْدد، ثم أُمِر به فحشى فمه بالدُّرر، ثم قال: بمثل هذا يمدح الملوك، قيل المال يغطي عيوبك، ويزين أمرك، قال: جبريل ﷺ: قال الله تعالى: « **إنَّ هَذَا الدِّينَ ارْتَضَيْتُ لنفْسِي، ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق، فأكرموه بهما ما استطعتم**(٢)».

وقال ﷺ: إنَّ من موجبات المغفرة بذل الطعام وإفشاء السلام، وحسن الكلام. وقال ﷺ الرزق إلى مطعم الطعام أسرعُ من السكين إلى سنام البعير، وفي لفظ إلى ذروة البعير، وأنَّ الله ليباهي بمطعم الطعام الملائكة.

وروى ابن عمر قال: قال رسول الله (ﷺ): «**إنَّ لله عباداً يخصهم بالنعم لمنافع العباد، فمن بخل بتلك المنافع نقلها الله إلى غيره**»(٣).

وروى أبو سعيد الخدري عن النبي (ﷺ) أنه قال: «**إنَّ الله جعل للمعروف وجوهاً من خلقه وحبّب إليهم فعاله، ووجه طلاب المعروف، ويسَّر عليهم، كما يسَّر الغيــث إلى البلــد المجدبة فيحييها، ويحيي بها أهلها**»(٤).

ورُوي أنَّه أُتِي النبي ﷺ بأسرى [بني] العنبر فأمر بقتلهم، وأفرد منهم رجلاً، فقــام علــي ﷺ، فقال: يا رسول الله، الرب واحد، والدين واحد، والذنب واحد. [١٦]، فما بال هذ من بينهم؟ فقال: «**نَزَلَ عليَّ جبريل، فقال: اقتل هؤلاء واترك هذا، فإنَّ اللهَ شكر لَهُ سخا فيه**»(٥).

قال عليٌّ ﷺ: إذا أقبلت الدُّنْيا فانفق فإنها لا تغني، وإذا أدبرت فانفق فإنها لا تبقى، وأنشد

---

(١) م ترد الأبيات في ديوان النابغة .

(٢)حديث قدسي.

(٣) ورد الحديث في: إتحاف السادة المتقين للزبيدي ١٧٥/٨، المغني عن حمل الأسفار للعراقي ٢٣٩/٣، تاريخ أصــبهان لأبي نعيم ٢٧٦/٢، تذكرة الموضوعات للفتني ٦٤

(٤) ورد الحديث في جمع الجوامع للسيوطي ٤٧٦٩، كنز العمال لمتقي الهندي ١٦٨٠٨، الدر المنثور للسيوطي ٢٥٦/٣ إتحاف السادة المتقين للزبيدي ١٧٧/٨، المغني عن حمل الأسفار للعراقي ٢٤٠/٣، قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا ٤/ تــاريخ أصبهان لأبي نعيم ٢٨٢/٢.

(٥) ورد الحديث في إتحاف السادة المتقين للزبيدي ١٧٥/٨،المغني عن حمل الأسفار للعراقي٢٣٩/٣، كنز العمال= =للمتقي الهندي ٢٠١١٢.

[البسيط]

لا تَبْخَلَنَّ بِدُنْيَا، وهي مُقْبِلَةٌ فَلَيْسَ يَنْقُصُهَا التَّدْبِيرُ، والسَّرَفُ

وإِنْ تَوَلَّتْ فأحْرَى أنْ تَجُودَ بها فالحَمْدُ منها إذَا ما أدْبَرَتْ خَلَفُ

دفع رجلٌ إلى الحسين بن علي ﷺ رقعة فقال: حاجتك مقضية، فقيل: يا ابن بنت رسول الله، لو نظرت في الرقعة، ثم رَدَدْتَ الجواب على قدر ذلك، فقال: يسألني الله عن ذل مقامه بين يدي، حَتَّى أقرأ رقعته.

قال حذيفة: رُبَّ فاجرٍ في دينه أخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته، وقال الحسن البصري: بذل المجهود في دفع الموجود منتهى الجود. وقال عمر بن عبد العزيز بن مروان إذا الرجل أمكنني من نفسه، حَتَّى أمنع معروفي عنده فيده عندي مثل يدي. وقال المهدي لشبيب بن شبة: كيف رأيت النَّاس في داري؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ الرجلَ ليدخل راجياً، ويخرج راضياً، ويمثل رحل عند عبد الله بن جعفر بهدين البيتين: [الكامل]

إنَّ الصَّنِيعَةَ لا تكونُ صنيعةً حَتَّى يُصَابَ بها طريقُ المَصْنَعِ

فإذَا اصْطَنَعْتَ صَنِيعَةً فَاعْمَلْ بها للهِ أو لِذَوِيا القَرَابَةِ أوْدِعِ

فقال عبد الله بن جعفر: لَمَنْ هذان البيتان؟ إنهما لبخلان النَّاس، ولكن أمطروا بالمعروف مطراً، فإن أصاب الكرام كانوا لَهُ أهلاً، وإنَّ أصاب اللئام كُنْتَ أنتَ لَهُ أهلاً. وروي أنَّ عبد الله بن الزبير بعث إلى عائشة (ﷺ) بغرارتين فيها مال قدره ثمانون ومائة ألف درهم، فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين النَّاس، فلما أمست قال: يا جارية، فطوري، فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها أُمُّ درَّة: ما استطعت فيما قسَّمت اليوم أنْ تشتري لنا بدرهم لحماً تفطرين عليه؟ قالت: لو كنت اذكرتيني لفعلت.

وروى أبان بن عثمان: أنَّ رجلاً أراد يصيِّر لعبيد الله بن عباس فأتى وجوه قريش، فقال: يقول لكم عبيد الله بن عباس تغدوا عندي اليوم فأتوه، حَتَّى ملأوا الدار، فسأل عن ذلك فأخبروه بالخبر فأمر عبيد الله بشراء الفاكهة وأكلوا.

ثم أمر قوماً فطبخوا وخبزوا، ثم فرغ من الطعام فقدم على الموائد فأكلوا، حَتَّى صدروا، فلما حرجوا قال عبيد الله لوكلائه أموجود هذا كل يوم إذا أردته؟ قالوا: نعم، قال: فليتغدها ولأكل يوم عندنا، قال النبي ﷺ: «**عز المؤمن استغناؤه عن النَّاس، ومن ينفق الساعات في**

جمع ماله، مخافة فقر فالذي فعل الفقر»[(١)].

قيل لعتابي، وهو أبو عمرو بن كلثوم بن عمرو إنك تلقى العامة ببشرٍ، وتقريب، فقال: دفع صغينة بأخف مؤونة واكتساب إخوان بأهون مبذول.

مدحَ أعرابي قوماً فقال: جعلوا أم، واهم مناديل لأعراضهم فالخير لهم قائد، والمعروف لهم شاهد، يعطون بطيب أنفسهم إذا طلب إليهم، ويباشرون المكروه بإشراق وجوه، إذ نفى النَّاس عليهم، وذكر أعرابي قوماً فقال: كانوا ليوث حرب، وغيوث جدْب، إن أعطوا أعنوا كأنَّ الدهر عجل لهم ما أخَّر غيرهم.

عن عائشة (ﷺ) قالت: كان يقال في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق.

قال أبو عبَّاد: كان المأمون قد استقل مكاني، وأراد أنْ يكون انصرافي عن اختيار مني، فقال لي يوماً: لعلك قد اشتقت إلى أهلك فإن كان، فقد أذن لك أمير المؤمنين فأنشدته: [الطويل]

فَإنّي ودار أَنْـتَ فيهـا ابْـنُ مَعْمَـر كَمَكَّةَ لَم يَطْـرَبْ لشَـوْق حَمَامُهـا

إذا اخْتَـرْتُ داراً للمقَـام ارْتَضَـيْتُها لَنفْسـي و لم تَكْبـرْ علـيَّ مَقامُهـا

قال فأضرب عن ذلك، و لم يذاكرني به بعد ذلك، قال العباس: من وثق بالسلطان فكأنه اتكا على الماء. قال المدائني: خرج يوماً معن بن زائدة على زوّاره، فقال لهم كذُّوني بالمسألة، ولا يقل أحدكم قد سألته مرة فإني، كما قال زياد الأعجم[(٢)]:

وَأحْسَـنَ، ثم أحْسَـنَ، ثم عُـدْنَا فَأَحْسَنَ، ثم عُـدْتُ لَـهُ فَعَـادا[١٨]

مــراراً لا أعُــودُ إليــه إلاَّ تَبَسَّـمَ ضَـاحكاً وَثَنَـى الوِسَـادَا

فأقبل القوم يسألون حوائجهم، وهو يقضيها، حَتَّى أتى رجل معتزل عن النَّاس، فقال معن سل حاجتك، كما يسأل أصحابك، فقال: ليست لي دالة إلا فعلة إن ذكرتها، قال: وما هي قال: أتذكر أيُّها الأمير، وقد كنت بباب المنصور مع قوم ينتظرون الإذن، فابتدأ بحديث، فأقبل القوم عليك، فلما خرج الربيع بالإذن نهضوا عنك، وقطعوا عنك استماعهم منك، فأقبلت عليك بوجهي، وأصغيت إليك بسمعي، حَتَّى فرغت من حديثك؟ قال معن: نعم، وما أنسيت أحسنهم فأعطاه ما سأله وفضَّله.

---

(١) ورد الحديث في إتحاف السادة المتقين للزبيدي ١٦٩/٨، المغني عن حمل الأسفار للعراقي ٢٣٧/٣، كشف الخفاء للعجلوني ٧٧/٢.

(٢) ديوان زياد ص١٠٥

قال المأمون: إساءة المحسن أنْ يمنعك جدواه. وإحسان المسيء أنْ يكفَّ عنك أذاه. قال: جلس قومٌ من سروات أهل الكوفة بكباسة الكوفة فتذاكروا السؤدد بينهم، فقال عبد العزيز بن مروان: أمّا أنا فمحدِّثكم عن نفسي من غير تزكية لها، إذا الرجل أمكنني من نفسه، حتّى أصنع معروفي عنده فيده عندي قبل يدي عنده، وإذا الرجل ضافني من خوف، فلم أبذل دمي دون دمه، فقد قصرت بحسبي، ولو أنَّ أهل البخل لم يدخل عليهم من بخلهم إلاّ سوء ظنهم بربهم، في الخلف لكان عظيماً.

ذكر أنَّ طاهر بن الحسين كتب إلى المأمون يسأله من المال وغيره، مما يحتاج إليه أشياء جليلة القدر، فكتب إليه أحمد بن يوسف، عن الحسين بن منهل، وكان كاتبه: أما بعد، فإن أمير المؤمنين يكره لك أنْ تنتهي من السؤال لأحد لا يَليه إلا الردُّ، والسّلم.

دخل شبَّة بن عقال على المنصور، فقال له: مالي أراك؟، فقال شبَّةُ: والله يا أمير المؤمنين لأغيب عنك بشوق، وألقاك بشوق. فقال: لم تسألنا حوائجك، وقد عرفت مكانك، فقال: وللهِ لا أرهب محلَّك، ولا أغتنم مالَك، وإنَّ عطاءك لشرف، وإنَّ سؤالك لزين، وما بامرئ بذل وجهه لك من نَقْصٍ، ولا شَيْنٍ، فالتفت المنصور إلى ولده المهدي وغيره، فقال: التقطوا هذا الدُّر ف، والله هو أحسن منه.

.يقال إنَّ أول من اتخذ الخيش المنصور، عمله لُهُ أبو أيوب الخوزي، فقال لَهُ المصور: لو عملت الثياب لحملت من الماء أكثر [١٩]، وكانت أبرد، فاتخذ الخيش واتخذ النَّاس بعده، كتب إبراهيم ابن العباس إلى محمد بن عبد الملك ابن الزيات، وقد حبسه كتاباً قال في آخره: [الطويل]

أَبَا جَعْفَرٍ خَفَّ حِفظُهُ بَعْدَ رِفْعَةٍ وقَصِّرْ قَلِيلاً عَنْ مَدَى غُلَوائِكَا
لَئِنْ كانَ هذا الدَّهْرُ يَوْمَاً حَوَيْتَهُ فإنَّ رجائي في غدٍ كَرَجَائِكَا

ثم كتب في آخره أَيُّها الوزير: كان لي فيك أملان هما لك، والآخر بك، فأما الذي لك، فقد بلغته، وأما الأمل بك فأرجو أنْ يحققه الله، ويوشك به البقاء، كان يقال من أمَّل رجلاً هابه، ومن قصَّر عن شيء عابه، قيل لخالد بن صفوان: أي الإخوان أوجب عليك؟ قال: من سدَّد خللي، وغفر زللي، وقبل عللي.

قيل للعتابيِّ: ما يمنعك من النساء؟ فقال: مكابدة العفَّة أيسر من الاحتيال لمصلحة العيال، يقال: أول المروءة طلاقة الوجه، والثانية التودُّد، والثالثة قضاء الحوائج لبعضهم: [البسيط]

أَلَيْـــسَ أَجلِـــسُ إلا دُونَ مَـــرْتَبَتِي ... وَأَنْ أُزاحِـــمَ، حَتَّـــى يُفْـــتَحَ البـــابُ

كَـــي لا يُبَاعِـــدَ إِن قَرَّبـــتُ مَنْـــزِلَتِي ... ولا يـــــواجهُنِي بـــــالرَّدِّ بَـــــوَّابِ

قال المأمون لليزيديّ عن ابنه العباس: فقال: لا يفلح أبداً. فقال: من أين عرفت ذلك، وقـد أمرتك بتأديبه؟ فقال: ناوله الغلام أشناناً، ليغسل يده فاستكثره وردّه إلى الأشنناداته، و لم يلقه في الطشت فعلمت أنه بخيل لا يسود، فلا يصلح للملك. قال بعض الحكماء الصبر على مرارة الأمر إبقاء الحلاوة عاقبته.

يقال شيئان لا يفترقان، الحرص، والشر، وشيئان لا يجتمعان القناعة، والحسد، قيل لقيس بن عاصم: بمَ سُدْتَ قومكَ؟ قال ببذل القرى، وترك المراء واحتمال الأذى ونصرة المولى، قيل لبعض الحكماء: متى يكون الأدب شراً من عدمه، فقال إذا أكثرت الأدب ونقص العقل، وإني لأكره زيادة منطق على عقلي، قال أبو العتاهية[1]: [الطويل]

إِذَا كُنْتَ عَنْ أَنْ تُحْسِنَ الصَّمْتَ عَاجزاً ... فَأَنْتَ عَنِ الإِبْـلاعِ بـالقَوْلِ أَعْجَـزُ

يَخوضُ أُنـاسٌ في الحـديثِ لِيُـوجِزُوا ... وللصَّمْتِ في بعضِ الأحـايينِ أوْجَـزُ

ولقد أحسن بعضهم في قوله: [٢٠] [الوافر]

بَدَاهَتُـــــهُ وَفِكْرَتُـــــهُ سَـــــواءٌ ... إذا مـــا نَابَـــهُ الخَطْـــبُ الكَـــبيرُ

وأَحْـزَمُ مـا يَكُـونُ الـدَّهْرُ رَأْيـاً ... إذا عَمِـيَ المُشَـاوِرُ، والمُشِـيرُ

قال المنصور: عقوبة الحكماء التلويح، وعقوبة السفهاء التصريح، يُقال: إنه جرى بين شهراء المروزي وبين أبي مسلم صاحب الدولة كلام، فما زال يترقى بينهما إلى أن، قال لَهُ: شهرام: يا لقيط، فصمت أبو مسلم وندم شهرام، فأقبل عليه معتذراً إليه، فلما رأى أبو مسلم ذلـك قال: لسان سبق، ووهم أخطأ.

وإنما الغضب شيطان، وأنا جرَّأتك باحتمالي إياك، فإن كنت معتمداً، فقد شاركتك فيه، وإنْ كنت مغلوباً فالعذر يسعك، وقد عفونا عنك على كل حال، فقال شهرام أيُّهَا الأمير: عفـو مثلك لا يكون غروراً، قال أجل، قال فإن عظيم لا يدع قلبي يسكن، وألحَّ في الاعتدار، فقال له: يا عجباً كنت تُسيء، ونحن نحسن إليك فكيف نُسيء إليك، وأنت تحسن.

كتب محمد بن مهران إلى بعض الأمراء: إنَّ أحقَّ النَّاس بالإحسان، مـن أحسـن الله إليـه.

---

(١) لم يرد البيتان في الديوان.

وأولاهم بالإنصاف من بسط القدرة يده فاستدم ما أوتيت من النعم بتأدية ما عليك من الحق.

ذكر أنَّ امرأةً من قريش كان بينها وبين رجل خصومة، فأهدت إلى عمر فخذ جزور، ثم خاصمته إليه فتوجه الحق، والحكم عليها، فقالت يا أمير المؤمنين: افصل بيننا، كما يفصَّل فخذ الجزور فقضى عليها، ثم قال إياكم، والهدايا فإنها تذل الأعناق.

وروي أنَّ عمر (رضي الله عنه) قسَّم حللاً بين الصحبة كل رجل ثوباً،فصعد عمر المنبر وعليه حُلّته، والحُلّة ثوبان. فقال: أيُّها النّاس ألا تسمعون؟، فقال سلمان الفارسي رحمه الله: لا نسمع، ولا نطيع، فقال عمر: يا عبد الله ولِمَ؟ قال: لأنكَ قسمت على كل رجل منّا ثوباً وخرجت علينا في ثوبين، فنادى يا عبد الله بن عمر فقال. لبَّيْكَ يا أمير المؤمنين. فقال: أنشدك الله، الثوب الذي آثرت به ثوبك.

قال: اللهم نعم، فقال: أما الآن فقل نسمع.كان بعض الملوك إذا شاور مرازبته في رأي فقصَّروا، دعي الموكلين بأرزاقهم فعاقبهم، فيقولون تخطئ مرازبتك فتعاقبنا هذا ما لا يليق بعدلك. فيقول: نعم لم يخطئوا إلاَّ لتعلّق قلوبهم بأرزاقهم، فقد شغلتم قلوبهم بالتوقف فيما يوبهم، وإذا اهتموا [٢١] انزعجت خواطرهم، وتكدّرت قرائحهم أخطأوا، أنشدنا الرياشي[1]: [البسيط]

وعاجزُ ذا الرأي مضيّاعُ لِفُرْصَتِهِ ... حَتّى إذَا فَاتَ أَمْرٌ عَاتَبَ القَدَرَا

وكان ابن الزبير يقول: لا عاش بخير من لم يرَ برأيه ما لم يرَ ثني الله سبحانه على نبيِّه إسماعيل، فقال: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [مريم:٥٤].

فقدم صدق الوعد على كل فضيلة. [البسيط]

وَلَوْ عَلَيْكَ إتِّكَالي في العَرَاءِ إذنْ ... لكنتُ أولَ مدفُونٍ مِنَ الجَزَعِ

في مثله: [المتقارب]

وقد علمَ الضَّيفُ، والطَّارقونَ ... بأنَّكَ لضَّيفِ جُوعٌ وَقُرُّ

قال مسلمة بن قتيبة: إني لأهب الرجل مائة درهم، فأربُّ تلك المائة بألف، مخافة أنْ يذهب شكري فيها.

قال مسلمة بن عبد الملك: ما أزال في فسحة من أمر الرجل، حَتَّى يتقدم إليه مني يدٌ، فإذا فعلت فليس عندي، والله إلا ربُّها أبداً عليه، حَتَّى الممات. لبعض الشعراء في معناه: [الطويل]

(١) ديوان الرياشي، ص٧٦.

وَسَمتْ أُمــراءُ بــالعُرْفِ، ثم تَرَكتْــهُ   وَمَنْ أَحْسَنَ المعروفَ رَبُّ الصَّــنائعِ

آخر يهجو أخاه: [الوافر]

أبــوكَ أبي، وأنــتَ أخــي ولكــنْ   تَفَاضَــلَتِ الطَّبَــائِعُ، والصُّــنُوفُ
وَأُمُّــكَ حِــينَ تُنْسَــبُ أُمُّ صِــدْقٍ   وَلَكِــنَّ ابْنَهَــا طَبْــعٌ سَــخِيفُ
وَقَومُــكَ يَعْلَمُــونَ إذا التَقَيْنَــا   مَــنْ الْمرْجُــوُّ مِنَّــا، والمُخِيــفُ

آخر هجا أخاه: [الطويل]

غُلامٌ أتاهُ اللــؤمُ مِــنْ عِنْــدِ نَفْسِــهِ   وَلَــمْ يَأْتِــهِ مِــنْ نَحْــوِ أُمٍّ ولا أبِ

المبرد قال: دخلت على أبي أيوب سليمان بن وهب، وهو متولي ديوان الخراج وبحضرته شاعر يمتدحه فسمعته ينشده: [الطويل]

أَتَيْتُ بنَ وَهْبٍ أَبْتَغِــي فَضْــلَ عُرْفِــهِ   وَمَا زَالَ حُلْوَ الْمَنْعِ حُلْــوَ الْمَوَاهِــبِ
فَــأَمْنَحْني عِــزَّ حَجَتِــي بِطَلاقَــةٍ   سُكوتٌ بهَا عَنْ مُتَعَّسَاتِ الرَّغَائِــبِ

فاستحسنها، فلما خرج الشاعر قال ابن وَهْب، هل سمعتَ من سبق إلى مثل هــذا؟ فقلــت نعم، أنشدني المازني بعض المحدثين: [٢٢] [الطويل]

وَأَبْيَضَ ذي لَوْنَيْنِ أثنــاء قَوْلِــه بعــادٍ   وتقريــبٌ، ويــأسٌ ومَطْمَــعُ
إذا أَمَّهُ الرَّاجِــي انــثَنى عــن فِنائِــه   وَفُوهُ منَ التَّفْــرِيطِ مــلآنُ مُتْــرَعُ
بــلا جِــدَّةٍ نَالَــتْ يَــداً مُسْــتَحِقَّها   سوى أَنَّهُ هشٌّ، وإنَّ كَــانَ يَمْنَــعُ

قال بعض البلغاء: أوسع ما يكون الكريم مغفرة إذا ضاقت بالمذنب المعذرة، سأل أبو العينا رجلاً كان يصاحب الحسن بن مخلد عن حاله معه، فأقبل الرجل يشكره،فقال لَهُ أبو العيناء لسان حالك يكذب لسان شكرك.

قال رجلٌ لابنه تدري لِمَ سميتك معروفاً؟ قال: لا يا أبت، قال: لئلا تنسَى اسمك.

ذمَّ أعرابي رجلاً فقال: صغُره في عيني كبْر الدُّنْيَا في عينيه، وقال بعض الزُّهَّاد للمأمون: إنَّ لا لم يرضَ لك أنْ يجعل أحداً فوقك، فلا ترضَ أنْ يكون شكر أحد فوق شكرك.

قال المنصور لمسلم بن قتيبة: ما ترى في أبي مسلم؟ يعني صاحب الدولة فقرأ، ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾ [الأنبياء: ٢٢].

فقال له: حسبك.

قيل لبعض الحكماء: من أحقّ بالرحمة؟ قال: رجلان عاقل بُليَ بجاهل وكريم بُليَ بلئيم، قال معاوية: لقد كنتُ ألقى الرجل من العرب، أعلم أنّ في قلبه عليّ ضغناً فيثوب إليّ منه، بقدر ما يجد في نفسه، فلا يزال يوسعني شتماً، وأوسعه حلماً، حتّى يرجع لي صديقاً، فأستنجده فينجدني.

قال بعض الأدباء: الأيادي ثلاثة: يدٌ بيضاء، وهي الابتداء بالنعمة، ويدٌ خضراء، وهي المكافئة على النعمة، ويدٌ سوداء، وهي المنُّ بالنعمة.

قال ابن عباس (ﷺ): المعروف أوثق الحصون، وأفضل الكنوز، وأزكى الزروع، وأرشد الأمور غير أنه لا يصلح إلاّ بثلاث، قيل ما هي؟ قال: تعجيله، وتقصيره، وستره، فإنك إذا عجلته، فقد هنَّأته، وإذا صغَّرته، فقد عظَّمته، وإذا سترته تممته، يقال: إنَّ مَنْ سمع الفتى الطيب، فلم يطرب فهو عديم حسٍّ، أو سقيم نفس.

قال عمر بن هارون الصوفي: سمعتُ رجلاً سأل ابن عيينة يا أبا محمد أريد أنْ أتزوج امرأة. فقال: إيَّاك، والجمال الغابر، وعليك بالأوسط فإن الشاعر يقول: [٢٣] [البسيط]

وَلَيْسَ مِنْ رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ مونقةٍ   إلاّ وَفِيها لَعَمْري أَثَرٌ مَأْكُولُ

وقال جعفر بن محمد الصادق ﷺ: إذا استرذل الله عبداً أحرمه الأدب، وقال: ما وهب الله لامرئٍ هبة من عقله، ومن أدبه، هما حياة الفتى فإنْ فُقدا فقده للحياة التوبة.

قُدّم أسرى إلى الحَجّاج فأمر بقتلهم، فقام رجلٌ منهم فقال: يا حجّاج لئن كنا أسأنا في الذنب، فما أحسنت في العفو، فقال الحَجّاج: آنَ لهذه الجيف، أما كان فيهم أحد يحسن أنْ يتكلم بمثل هذا، ثم أمسك عن القتل، وأطلقه لبعض الشعراء: [الطويل]

يُذَكِّرُ نَيلُ الخَيرِ والشَّرِّ والنَّدى   وَقَوْلُ الخنا والعِلْمِ والحِلْمِ والجَهْلِ

فَأَلْقَاكَ في مَذْمُومِها مُتَنَزِّهاً   وَأَلْقَاكَ في مَحْمُودِها وَلَكَ الفَضْلُ

يقال المظلوم حسن الظن بالأيام، والظالم وحل القلب بالانتقام، لا خير في وعد مبسوط وإنجاز مربوط. قيل لما قدم عمر الشام تلقاه معاوية في جيش عظيم، فلما دنا منه قال: أنت يا معاوية صاحب هذا الجيش، والموكب؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين قال: مهما يبلغني من وقوف دوي الحاجات ببابك، فقال: مهما يبلغ من ذلك فقال: لِمَ تفعل هذا؟ قال: نحن بأرض جواسيس العدو فيها كثير، فيجب أنْ نظهر من عزّ السلطان ما نرهبهم به، وإنْ نهيتني انتهيت، قال عمر: ما أسألك عن شيء يا معاوية

ألا تركتني في مثل رواجب الأصابع فإن كان ما قلت حقاً إنه لرأي أريب، وإنْ كان باطلاً إن لخديعة أدّيت، قال فمرني بأمرك يا أمير المؤمنين.

قال: لا آمرك، ولا أنهاك، فقال رجلٌ ما أحسن ما صدر الفتى عما أورده، فقال: لو لم تحسر موارده ومصادره ما حشمناه ما حشمناه، وتكلّم المعافى يوماً في مجلس أبي تمام الزينبي فأحسن فقال أبو تمام: هذا حديث كماء المُزْن، وافقه الصّادي، أنت، والله، كما قال الشاعر [البسيط]

إنْ قالَ بِسِمَ يَهْوِي جَمِيعُهُمُ ... وإنْ تَكَلَّمَ يَوْماً سَاخَتِ الكَلِمُ [٢٤]

قال المعافى: أيُّهَا السيِّد حصرت عليَّ الواسع من الكلام على هذا التفضيل، إني لا أطمع في لفظ ومعنى يفيان بقدرك، وإذا كان الانتهاء بعد الكدّ إلى الفخ، كان الابتداء به أقرب إلى العذر، وما أقول فيك، والنبوة أصلك، والخلافة فرعك، والعلم دَيْدَنك، والحلم طبعك والعالم على ما أقول شهودك.

أبقانا الله لك خدماً، كما جعلك لنا علماً، تناظر شريف بنفسه وشريف بنسبه، فقال له الشريف بنفسه أنت آخر شرف وخاتمهُ، وأنا أول شرف وفاتحتهُ، وتناظر آخران في هذا المعنى، فقال أحدهما: شرفك إليك ينتهي وشرفي مني يبتدئ لبعضهم:

بِهِمْ مِثْلُ مَا بالنَّاسِ لكنَّ بَرْدَهُمُ ... حَيَاءٌ وعَفَافٌ عن دُنَاةِ المَاكِلِ

إذا الجَذْبُ أنسى العِفَّةَ النَّاسَ أذْنَبَتْ ... وحَامَتْ عل الأنْسَابِ بكرُ بنُ وائلِ

قال رجلٌ لعليّ بن أبي طالب (ﷺ) وهو يخطب: يا أمير المؤمنين صف الدُّنْيَا لنا، فقال: م أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء، حلالها حساب، وحرامها عقاب، مَنْ صح فيها أمن ومن مرض فيها ندم، مَنْ استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن.

وقف بعض الزُّهّاد على رجل يضحك النَّاس، فقال: يا هذا أما علمت أنْ لله يوماً يُحشر فيه المبطلون، فلم تزل تعرف الكلمة في قبل الرجل، حتّى مات.

قال بعض الحكماء: مَنْ كرُمت عليه نفسه صغُرت الدُّنْيَا في عينه، روي أنَّ دخل الهذيل بن زفر على يزيد بن المهلب في حمالات[1] لزمته، فقال له: إنه عظم شأنك، أنْ يُستعان بك، أو يستعان عليك، ولست تصنع شيئاً من المعروف إلا، وأنت أكبر منه، وليس العجب من أن تفعل، ولكن العجب من أنْ لا تفعل.

---

(١) الحمالات: الديات، النسان (حمل).

وسأل بعضهم إنساناً في حاجة، فقال: إني مشغول عنك بكثرة الأشغال، فقال: لـولا أنـك مشغول بأشغالك هذه لما جئتك في شغل، ثم أنشده: [الطويل]

فَلاَ تَعْـتَـذِرْ بالشُّـغْلِ عَنَّـا فَإِنَّمَـا   تُنَاطُ بكَ الأَشْغَالُ ما اتَّصَلَ الشُّـغْلُ

وسئل رجلٌ لأسد بن عبد الله فاعتل عليه، فقال: أيُّها الأمير إني سألتك من غير حاجة، فقال: وما حملك على ذلك؟ فقال: [٢٥] رأيتك تحب من لك عنده حسن بلاء، فأحببت أنْ أتعلق منك بحبل مودة، واحتجت بعض الأمراء عن وافد إليه فكتب الوافد: اضرورة، والأمل أقدماني عليك ومع العدم لا يكون صبر عن المطالبة، والانصراف بغير فائدة شماتة الأعداء، فإنما نعـــم مثمرة، أو فلاة مريحة، والسلام.

روي أبو هريرة عن النبي (ﷺ) أنه قال: «**ثلاث مَن كن فيه أدخله الله في رحمته وآواه الجنة، وكان في كنفه: من إذا أعطي شكر، وإذا قدر غفر، وإذا غضب فتر**».

قال ابن الزبير جاء رجل إلى الأحنف بن قيس، وهو جالس في المسجد،فلطم عينه، فأخذ الأحنف عينه بيمينه، وقال بسم الله ما شأنك؟.

فقال لا، والله، إلا أنَّ رجلا من بني تميم لطمني، فحلفت بالله لأقتص من سيد بني تميم فقال: ويحك فهلا ذهبت إلى جارية ابن قدامة، فقد تضمن هذا حلم الأحنف، وتواضعه، وكيف أعتقد أنَّ غيرة السيد ونصحه للرجل؟ كيف حلف ليقتص من سيدهم؟ فأرشده إلى جارية ابن قدامه ليبرَّ قسمه وإلا، فما كام قصده ‌أنْ يؤذي جاره ابن قدامه، لأن هذا مما لا تليق بحلمه وعقله، ووقاره. كان ابن عطا يقول: الاحتيال في دفع البلاء زيادة في البلاء لبعضهم: [الطويل]

وكنتُ سعيدَ الجدِّ، إذ كنتُ حاضرٌ   وَمَن يَقْتَـربُ مـنكُمْ فـداكَ سـعيدُ

سأسـتعتبُ الأيَّـامَ فيـكَ لَعَلَّهَـا   بَبعضِ الـذي كُنَّـا عليـه نَعـودُ

أخبرنا شيخنا الإمام ناصح الإسلام أبو الخطاب محفوظ بن أحمد الكلوذاني رحمه الله قال: أخبرنا أبو علي الحسن الحاذجي قال: حدثنا المعافى بن زكريا الحريري قال حدثنا محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثنا ابن المرزبان،قال: حدثنا أبو عبد الرحمن الجوهري قال: حدثنا عبد الله بن الضحاك، قال: حدثنا الهيثم بن عدي عن عوانة بن الحكم قال: لما استخلف عمر بن عبد لعزيز (ﷺ) وفد [٢٦] الشعراء إليه.

فأقاموا ببابه أياما لم يؤذن لهم، فبيناهم كذلك يوما، وقد أزمعوا على الرحيل، أمر بهم رجاء

س حيوة، وكان من خطباء أهل الشام، فلما رآه جرير واقفاً على باب عمر، أنشأ[1] يقول:

يَا أَيُّهَـا الرجـلُ المُرْخـي عِمَامَتَـهُ   هذا زَمَانُكَ فاستأذنْ لنـا عُمَـرا

قال: فدخل، و لم يذكر من أمرهم شيئا، ثم مر بمم عدي بن أرطاه فقام إليه وقال[2]:
[البسيط]

يَا أَيها الرجلُ المُرخي مَطيّتـهُ   هَذا زمانُـكَ قَـد مَضَـى زَمَنـي

أَبْلـغْ خليفتَنَـا إن كُنْـتَ لاقيَتَـه   إنّي لدَى البَابِ كَالْمَصْـفُود في قَـرْنِ

لَا تَـنسَ حاجتَنَـا لُقّيـتَ مَغْفـرةً   قَدْ طَالَ مكثُني عَنْ أَهلي وَعَنْ وَطَـني

قال: فدخل عدي على عمر رحمه الله، فقال: يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك وسهامهم وأقوالهم نافذة، فقال: ويحك يا عدي مالي، وللشعراء، قال أعز الله أمير المؤمنين، إن رسول الله (ﷺ) قد امتدح فأعطى، ولك في رسول الله (ﷺ) أسوة حسنة، فقال كيف قال امتدح العباس بن مرداس السلمي، فأعطاه حلة قطع بما لسانه، قال: أتروي من شعره شيئاً ؟ قال نعم، فأنشده[3]: [الطويل]

رأيتُـكَ يـا خَيْـرَ البَرِيـةِ كلّهَـا   نَشَرْتَ كتَابَـاً جـاءَ بالحقِّ مُعْلَمـا

شَرَعْتَ لَنا دينَ الهُـدى بعْد جوْرنا   عَنِ الحَقِّ لَمَّا أصبـحَ الـدينُ مُظْلَمَـا

وَنَوَّرتَ بالبرهـانِ أمـراً مُدمَّسـا   وَأطفـأتَ بالبرهـانِ نـاراً تَضـرّما

فَمَنْ مُبلـغٌ عنّـي النبيّ مُحَمَّـداً   وكُلُّ امرئٍ يُجزَى بمـا كـانَ قـدَّما

أَقَمْتَ سبيلَ الحَقِّ بَعْـدَ اعْوجَاجـه   وكـانَ قـديماً رُكنُـهُ قَـدْ تَهَـدَّمَا

تَعَالى عُلُـوّاً فَـوْقَ عَـرْشٍ إلهُنَـا   وكانَ مكـانُ اللّـهِ أعـلاً، وأعظَمـا

فقال، ويحك يا عدي من الباب مهم؟ قال: عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة، قال ألـيس هـو الذي يقول[4]:

ثُـمَّ نَبَّهتُهَـا فَقَامَـتْ كَعَابـاً   طفلَـةً مَـا تُبَيِّنُ رَجْـعَ الكَـلامِ

سَـاعَةً ثم أنّهَـا بَعْـدَ قَالَـتْ   وَيْلَتَا قَدْ عَجلتَ يا ابـنَ الكِـرَامِ[٢٧]

---

(١) ديوان جرير، ص٧٣٨، و لم يرد البيت الثالث.

(٢) ديوان جرير، ص٧٣٨ مع خلاف الرواية.

(٣) ديوان العباس بن مرداس، ص١٤٥، و لم يرد البيت الثاني، ولا لسادس في الديوان.

(٤) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص٢٠٥، وقد ورد البيتان الأولان فقط، وقيل إن الشعر منحول.

أعلى غيرِ مَوْعـدِ جئـتَ تَسري تَتخطَّـى إلى رؤوسِ النِّيـام
ما تجشَّمْتَ ما تَـرَيْنَ مِـنَ الأمـرِ ولا جئـتَ طـارقَ لحصَـام

لو كان عدو الله إذا فجر كتم على نفسه لا يدخل والله علي، فمن بالباب سواه قال همام بن غالب الفرزدق، قال: أو ليس هو الذي يقول[1]: [الطويل]

هُمَا دَلَّيـانِي مِـنْ ثَمَـانِينَ قامـةً كما انقضَّ باز أقتم الـرأس كاسِـرُهْ
فَلَمَّا اسْـتَوتْ رِجْلايَ فـي الأرضِ قالتا أَحَـيٌّ يُرجَـى أم قتيـلٌ نُحاذِرُهْ؟

لا يطأ، والله بساطي، فمن بالباب سواه؟ قال الأخطل؟ قال يا عدي هو الذي يقول[2]: [الوافر]

وَلَسْـتُ بِصَـائِمٍ رَمَضَـانَ طَوْعَـاً وَلَسْـتُ بِآكِـلٍ لَحْـمَ الأَضَـاحِي
وَلَسْـتُ بزاجِـرٍ عيسـاً بُكُـوراً إلَـى بَطْحَـاءَ مكـةَ للنَّجَـاحِ
وَلَسْـتُ بزائـرٍ بيتـاً بَعيـداً بِمَكَّـةَ أَبْتَـغِي فيهـا صَـلاحِي
ولكـني سأشـربُها شَـمولاً وَأَسْجُـدُ عِنْـدَ مُنْبَـلَجِ الصَّبَـاحِ

والله لا يدخل علي، وهو كافر أبداً. فهل بالباب سوى من ذكرت أحد ؟ قال: نعم الأحوص، قال أوليس هو الذي يقول[3]: [المنسرح]

اللهُ بَـيْني وَبَـيْنَ سَـيِّدهَا يَفِـرُّ مِنِّـي بِهـا، وأَتْبَعُهـا

عذب عليه، فما هو بدون من ذكرت، فمن هنا أيضا؟ فقال: جميل بن معمر، قال: يا عدي هو الذي يقول[4]: [الطويل]

ألاَ لَيْتَنَا نَحيَا جَمِيعـاً، وإنْ أَمُـتْ يوافِقُ في المـوتِ ضَـرِيحِي ضَـرِيحُهَا
فَمَا أنَـا في طُـولِ الحيـاةِ براغِـبٍ إذا قيلَ قَدْ سُوِّي عَلَيْهَا صَفِـيحُهَا

فلو كان عدواً لله تمنى لقاءها في الدُّنْيا ليعمل صالحاً بعد ذلك، فلا، والله لا يدخل علي أبداً – فهل سوى من ذكرت أحد؟ قال: نعم جرير بن عطية أما إنه القائل[5]:

(١) ديوان الفرزدق، ص١٥٩.
(٢) ديوان الأخطل، ص٧٥٥.
(٣) لم نرد البيت في ديوان الأحوص.
(٤) ديوان جميل معمر، ص٥١.
(٥) ديوان جرير، ص٩٩٠.

طَرَقَتكِ صائدةُ القلوبِ وليسَ ذَا وقتُ الزّيارَةِ فَارجِعي بِسَلامِ

فإن كان، ولا بد فهو فائذن لجرير، فدخل عليه، وهو يقول(١): [الكامل]

إن الذي بعث النبي محمداً جعل الخلافة في الإمام العادل

وَسِعَ الخلائقَ عدلُهُ، ووقارُهُ حتَّى ارْعَوَى، وأقَامَ مَيْلَ المَائِلِ [٢٨]

إنِي لأرجُوِ منكَ برّاً عاجلًا والنفسُ مولعةٌ بِحُبِّ العَاجِلِ

فلما مثل بين يديه قال: ويحك يا حرير اتقِ الله، ولا تقل إلا حقا فأنشأ يقول(٢): [البسيط]

أاذكرُ الحمدَ والبلوَى التي نَزَلَتْ أَمْ قدْ كَفاكَ الّذِيَ بَلَغْتَ منْ خَبَري

كَمْ باليمامةِ مِنْ شَعْثَاءَ أَرْمَلَةٍ وَمَنْ يتيمٍ ضَعيفِ الصّوتِ والنَصرِ

مِمَّنْ بِعَدْلكَ يكفي فقد والدهِ كالفَرْخِ فّي العُشّ لم ينهضْ ولم يطرِ ي

يَدعوكَ دَعوةَ مَلهوفٍ كَأَنَّ بِهِ خَيْلاً مِنَ الجِنِّ أو مَسّاً مِنَ البَشَرِ

خليفةَ اللهِ ماذا تَنظرونَنَا لَسْنَا إليكمُ، ولا فِي دارِ مُنتظرِ

مَا زِلْتُ أَجِدُكَ في هَمٍ يُؤْرِقُنِي قَدُ طالَ في الَحيّ إصْعادي ومُنْحَدَرِي

لاَ يَنْفَعُ الحَاضِرُ المَحْمُودُ بَادِيَنَا ولا يعودُ لنَا بادٍ عَلى حَضَرِي

أَنا لنرجو إذا مَا الغَيْثُ أخلفَنَا مِنَ الخليفةِ ما نرجُو مِنَ المطرِ

نالَ الخِلاَفَةَ، إذ كانتْ على قَدَرٍ كَمَا أَتِي ربّهُ موسى علَى قَدَرِ

هذي الأراملُ قد قَضَيتَ حاجتَهم فَمَن لِحَاجَةِ هذا الأرمَلِ الذّكَرِ

الخيرُ مَا دمتَ حَيّاً لاَ يُفَارِقُنا بوركتَ يا عُمرَ الخيراتِ يَا عُمَرِ

قال يا جرير ما أرى لك فيما هاهنا حقاً، قال مآبي يا أمير المؤمنين: أنا ابن سبيل منقطع بي فاعطاه من صلب ماله مائة درهم. وقد ذكر أنه، قال: لَهُ، ويحك يا جرير، لقد ولينا ألينا هذ الأمر، ولا نملك إلا ثلاثمائة درهم مائة أخذها عبد الله، ومائة أخذها أم عبد الله، ومائ موجودة، يا غلام أعطه المائة الباقية.

قال: فأخذها وقال: هي، والله خير لي من جميع ما اكتسبته طول عمري، ثم خرج، قال لَهُ الشعراء: ما وراءك يا جرير؟ قال: ما يسؤكم، خرجت من عند أمير المؤمنين، وهو يعطي

---

(١) ديوان جرير، ص٧٣٧، مع احتلاف في لرواية.

(٢) ديوان جرير، ص٤١٢، مع احتلاف في لرواية بشكل مغاير لما ورد في الديوان.

الفقراء، ويمنع الشعراء وإني عنه لراض، ثم أنشدهم[1]: [الطويل]

رأيتُ رُقـي الشـيْطانِ لاَ تَسْـتَفِزُّهُ ... وَقَدْ كان شيطاني مِـنَ الجِـنِّ رَاقِيـاً

احتاز صديقان على دار خالد بن صفوان، فَعَرَّج أحدهما إليه وعبر الآخر فقبل لَهُ في ذلـك، فقال: عرّج هذا لفضله، وعيَّر ذاك لثقته. لبعضهم: [الكامل]

وإذا الفـتى قَعَـدَتْ بـه أيامُـهُ ... لَمْ ينتَعِشْ إلاّ بِعَـوْنِ كَـريم[٢٩]

فأعِنْ على الـزَّمنِ الغَشُـومِ فإنّمـا ... يُدْعَى العَظِـيمُ لِـدفعِ كُـلِّ عَظِـيمِ

ولبعضهم: [الكامل]

وَلَقَدْ تَبَسَّـمتَ النَّجـاحَ لِحَـاجَتِي ... فـإذا لَهـا مِـنْ راحتيـكَ نَسِـيمُ

وَلَرُبَّمـا استيأسْـتُ، ثم أقـولُ لاَ ... إنَّ الَّذي ضَمِنَ النَّجَـاحَ كَـرِيمُ[٢٩]

قال بكر بن محمد بن المازني: قال إسحق بن عيسى الهاشمي لجلسائه أنا أعلم أنَّ في منازلكم، ما تأكلون من خبز ولحم وإنما تُطيب المجالس بالتبذُّل فانتزعوا تيـابكم - لابـن كُناسـة: [المنسرح]

فِي انْقِبَـاضٌ وَحِشْـمَةٌ فـإذا ... صَـادَفْتُ أَهْـلَ الوَفَـاءِ، والكَـرَمِ

أرسَلْتُ نَفْسِـي علـى سَـجِيّتِها ... وَقُلْتُ مـا قُلْـتُ غَيْـرُ مُحتَـشِمِ

روي أنَّ المأمون قال لعبد الله بن طاهر: أيما أطيب مجلس، أو مجلسك؟ فقال: ما عدلت بـك شيئا يا أمير المؤمنين، فقال لَهُ المأمون: ليس إلى هذا ذهبت، إلى الموافقة في العيش، واللـذة، فقال يا أمير المؤمنين منـزلي، قال: و لم ذاك؟ قال لأني فيه، مالك، وأنا ها هنا مملوك.

قال كسرى أَنُوشرْوَان: مَن لم يكن في داره بُستان، أو قدّامه ريحان، أو هو على نَهر جار، أو عنده صبي يلاعبه فمات، فإنما موته من الغَمِّ، وقال أبو حاتم في الموافقة وحسـن الاتفـاق: [الكامل]

وَفِتْـيَةٍ قَدْ عَطَفُوا عَلَـى الإخـاءِ ... إنْ قـالَ بعـضُ لاَ أَجَـابُوهُ بـلاَ

ظُرفاً وإنَّ قالَ بَلَـى قـالوا بَلَـى ... شُخوصُهُمْ شَتَّى، وهـم نفـسُ فَتَـى

وقال أيضاً إنَّ يومَ الريح للنَّـوم، ويوم الغَيْم الصَّيد، ويوم المطر للَّهـو، والشـرب، ويـوم

(١) ديوان جرير، ص١٠٣٤.

الشمس للحوائج، وما أحسن، قول أبي نواس[١]: [الطويل]

وَلَيْسَ الغِنَى والفقرُ مِنْ حُلَّة الفَتَى ... ولكـنْ أَحَاطَتْ قسـمةٌ وحـدودُ

قال بعضهم لرجل كان يتعهده، ويواسيه بمعروفه، سل الّـذي رحمني أنْ يرحمك لي، وقد أحسن ابن أبي حفصة في قوله[٢]: [البسيط]

والرأيُ كالسيفِ يَنْبُو إنْ ضَرَبْتَ به ... في غِمْـده وإذا جَرَّدْتَـهُ قَطَعَـا

وقال حضين بن المنذر [٣٠] [الكامل]

إنَّ المُروءَةَ لَـيْسَ يُـدرِكُهَا امْـرؤٌ ... وَرِثَ المَكَـارِمَ عَـنْ أبٍ فأضَـاعَهَا

أَمَرتْـهُ نفـسٌ بالـدَّنَاءَةِ، والخَنَـا ... وَنَهتْهُ عـنْ طَلَـبِ العُلَـى فأطَاعَهـا

وَإذا أصابَ مِـنَ الأمـورِ كَرِيمـةً ... بَـني الكـريمُ لَهـا المكَـارمِ باعَهـا

وكتب المعتصم إلى عبد الله بن الحسين الحمد لله أدخلك من خليفته محل نفسه، فمالك مرتبة تسمو إليها نفسك إلا، وأنت فوقها عنده. وكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر: عافانا الله وإياك، كانت في نفسي عليك هناءة، غفرها لاقتدار عليك، وقد بقيت في قلبي عليك حرارة، وأخاف عليك منها، عند نظري إليك.

فإن أتاك ألف كتاب مني أستقدمك، فلا تقدم، فحسبك معرفة بما أنطوي عليه لك إطلاعي إياك على مالك في نفسي، والسلام. ولما كتب الضحَّاك بن قيس الخارجي إلى مروان بن محمد، لأجهزن إليك المُرد على الجرد، أجابه لأحملن إليك الكهول على الفحول.

قال الفضل بن مروان: دخلت يوماً على المعتصم، ومعي خبر من بابك كيسوة وخبر جارية حَسْنَاء أراد شراءها، فلم يمكنه، ثم تهيأ في أمرها ما يَسَّره، فبدأته بخبر الجارية لتطيب نفسه قبل أنْ أخبره بخبر بابك، فلما سمع خبر الجارية سرّه سروراً ظاهراً وقال: الآن علمت أني خليفة. ما كانت لي دنيا، ولا خلافة، وليست في ملكي أنْ أهب لها، فكأنه خف في عيني، ثم عرفته حير بابك فاسترجع، وقال أستعين عليه بالله، وبقرابتي من رسول الله، وبدولة الحق، وبمز تدبيرك يا فضل فتقل، والله في عيني وجل. قيل لمحمد بن المنذر ما تشتهي؟.

فقال محادثه محبوب، وتـنفيس عن مكروب. قيل إنَّ عُتبة بن أبي سفيان، قال لمؤدِّب ولده: بك يا عبد الكريم أول ما تبدأ به من إصلاح ولدي إصلاح نفسك، فإنَّ أعينهم معقودة

(١) ديوان أبي نواس، ص٣٢٢.
(٢) لم يرد البيت في ديوان ابن أبي حفصة.

بعيبك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبح ما تركت.

ثم علمهم كتاب الله (ﷺ)، ولا تكرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، وروِّهم سير الحكماء، ولا تنقلهم من علم إلى علم، حَتَّى يتقنوه، فإن ازدحام العلم في السمع مفضلةُ الفهم، وَكُنْ كالطبيب الأديب الدي لا يعجل بالدواء فيل:[٣١] معرفة الداء، وتمدّدهم بي، وأدِّبهم دوني، ولا تـتَّكل على عذر مني، فقد اتكلت على كفاءة منك، واستزدني بزيادتك إياهم، أزدك إن شاء الله تعالى.

ذكر هشام بن عبد الملك أنه كان عبد الأبرش الكلبي جالساً، فخرجت جارية لَهُ عليها حلة، فقال لَهُ هشام: مازحهما يا أبرش، فقال ها ما أحسن حسك لو بعتها، أو وهبتها لي. فقالـت، والله لأنت أطمع من أشعب، فقال هشام، ومن أشعب؟ قالت رجل من المدينـة يضـحك النَّاس، وحدثته من أحاديثه، وأضحكته، فقال هشام: اكتب إلى إبراهيم بن هشام بحمله إليا، فكتب الكتاب وختمه هشام، ثم مكث ساعة صامت، ثم مرّت شفتيه بشيء، ثم قال يا أبرش أمير المؤمنين هشام يكتب إلى بلد رسول الله (ﷺ) يحمل إليك مضـحك، ثم قـال شـعر: [الطويل]

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الهَوَى قَادَكَ الهَوَى إِلَـى مَـا فِيـهِ عَلَيْـكَ مَقَـالُ

.قال خالد بن صفوان: دخلت على هشام بن عبد الملك، وهو جالس على كرسي إلى جانب بركة له، وفيها رجال من أصحابه في مآزر، فقال لي: كُنْ في مثل حالهم، ففعلت، ثم خرجت فجلست، فتنفس.

ثم قال: يا خالد رب خالد كان يجلس مجلسك هذا، كان أحبَّ إِلَيَّ منك، فعلمت أنه يعني خالداً ما سألني شيئاً قط، ابتدأ ىه، وما ازدادني على عظيمة قط، فقلتُ ذلك أحري أنْ تعيده، فقال: إنْ خالداً أدل فأمل، وأحف فأعحف، ثم أنشد: [الطويل]

إِذَا انْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكَدْ إِلَيهِ بِوَجْـهٍ آخـرِ الـدَّهْرِ تُقْبِـلُ

قال سعيد بن العاص: موطنان لا اعتذار فيهما من العيِّ، إذا كلَّمتَ سفيهاً، أو أحمق، وإذا سألت حاجة لنفسي، وأنشد: [الخفيف]

رُبَّ: قَـولٍ يَهِـيجُ منـهُ جَوابـاً تَـتَمَنَّي أَنْ لا تَكُـونَ سَمِعْـتَهُ
كُلَّما خِفْـتَ مِـنْ سَـفِيهٍ جَواباً فَأَطِلْـتَ عَنْـهُ عَمَمْـتَهُ

كتب الحسن بن سهل لرجل كتاب شفاعة، فقام الرجل يدعو، لَهُ، ويشكره، فقال الحسن

علام تشكرني، ونحن نرى كتب الشفاعات زكاة مروَّآتنا وجاهنا، ثم أنشد: [٣٢] [الوافر]

فَرَضْتَ عليَّ زَكاةَ مَا مَلَكَـتْ يـدي وزَكَاة جَـاهي أَنْ أُعِـينَ، وأَشْـفَعَا

فإذا مَلكتَ فجُـدْ فـإنْ لم تَسـتطعْ فاجْهَدْ بوسْـعِكَ كُلِّـه أنْ تنفعَـا

قال رجل لعمر بن عبد العزيز لما أفضى إليه الأمر: والله يا أمير المؤمنين، لأنت أزين للخلافة منها لك، والخلافة إليك أحوج منك إليها، وما مثلك ومثلها إلا، كما قال الشاعر: [الخفيف]

وإِذَا الدُّرُّ زانَ حُسْـنَ وُجـوهٍ كانَ لِلـدُّرِّ حُسْـنُ وجْهِـكَ زَيْنَـا

وتَزِيدُ بـنَ أطيبِ الطِّيبِ طيْـباً إنْ تُمسّـهُ أَيْـنَ مثلُـكَ أيْنَـا

قيل لأفلاطون: أي شيء من أفعال النَّاس يفعل كفعل الله سبحانه، وتعالى؟ قال: الإحسان إلى النَّاس. يقال لكل جواد كبوة ولكل صارم نبوة. قال الأحوص: بلغني أنَّ بعض الملوك قال لوزرائه: اجمعوا لي علما فجمعوا لَهُ قَدْرَ وقرٍ[1] بعير، فقال من يحفظ هذا تجيروا منه كلمات وهي لا تحملن بطنك ما لا تطيق، ولا تَعْمَنَّ عملاً لست لك فيه منفعة، ولا تغترَّ بامرأة، ولا تغترنَّ بمال، وإنْ كثُر.

وقال بعض الحكماء: ثلاث خصال يسود بها المرء: العلم، والعقل، والأمانة. وخصلتان ليست لصاحبها راحة إلا مفارقتهما: الطعام المخوف، والصاحب الخائن. من كلام الفقهاء وحسن استشهادهم وافتخارهم في وقت مناظراتهم. كان العنبري، وهو عبيد الله بن الحسن، ينشد في مجلس نظره: [٢٣]

إذا أفلج على خَصْمِهِ يَهْتَـزُّ حِـينُ عَنْ حجة خصمه خوفَ الهضيمة كاهتاز

وأنشد أبو بكر بن داود لشريح في آخر كلامه: [البسيط]

لا تَحْسَبِ المجدَ تَمْـراً أَنْـتَ آكِلُـهُ لَنْ تبلغَ المجدَ، حَتَّـى تَلْعَـقَ الصَّـبْرَا

وقال الدادكي يوماً لابن طران، وهو المعاق بن زكريا في مجلس محمد بن صالح الهاشمي القاضي المعروف بابن أم شيبان: لم أفهم ما قلت، فقال ابن طران: صدقت إنك لم تفهم لم فهمت لم تناظر، ولكن علي أنْ أقول ما نفهم، وليس على أنْ أقول ما تفهم، وإنْ أبيت فبيني وبينك، قول الشاعر: [البسيط]

عَلَيَّ نَحْتُ القَـوافِي مِـنْ مَقَاطِعِهـا ومَـا علـيَّ لَهُـمْ أنْ تَفْهَـمَ البَقَـرُ

---

(١) الوقر: الحمل، اللسان (وقر).

ونظر ابن المرزبان يوماً في شيء من مذهب مالك فبان ضعفه، فأنشد أبو حامد: [٣٣] [الطويل]

وَمَنْ يبتدعْ مَا لَيْسَ مِنْ خَيمِ نَفْسِهِ   يَدعْهُ، ويغلبْهُ عَلَى النفْسِ خَيْمُهَا

وكان ابن كعب الأنصاري ينشد إذا رأى خصمه قد أعاد كلامه بلا زيادة مفيدة معه: [الطويل]

إذَا مَا انْتهى تَنَاهيْتُ عِنْدَهُ   أَطَالَ فأَمْلي أمْ تَنَاهي فَأقْصِرَا

قال أبو حامد كنت في مجلس ابن المغلس، فدخل بعض أصحاب أبي علي بن جُبران، ثم جري كلام في مسألة، فأساء صاحب ابن جُبران الأدب وجانب حسن العشرة، فأقبل عليه ابن المغلس، فقال: إن كان جراك علي قولي لك، إنك لعلم فأغنيت به علم البيطار الذي في ذنب الحمار، فَخَزي ذلك الحاضر، وتمنى أنْ تلقمه الأرض، وناظر أبو حامد أبا جعفر الأبهري فأنشد: [الطويل]

أَلَمْ تَرَ أنْ الحَقَّ يلقاكَ أبلَجاً   وإنكَ تَلْقى باطلَ القولِ لَجْلَجا

وأنشد علي بن محمد بن أيان في مناظرته: [الرجز]

عِنْدَ الرِّهَانِ يُعرفُ الضِّمارُ   ويُعْرَفُ السَّابقُ، والخَوَّارُ

وناظر أبو حامد فانبري الأبهري يتكلم مداخلا فأنشد: [الطويل]

فإنْ تَكُ قيسٌ قَدَّمَتْكَ لنصرها   فَقَدْ خَزِيتْ قَيْسٌ وذَلَّ نَصيرُهَا

ومن كلام أبي عيسى الورَّاق: من ظلم في المناظرة أنصفت منه الحجة، ومن قلَّد في مذهبه حَكَّم الخصوم في نفسه، ومن عدم القصد في نظره بَعُدَ عن إدراك بقيتة، ومن وَضع شيئاً في غير موضعه، واعتقد في غير حقيقته، فقد ظلم نفسه وعقله ودل على سوء اختياره.

وتناظر المعافى، والدادكي يوماً فكثر تنحنح الدادكي بكلام كان يوعد فيه، فأنشد المعافى: [الطويل]

وإني امرؤ لا تُقشَعِرُ ذَابَتي   مِنَ الذِّئبِ يَعْدُو أوالغُرابُ المُحجَّل

وقال أبو ظاهر الأنماطي أنا، والله معك، كما قيل: [المتقارب]

أُريهَا السُّهَى وترينِي القَمَر

وأنشد بعضهم: [الطويل]

فَلا تَـأْمَنِي سِـرِّي إذا مـا أَمِنْتُـنِي ... وَإنْ كانَ مكنونُ الهَوَى قَدْ صَفَا لَكِي

قال القاضي أبو حامد قال لي المهلبي يوماً، والمجلس غاصٌ بأعلام النَّاس، وهم يتكلمون، قل أَيُّهَا الشيخ ما عندك؟ فأنشدت: [المتقارب]

أقـول إذا اسـتنطقتني غـير معجـم ... ولا مُلجئي عياً ولا تاركاً قصـداً[٣٤]

وأسكت إجـلالاً وأصـمت عالمـاً ... وأنطـقُ بالحسـنى وأمحضـك الـودا

قال المهلبي: من يلومني على إدنائك، وتقريبك، وقلة الصبر عنك، أنت، والله العتيق[1] وغيرك المفرق.

قال أبو حامد يوماً أمر لأبي علي الشابشتي افهم عن نفسك، ثم حاول أنْ يفهم عنك جليسك، فإنك أقرب إليك من غيرك – وقال أبو زيد الحروزي لأبي عبد الملكي، وقد احتج في استدلاله بشيء: [الوافر]

إذَا لَـمْ تَسْـتَطِعْ شَـيْئاً فَدَعْـهُ ... وَجَـاوِزْهُ إلَـى مَـا تَسْـتَطِيعُ

قال الواقدي: حدثني يونس بن محمد المظفري، عن يعقوب بن عمر بن قتادة: قال: أخبرني محمد بن ثابت بن قيس بن شماس قال: كان ثابت بن قيس الأنصاري رجلاً جهوري الصوت، يحب الجمال، والشرف، وكان قومه قد شرفوه بذلك، فلما أنزل الله سبحانه على رسوله (ﷺ): ﴿**إنَّ اللهَ لاَ يَحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [لقمان:١٨].

انصرف ثابت من عند رسول الله (ﷺ) وهو ينتحب، فدخل بيته، وأغلق بابه وطفق يبكي فافتقده النبي (ﷺ) فأخبر بما فعل، فسأله عن سبب انقطاعه فقال: أنزل الله عليك: ﴿**إنَّ اللهَ لاَ يَحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [لقمان:١٨].

وأنا أحب الجمال، وأحب أنْ أَسُودَ قومي، فقال النبي (ﷺ): «**إنك لست منهم، إنك تعيش بخير، وتدخل الجنة بخير**»[2].

فلما قال ذلك رسول الله (ﷺ) خرج من بيته، وسُر بما قال له، ثم أنزل الله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ، ولا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ**﴾ [الحجرات:٢].

فرجع ثانية إلى بيته ينتحب، فدخل بيته، وأغلق بابه، وافتقده النبي (ﷺ) فسأل عنه أبا مسعود الأنصاري، فأخبره خبره، فأرسل إليه، فقال: إن الله أنزل إليك: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّـذِينَ آمَنُـوا لا**

(١) العتيق. الصديق، للسان (عتق)

(٢) ورد الحديث في المعجم الكبير للطبراني ٦٢/٢.

تَرْفَعُوا أَصْوَ تَكُمْ﴾ [الحجرات: ٢].

وإني أخاف أنْ يكون قد حبط عملي، فقال النبي (ﷺ): «**إنك لست منهم إنـك تعـيش حميداً، وتدخل الجنة شهيداً**»[1].

فكان ثابت يتوقع الشهادة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم: فلما توفي و رتدت العرب، وبعث أبو بكر الصديق (ﷺ) خالد بن الوليد إلى اليمامة، انتدب ثابت بن قيس، فعقد لَهُ أبو بكر لواءً على الأنصار، ثم مع خالد إلى أهل الردة، فشهد وقعه طلحة في أصحابه،ثم شهد اليمامة، فلما رأى انكشاف المسلمين.

قال ثابت وسالم، فحفر لنفسيهما حفرتين، فقاما فيهما، مع سالم راية المهاجرين ومع ثابـت راية الأنصار، حَتَّى قتلا، وعلى ثابت يومئذ درع كانت لآبائه، فمر بها رجل من الصـحابة فأخذها، فأري بلال بن رباح ثابت بن قيس في منامه، وهو يقول لَهُ: إني أوصيك بوصية إياك أنْ [٣٥] تقول هذا حلم فتضيعه إني لما قتلت أمس جاء رجل من ضاحية نجد وعليَّ درعي، فأخذها فأتى بها منزله فألقى عليها برمة.

وجعل على البرمة رجلاً وخباه في أقصى المعسكر على جانب خيامه فرس يسـير في طولـه، فأتى خالد بن الوليد فخبِّره فليبعث إلى درعي فليأخذها، وإذا قدمت على خليفة رسـول الله (ﷺ) فأخبره أنْ عَلَيَّ دَيْنٌ، وهو كذا وكذا، ولي من الدَّين كذا وكذا فليستقصنَّ لي وليقض عني، ومبارك وسعد غلماني حرّان لوجه الله تعالى، فسا أصبح بلال أتي خالد فخبـرّه الخـبر فبعث خالد نفراً إلى الدرع فوجدها.

كما قال، فلما قدم بلال المدينة صار إلى الصِّديق أبي بكر فأخبره بوصية ثابت، فأجازها، فلا نعلم أحد من المسلمين أُجيزتْ وصيَّتُه بعد موته إلى ثابت بن قيس الأنصاري رحمة الله عليه، قريء على دار أبي عبد الله بن مقله بعد خرابها[2]: [البسيط]

كـانوا بـأنعم عَـيشٍ في مَنـازلِهم ... أحلا المنـازلُ مـنْ سُـكانها البطَـرُ

فصـحبتُهم مِـن الأيـامِ داهيـةٌ ... صَـمَّاءَ عَمْيـاءَ لا تُبقـي ولا تَـذَرُ

---

(١) ورد الحديث في الكتب صحيح البخاري ٨/٢٢، السنن الكبرى للبيهقي ٢/٢٤٣، المعجم الكبير للطبراني ٢/٦١، مجمع الزوائد للهيثمي ٩/٣٢٢، فتح الباري لابن حجر ١٠/٤٧٨، مسند الحميدي ٦٤٩، ٦٥٠، بداية ٦/٣٧٧، كنـز العمـال للمتقي الهندي ٣٦٣٢١، دلائل النبوة للبيهقي ٦/٤٠٤.

(٢) ابن مقلة: أحد الوزراء في الدولة العباسية، استوزر ثلاث مرات، وقطعت يده ثلاث مرات، سجن ثلاث مرات، ودفن ثلاث مرات، انظر أخباره في الفهرست للنديم، وهو أعظم الخطاطين المسلمين قاطبة.

وقرئ على دار نازوك[1] بعد خرابها: [مجزوء الكامل]

أَحَسِبْتَ أَنَّ مُعَقِّبَا تِكَ مُنْجِيَاتُكَ مِنْ حِمَامِكَ
هَذا الذي صَنَعْتَ بِمِينِكَ قَدْ تَصَرَّمَ بانْصِرَافِكَ

قيل إنَّ أعرابياً دخل على أبي عبد الله، وهو إذا ذاك وزير المهدي، وقد كان للأعرابي عليه وعد فقال: أيُّهَا الشيخ السيّد إني، والله لأنسحب على كرمك. وأستوطي فراش مجدك وأستعين على نعمك بقدرك، وقد مضى لي موعدان، فاجعل النجح ثالثا أُفدك شكرا في العرب شادخ الغرَّة بادي الإفصاح، فقال أبو عبد الله: يا هذا ما وعدتك تقديراً، ولا أخرتك تقصيراً، ولكن الأشغال تعطي، وتأخذ بأوفر الحظ مني، وأنا أبلغ لك حمد الكفاية ومنتهى الوسع بأوفر مأمول، وأحمد عاقبة، وأقرب.

فقال الأعرابيّ يا جلساء الصّدق قد أحضر لي الجواب، فهل من معين منجد، ومساعد منشد؟، فقال بعض أحداث الكتّاب لأبي عبد الله: والله أصلحك الله لقد قصدك، وما قصد حتّى أملكَ، وما أملّك [٣٦]، حتّى أحاد النظر، وأمَن الخطر، وأيقن بالظّفر، فحقّقْ أملاً بتهيئة التعجيل فإن الشاعر يقول: [الطويل]

إذَا مَا اجْتَلاهُ المَجْدُ عَنْ وَعْدِ آمِلٍ تَبَلَجَ عن بُشْرٍ ليستكمل الشّكْرَا
وَلَمْ يَسْلُهُ مطلَ العَدَاةِ عَنِ الذي يصونُ الحَمْدَ المُوَفَّرَ والأَجْرَا

فأحضر للأعرابي عشرة آلاف درهم، فقال الأعرابيُ للفتى: خذها، فأنت سببها، فقال الفتى: شكرك أحب إلي منها، فقال أبو عبيد الله: خذها، فقد أمرت للكاتب بمثلها، فقال الأعرابيُ الآن كَمُلَت النعمة، وتمت المنّة أحسن الله جزاك، ودام نعماك.

قصد بعض الشعراء للفضل بن الربيع، فقال لَهُ قصدتك أيُّهَا الأمير بيتين من الشعر أسأل استماعهما مني، فقال له: أنشد فقال: [السريع]

صَارَمَني النَّاس وصارَمْتُهُمْ فَصِرْتُ أُخْفَا مِنْ جَمِيعِ الجهاتِ
وَأَنْتَ لِي وَحْدَكَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَقَدْ تَكَلَّفْتَ برزقي فَهَاتِ

ومد يده إليه فأطلق عشرة آلاف درهم، فأخذها وانصرف. في ذم أبخر: [البسيط]

أَلْقَى ابنُ عَجْلانَ خُبْزاً كَانَ يأْكُلُهُ إِلَى سَنَانيره فِي الدَّارِ مِنْ فِيهِ

---

[1] نازوك: أحد القادة العسكريين في الدولة لعباسية.

فَشَـمَّمْتُهُ فَظَـنَتْ أَنَّهَـا حَرَيَـتْ ... فأَقْبَلَـتْ نَحْـوَهُ في التُّـربِ تُخْفيـهِ

وليعضهم في معناه: [المتقارب]

وَأَبْخَـرَ أَلْقَـى إلَـى قِطِّـهِ ... لُقَيْمَـةً مِـنْ فَمِـهِ الأَبْخَـرِ

فَبَـادَرَ القِـطُّ إلَـى دَفْنِهَـا ... يَحْسَبُها مِنْ بَعْضِ مَـا قَـدْ خَـري

ووقع محمد بن عبيد الله في رقعة رجل ألح عليه: [الطويل]

تَـأَنَّ مواعيـدَ الكِـرَامِ فَرُبَّمَـا ... حَمَلْتَ مِنَ الإلحاحِ سَمْحاً على بُخْـلِ

كان من أصحاب أبي عبد الله وزير المهدي رجل يعرف بعُمَران بن شهاب الكاتب، فاستعان على أبي عبد الله في بعض أموره ببعض إخوانه، فلما قام الرجل. قال أبو عبيد الله: يا عمران لولا أنَّ حقك حق لا يجحد، ولا يضاع، لحجبْتُ عنك حسن نظري، أتظنني أجهل لإنسان، حتَّى أعلمه، ولا أعرف موضع المعروف، حتَّى أعرفه، لو كان لا ينال ما عندي إلا بغـيري لكنت بمنزله البعير الذلول عليه الجميل الثقيل، إن أقيد انقاد، أو أنيخ نزل لا يملك من نفسـه شيئاً، فقلت معروفك بمواقع الصنائع مذكراً.

فقال، وأي أذكار [٣٧] لمن قضى حقك أبلغ من مساءلتك عليه، ومصيرك إليه، إنه، مـتى لم يتصفح المأمول أسماء مؤمليه تقلبه غُدُوّاً ورواحاً لم يكن للأمل محل، وجرى المقدرة لمؤمليه بما قدر، وهو غير محمود على ذلك، ولا مشكور، ومالي شيء أدرسه بعد وردي من القرآن إلا أسماء رجال التأميل لي، وما أبيت ليلة، حتَّى أعرضهم على قلبي لبعضهم: [الطويل]

إذَا أولِيُـوا قَـالُوا ضَـمنَّا ومَالَنَـا ... سَـبيلٌ إلى فِعْـلِ اليَسِـيرِ مِـنَ البِـرِّ

وإنْ عُزِلُـوا قَـالُوا عُزِلْنَـا بِعُطْلَـةٍ ... فَكَيْفَ لنا مِنْهُم بالرِفـدِ بَـيْنَ النَّظَـرِ

ومما يستشهد به من الشعر: [الطويل]

ولَوْ كانَ لِي فِي حَاجَتِي أَلفُ شَـافِعٍ ... لَمَا كانَ فِـيهِم مِثْـلُ جُـودُكَ شَـافِعِ

وكُنْـتُ شَـفِيعَ رَاجِيـهِ إلَيْـهِ ... فَأَلجَـأَنِي الجَفَـا إلى شَـفِيعِ

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو لِلصَّدِيقِ شَـفَاعَتِي ... وما صِرْتُ أَرْضَى أنْ أُشَفِّعَ في نَفْسِي

آخر في مدح رجل: [الكامل]

واسـتَكبَرَ الأخْبَـارَ عِنْـدَ لِقَائِـهِ ... فَلَمَّا التَقَيْـنَا صَـغَّرَ الخَبَـرَ الخَبَـرُ

في معنى آخر: [الكامل]

وَلَئِنْ سَكَتُّ وبَانَ في وَجْهِي الرِّضَا ... بُقيَا عَلَيْكَ فَإِنَّ قَلْبِي سَاخِطُ

آخر: [الوافر]

وفي عَيْنَيْكَ تَرْجَمَةٌ أَرَاهَا ... تَدُلُّ عَلَى الضَّغَائِنِ والحُقُودِ

آخر:

وَكَيفَ يُدِيرُ أَمْرَ البِلَادِ ... فَتىً أَمْرُ مَنْزِلِهِ مُهْمَلُ

آخر: [الكامل]

جَهِلُوا السَّبِيلَ إلى المَكَارِمِ فِي العُلَى ... وَرَضُوا مِنَ الأَفْعَالِ بالأَلْقَابِ

آخر: [الوافر]

وَأَقْرَبُ مَا يَكُونُ النُّجْحُ يَوْماً ... إذا شَفَعَ الوجِيهُ إلى الجَوَادِ

آخر: [الوافر]

وَكُنَّا لا نُحَجَّبُ عَنْ مُلُوكٍ ... فَقَدْ صِرْنَا نُحَجَّبُ عَنْ كِلَابِ

آخر: [الخفيف]

إنَّمَا تَنْجَحُ المَقَالَةُ فِي المَرْءِ ... إِذَا صَادَفَتْ هَوىً في المُرَادِ

وَأَشَارَتْ بِمَا أُتِيتُ رِجَالٌ ... كُنْتُ أَهْدِي مِنْهَا إلى الإرْشَادِ

وله: [الطويل]

وَكُلُّ امْرِئٍ يُولِي الجميلَ مُحَبَّبٌ ... وَكُلُّ مَكَانٍ يُنبِتُ العُزَّ طَيِّبُ

وَأَظلمُ أَهْلَ الظُّلمِ مَنْ بَاتَ حَاسِداً ... لِمَنْ بَاتَ فِي نَعْمَائِهِ يَتقلَّبُ

وقف أعرابيٌّ بباب خالد بن عبد الله القسري، فقال للحاجب: أوصلني إلى الأمير، امتدحت ببيتين من الشعر ما قيل مثلهما، قال له: وما هما؟ قال: أكره أنْ تبتذلا، فاستأذن لنا و[٣٨] له، فلما دخل أنشده: [الكامل]

لِمَنِ الدِّيَارُ كَأَنَّهَا قَفْرٌ ... قَدْ مَاتَ فِي حِيطَانِهَا البَعْرُ

إِنَّ الأَمِيرَ يَكَادُ مِنْ كَرَمٍ ... أَنْ لَا يَكُونَ لأُمِّهِ بَظْرُ

فاستلقى خالدٌ ضحكاً، حَتّى كاد أنْ يحدث، ثم أمر لَهُ بجائزة وقال: من كان هذا مدحه، مـ نرى أنْ يكون ذمه لبعضهم: [الطويل]

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بالنِّسَاءِ فَإِنَّنِي ... عَلِيمٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ

إذا شَابَ رَأسُ المَــرْءِ أو قَــلَّ مَالُــهُ فَلَــيْسَ لَــهُ فــي وُدِّهِــنَّ نَصِــيبُ

قيل لمعن بن عبد الله، وقد ورث مالاً جزيلاً: لو ادّخرت هذا المال لأولادك فقال: بل أدخره لنفسي عند الله، وأدخر الله لأولادي.

دخل السّدي على عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه، لما ولي الخلافة، فقال لَهُ عمر: أسرَّك ما رأيت أم ساءك؟، فقال سرني للناس وساءني لك، فقال عمر: إني أخاف أنْ أكون قد أوبقت نفسي له، ما أحسن حالك، إن تخاف وإنما أخاف عليك أنْ لا تخاف، فقال له: عظني، فقال له: إنَّ أبانا آدم، أخرج من الجنة بخطيئة واحدة. قال سفيان: ترك الملوك لكم الحكمة فاتركوا لهم الدُّنْيا.

كان عمر بن عبد العزيز يقول: اللهم إني أطعتك في أحب الأشياء إليك، وهو توحيدك، ولم أعصيك في أبغض الأشياء إليك، وهو الكفر، فاغفر لي ما بينهما. قال المنصور لرجل من بني أمية كان في حبسه ما ذهب بكم؟، فقال شرب العشيَّان، وإسناد الأمور، إلى غير الكفاءة فالتفت إلى ولده المهدي وقال: احذرها يا أبا عبد الله. نظر بعض موك الفرس إلى ممكنته فقال: هذا ملك لولا أنه هلك، وسرور لولا أنه غُرور، وأنه ليوم لو كان يوثق لَهُ بعد. دخل أعرابيٌ على عبد الملك بن مروان، فقال له: يا أعرابي صف لي الخمر فأنشد: [الطويل]

شَمُولٌ إذا شَجَّتْ وفي الكَــأْسِ وَرْدَةٌ لَهَا فــي عِظَــامِ الشَــارِبينَ دَبِيْــبُ

تُرِيكَ القَذَى مِنْ دُونِهَا وهــي دُونَــهُ لِوَجْــهِ أخِيهَــا في الإنَــاءِ قُطُــوبُ

فقال، ويحك لقد اتهمتك عند ظني بك في وصفك بها.

روي أنَّ الفضل بن الربيع كلم رجلاً في أصحابه فقال، وقد كلمتك في فــلان، وقــد مــلأ الأرض ثناء، والسماء دعاء وكتب بعض الأدباء إلى بعض الوزراء مَنْ شكر لك على درجــة رفعته إليها، أو ثروة أفدته إياها فإن شكر إياك عن مهجة أحييتها وحشاشــة بقيتــها [٣٩] ورمق أمسكت منه، وقمتُ بين التلف وبينه أنشد بعضهم شعره: [الطويل]

وَلِي عِدَّةٌ قــد رَاتَ عَــيني نَجَاحُهَــا ورأيُــكَ أعْــلاَ رَأيــهِ في اقْتِضَائِهَــا

عَطَاؤُكَ لاَ يَفْــنَي ويسْــتَغْرِقُ المُــنَى ويُبقــي وُجُــوهَ الــرَّاغِبينَ بمائِهــا

شَكَوْتُ وما الشكوى لمثْلــي عَــادَةٌ ولكنْ يُفيضُ النفسَ عِنْــدَ امْتِلائِهَــا

ذكر الشيخ الإمام أبو علي الحسن بن البنَّا رحمه الله، قال أخبرنا عبيد الله بن أحمــد، قــال: حدثني القاضي أبو الفرج المعاق بن زكريا أنَّ علي بن محمد بن سعيد حدثهم، قال: حــدثني

الحسن س عُليل العنـــزِّي.

قال أخبرنا أبا عبد الله بن عبد الرحمن الرازي قال: خرج الفضل بن يحيى بن برمك رحمه الله، في بعض الأحيان متعمداً فإذا أعرابي قد لقيه على ناقة له، فلما نظر الأعرابيّ إلى عِظَم موكب الفضل، نزل عن ناقته ودنا من الفضل وقال: السلام عليك، نعمت صباحاً يا أمير المـؤمنين، قيل ليس بأمير للمؤمنين قال: فالوزير أصلحك الله، قال: ولا الوزير، قال فالفضل بن يحيى، فأمسك الفضل وقال: وما الذي أوفدك يا أخا العرب؟

قال قصدت الفضل بن يحيى، قال: ولم لمْ تقصده في بيته؟ قال لكثرة حجابـه وسـوء أدب أصحابه، قال: فما بلغ من أمرك يا أعرابي؟

قال أهجو فأفضح، وأمدح فأقدح، قال لَهُ الفضل: فما وسيلك الآن إلى الفضل؟ قال بيتـان من الشعر قلتهما فيه؟، قال لَهُ الفضل: أنشدنيهما، فإن كانا حسنين دَلَلْـتُك عليه، فأنشـد الأعرابيّ يقول: [الطويل]

لِيَفرَحَ بالمَوْلُودِ مـِـنْ آلِ بَرمـكٍ ... ذَوَاتِ النَّـدَى والرُّمْحِ والسَّيْفِ ذي الفَضْلِ

وَنَبْـتَا به الآمالَ فِيــهِ لفَضْـلِهِ ... وَلاَسِـيَّمَا أنْ كَـانَ مِـنْ وَلَـدِ الفَضْـلِ

فقال لَهُ الفضل: إنهما لحسان، فإن قيل لك إنهما ليسا من قبلك، وأنهما مسترقان من قـول العرب، فما تصنع؟ قال أنشدهُ أحسن منهما قال فأنشدنيهما فإن كانا حسنينْ دللتُك عليـه فأنشأ يقول: [الطويل]

ألَمْ تَرَ أنْ الجُـودَ مِـنْ صُـلبِ آدمٍ ... تَحدَّرَ، حَتَّى صَـارَ في رَاحَـةِ الفَضْـلِ

توارثهُ الفَضْلُ بنُ يحيى بـن بَرمَـكٍ ... كَذَا كُلُّ مَوْلُـودٍ يَصِـيرُ إلى الأصْـلِ

فقال له: إنهما لحسان فإن قيل لك إنهما ليسا لك، ولا من قولك، وأنهما مسروقان من قـول العرب، فما تصنع؟ قال أنشده أحسن منهما، قال لَهُ: أنشدني فأنشأ يقول: [٤٠] [الطويل]

وَلَوْ قِيلَ للمَعْرُوفِ مَنْ ذَا أخَا العُلَى ... لَـنَادى بأعلى الصَّوتِ يا فَضْلُ يا فَضْلُ

وَلو أنَّ مَا أعطاهُ مِـنْ رَمْـلِ عـالجٍ ... لأصبحَ من جَدْواهُ قَـدْ نَفَـدَ الرَّمـلُ

إذَا أُمُّ طِفْلٍ مصَّها جُوعُ طِفْــلِها ... غَذَتْه باسمِ الفَضْلِ فاستطعَمَ الطِّفْـلُ

فقال إنهما، والله لحسان، فإن قال لك إنهما ليسا من قبلك ما تصنع؟ قال أنشد أربعة أبيات تسمع العرب، ولا العجم بمثلهما، قال فأنشدنيهما فإن كانت حساناً دللتك عليـه فأنشـ يقول: [الطويل]

ولائمةٍ لامَتْكَ يا فَضْـلُ في النَّـدَى   فقلْتُ هَـلْ يَـنْجَحُ اللـومُ في البَحْـرِ

كَأنَّ وُفُودَ النَّاسِ مِنْ كُلِّ بَلْدَةٍ جاءَتْ   إلى الفَضْلِ لاقَوْا عِنْدَهُ لَـيْـلَـةَ القَدْرِ

كَأنَّ سَحابَ الفَـضْـلِ فِي كُـلِّ   تَحَدَّرَ مَـاءَ المُـزْنِ فِي البَلَـدِ القَفْـرِ

إذا جِئْتَ تَنْهَى الفَضْلَ عَنْ بَذْلِ مالِه   فَمَنْ ذَا الذي يَنْهَى السَّحابَ عَنِ القَطْرِ

فقال الفضل إنها لحسان، فإن قيل لك إنها ليست من قبلك، وأنها مسترقة من قول العرب، ما الذي تصنع؟ قال: إذاً أدخلك وباقتي في حرٍّ أمّ الفضل، وأهل بيت الفضل، وأرجع إلى أهلي خائباً.

قال: فضحك الفضل وقال: يا أخا العرب، ُنا الفضل، فما بغيتك الآن؟ قال بغـيتي عشـرة آلاف درهم، أسرُّ بها صديق، وأكبت بها عدوي، وأستعين بها على زغاليلك كأنهن زغـاب القطا إذا فقسن عن بيضاتهن.

فقال لَهُ الفضل: هي مَنَالُكَ مائة ألف تتبعها مائة ألف تتبعها مائة ألف، مائة ألف، لقصـدك إيانا، ومائة ألف لشتمك إيانا، ومائة ألف لاحتمالك لك، ومائة ألف تستعين بها على أمرك،

قال: ثم إنَّ الفضل أنشأ يقول: [الطويل]

إذَا شِئتَ أَنْ تُدعَى كَرِيمـاً مُكَرَّمـاً   أديبـاً ظَرِيفـاً عَـاقِلاً فَطِنـاً حُـرَّاً

إذَا مَا بَدَا مِنْ صَـاحِبٍ لَـكَ زَلَّـةٌ   فَكُنْ أنتَ مُحتالاً تُقِـيمُ لَهَـا عُـذْراً

قال، وكان في يد الفضل قوس، فقال: أيُّها الأعرابيُّ قل في قوسي شيئاً، فقال:

فَقَوْسُكَ قَوْسُ الجُودِ والوَتَرُ النَّـدِيُّ   وَسَهْمُكَ سَهْمُ المَجْدِ فَاقْتُلْ بِـهِ فَقْـرِي

قال الفضل: أما قتلنا فقرك، بعد قال بلى، والله وأنعمت، ثم أنشأ يقول: [الخفيف]

إنَّ للنَّـاسِ غَايَـةً فِـي المَعَـالِي   وَقَفُـوا نَحْوَهَـا، وأنْـتَ تَزِيـدُ

قَدْ تَعالَيْـتَ فِي المَكَـارِمِ، والجُـودِ   فَجُـزْتَ المَـدَى فَـأَيْنَ تُرِيـدُ [٤١]

ما تُبالِي الآمـالُ إنْ قُرِيـتَ مِنْـكَ   سَـواءٌ قَرِيبُهَـا والبَعِيـدُ

أَصْبَحَ الجُودُ في ذَوائِـبِ كَـالقَطْرَة   في البَحْـرِ غَرَّقَتْهـا المُـدُودُ

قال: فأمر لَهُ بمائة ألف أخرى، فأنشأ الأعرابيّ يقول: [الكامل]

عَجَبـاً لِكَفِّـكَ كَيْـفَ لا يَـتَكَلَّمُ   مِمَّـا يفِـيضُ علـى الأنَـامِ وتَـنْعَمُ

أَمْ كَيْفَ لا تَخْضَـرُّ مِنْهَـا عُودُهَـا   حَتَّـى يكُـونَ لَهَـا ثِمَـارٌ تُطْعِـمُ

فالتفت الفضل إلى من كان معه، فقال: هل سمعتم كاليوم شعراً أحسن من هذا؟، ثم التفت إلى بعض الخدام، فقال له: ما بقي معك؟ قال، والله يا سيدي ما بقي معي غير درعك الـذهب، قال: أنت، لَهُ، والدرع معك، فبكى الأعرابيّ، فقال لَهُ الفضل: مما بكاؤك؟ لقلة فتزيد، قـال لا، والله لا لقلة ولكن بكائي على ما تضمن الأرض، والثرى من جودك، وموت مثلك عـن المسلمين.

فقال لَهُ: كلامك، والله أحسن من شعرك يا غلام حش فَاهُ دُرَّاً ففعل، فوسع فـوه خمـس درات، وقال له: يا سيدي بقيت لي واحدة، فقال له: من أين قلت ذلك، قـال لأنّ جـدي مدح عبد الملك بن مروان فأمر لَهُ بمثل ما أمرت لي فوسع فوه سـتة درات، ووسـع فـوي خمسة، وقد بقي لي واحدة، قال فأمر لَهُ بالسادسة فأخذها وانصرف.

مَرَّ خالد بن صفوان على حمار لَهُ يدب، وسليمان بن علي يراه من منظرة بالمربد، فقال لَـهُ سليمان: يا أبا صفوان، فأين الخيل؟، فقال أصلح الله الأمير الخيل للأبغال، والبراذين للجمال. والبغل للأثقال، والحمير لك مهال، وقال بعض القرشيين لابنه(١): يا بني إنْ طابك صـاحب أدهم، فعليك بالوحل، فإن الأدهم رديء القوائم، وإنْ طلبك صاحب أشقر، فعليك بالحزن فإن الأشقر رقيق الحوافر.

وإنْ طلبك صاحب كميت فعليك بالجُدَد وحقيق أنْ ينجو، وقال آخر دُهُم الخيل ملوكهـا وكميتها حلاّدها، وشقرها ميامينها، وأهدى عبد الله بن طاهر المأمون فرساً وكتب إليه، قـا وجهتُ لأمير المؤمنين أعزه الله، فرساً يلحق الأرنب في الصعداء، ويدرك الظباء في الاستواء ويسبق في الحدور لسيل الماء، فهو. كما قال تأبط شراً(٢): [الطويل]

وَيَسبِقُ وَفْدَ الرِّيحِ مِنْ حَيْثُ يَنْتَحِـي بمنخـرقٍ مِـنْ شـدَّةِ المُتَـدارَكِ

وبعث الحجّاج إلى عبد الملك بن مروان، بفرس كتب إليه، وقد بعثت إلى أمير المؤمنين بفرس حسن المنظر، محمود المخبر، هي القد يسبق الطراف، ويستغرق [٤٢].

الوصف - اجتمع بباب عبد الملك بن مروان الفرزدق وجرير، والأخطل فأذن لهم ذات يوم وقال لهم: ليصف كل واحد منكم الفرس في غير شعر نثراً، فقال الفرزدق: أكرم الخيل أدهم طهطاه الذي هامته علاه، ذو الطرف الحديد، والنظر البعيد، والشدق الهريت، والعنق المديـ

(١) القول ورد في معظم كتب الخيل منسوب لاس الأقيصر، وقد ورد في روايات مختلفة.

(٢) ديوان تأبط شراً، ص١٥٢.

الذي إن أقبل قلت: ظبي عاط، وإنَّ أدبر قلت هقل هاط، وإنَّ سدَّ قلت ذئب ساط، سلس القياد، طبع الأوراد، إذا استقبلته قلت: ليث حاذر، وإنَّ استديرته قلب طائر.

ثم قال جرير: أكرم الخيل الأشهب الأقبُّ الأعلب، ذو المتن الأحلق، والكفل المُزَحلق، والجوف الأجوف، العامض العضب المدرك لما صب، العري الظنبوب، العجلز السرحوب، الذي كأن في جوفه شؤبوباً تخالُ، مشيته تقرباً، ثم قال للأخطل: هات يا أبا مالك. فقال: اسقني قعباً من خمر، يعين على اختراع الوصف، فسقاه، فلما شربه قال هات قال يا أمير المؤمنين: تركته وحيداً لا تقدر على ابتداع، ولا يتسع لاختراع، فاجعل لَهُ شريكاً.

قال لَهُ: طاسة مملوءة، فما شربه، قال عبد املك كيف ترى؟ قال اثنان يتشاحنان الخطابة، ويتنافسان الإجابة، فاجعل بينهما حكماً فَسُقي ثالثاً ورابعاً، حَتَّى استوفى سبعة، فغضب بنو أمية، وقالوا الأخطل أحللته محلاً يتجرأ فيه عليك مع كفره، قال الأخطل، والمسيح ما أتكلم وغواةُ بني أمية حضور فَنَحّاهم.

ثم قال: قال هات الآن. قال أكرم الخيل الكميت البهيم، من نسل كريم، منتصب الأذنين، القادح العينين، السائل الخدين، الرحب المنخرين، الجواد العلوة الطويل الفتي، المندمج الظهر، الأقب البطن، الصحيح القصب، التام العصب، المريح إذا أقبل، المتابع إذا أدبر، أديمة صاف، ومحزمه واف، وسبيبه ضاف، وعقره داق قصير ظهره، هادية شطره، طالبه مشكوك، وطريدة مخذول، يعجبك خلقه إذا استقبلته، ويمرح تحتك إذا ركبته كأن مشيته زيفان.

وكان جريه طيران، يعنق بيديه، ويهلج برجليه، ويشكر بطرفيه، وقلبه بين عيينه، فقال لَهُ عبد الملك: أحسنت، ثم قال: من يلومني علي أبي مالك، وأحسن جائزته. تفسير قولهم الطهطاه الفرس الفتي، وقوله هامته علاه العلا [٤٣] السندات، وعاط من عطا يعطو هاط، مجتمع الأحلق الأملس المزحلق المدور الظنبوب عظم الساق. العجلز الشديد الحلق، السرحوب الخفيف، اعتيق[1]: [البسيط]

يا أَهْلَ وُدِّي أَمَا في الأرض ذوُ كَرم ... يَرْثِي لذي كَرَمٍ زَلَّتْ بِهِ القَدَمُ

أَفي عُيُونكُم عَنْ مَنْظَرِي عَمَهٌ ... أم في مسامعكُمْ عَنْ مَنْطقي صَمَمُ

مِنْ نِعْمَةِ اللهِ فَقُلْ لأنعمكُمْ ... لأنهَا نعَمٌ مِنْ دُونهَا نقَمُ

أَلَسْتُ أنسى لكُمْ عَنْ أحرف عَرَضَتْ ... في القلب قَدْ كَادَمَنْها القلبُ يَنْقَصِمُ

(١) العيق: الصديق، اللساد (عتق)

مَا بَـالُ دُورِكُـم حَـلَّ لِطارِقهَـا ... فِي كُـلِّ أوقاتِهـا، والمطبخُ الحـرَمُ

وله أيضاً: [الوافر]

سَـأَلْتُ اللهَ تَـعْـميراً طَـويلاً ... لِيُـبْهِجَنِي بِخَطْـبٍ يَـعْـتَرِيكُمْ

أَخافُ بِـأنْ أَموتَ ومـا أَرَتْـنِي ... صُروفُ الدهرِ مـا أرجـوهُ فـيكُمْ

قال بعض الحكماء: تفرعت الذنوب من سبعة أشياء: الكِبْر، والحِرْص، والغضب، والحسد، والشُّح، والعجلة، والجميل. قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كـرم الله وجهـه لابنيـه: عليكما باصطناع المعروف واكتسابه، وتلذذا بروح نسيمه، وارضيا بمودات الرجال ثمناً منه، فكم من رجل صيّر ماله معروفاً فعاش به بنوهُ بعده. قال الأحنف بن قيس: مـا رددت مـن حاجة قط، قيل له: ومن ذا الذي يردك يا أبا بحر؟ قال ليس، كما ظننتم، ولكني ما سألت قط إلا ما يجوز، ويسهل.

سمع بلال بن جرير رجلاً يقول: الشحيح أغدر من الظالم، فقال لعن الله خُلَّتَيْن خيرهما الشح.

تحادث قوم عند عبيد الله بن عبد الله ذكر السخاء، فقال لا يتحدث أحد في السخاء، ولا في أهله إلا والحاتم الطائي، ولكعب بن مامة عليه الفضل، أما حاتم فإنه كان لا يسأل عن شـي. إلا سمح به، حَتَّى أنه كان في سفر، فخرج عليه فارس ليأخذ ما معه، فلم يزل حاتم يجاريـه حَتَّى انكسر الرمح الذي في يد الرجل، فكاد أنْ يقتله حاتم، فقال الرجل لحاتم أعطني رمحك ومد يده إليه فأعطاه إياه، فسد عليه الرجل، فكاد أنْ يقتل حاتماً، فركض حاتم، وكان فرس حواداً فلحقه فحدثهم:

فقالوا، ولِم أعطيته رمحك؟ قال ما كنت لأُسْأَلَ شيئاً، فلا أجود به سيما، وقد [٤٤]. مد يد إِلَيَّ، ثم كرّوا على الرجل فأخذوا الرمح منه، وأسروه، وأما كعب بن مامه، فإن رجلاً صحب في فلاة، ومع كعب إداوة فيها شربة وحدة وليس مع رفيقه جرعة، ولا في الموضع ماء، ولا يطمعون في بلوغ الماء، فعطشا واشتد عطشهما فاستحيا كعب أنْ يشرب ورفيقه عطشـان فلا يواسيه، ولم يحتمل الماء سريعاً، فلم يبلغا الماء، حَتَّى مات كعب بن مامه. قال محمد بـن سليمان لابن السَّمَّاكْ: بلغني عنك شيءٌ كرهته. قال إذن لا أبالي، قال: كيف ذاك؟ قال لأن إن كان حقاً غفره لي، فإن كان باطلاً لم يَقْبله عني وكذبته.

كتب أرسطاطاليس إلى تلميذه يعاتبه وكتب في آخره، والسلام عليك سلام سـنة لا سـلا رضي. كتب بعضهم إلى صديق لَهُ يعاتبه: [مجزوء الكامل]

وَجَفَــوتَني فــيمَنْ جَفَــاني وَحَمَلْــتَ شَــانَكَ غَيْــرَ شَــاني
وَنَسِــيتَ مِنِّــي مَوْضِــعاً لَــكَ لَــمْ يَكُــنْ لَــكَ فِيــه ثَــاني

آخر يعاتب أخاه: [الخفيف]

أَيُّهَا العَائِبُ اللَّهُــوجُ بِعيبِ النَّــاس مَهْــلاً عَــنِ المَعَائِــبِ مَهْــلاً
إِنَّ فِي نَفْسِــكَ الــتي بَــيْنَ جَنْبَيْــكَ عَنِ النَّــاسِ لَــوْ تَفَــكَّرْتَ شُــغْلاً
عَجَبــاً أَنْ فِــي ثَنَايَــاكَ لَحْمِــي وَإِذَا مَــا رَأَيْتَــنِي قُلْــتَ أَهْــلاً
إِنَّ ذَا العَقْــلِ والبَصِــيرة لا يَقْبَــلُ قَــولاً إِنْ خَــالَفَ القَــولُ فِعْــلاً

آخر يعاتب: [الوافر]

أَحِــنُّ إِلَــى عِتَابِــكَ غَــيرَ أَنِّيْ أُجِلُّكَ عَــنْ عِتَابِــكَ فِــي كِتَــابي
وَنَحْنُ إِذَا التَــقَــيْــنَا قَبْــلَ مَــوْتٍ شَــفَيْتُ غَلِيــلَ صَــدْرِي بِالعِتَــابِ
وإِنْ سَــبَقَتْ إِلَيَّ يَــدُ المَنَايَــا فَكَمْ مِــنْ عَاتِــبٍ تَحْــتَ التُّــرابِ

قيل لإنسان أديب، قد أحسن أبو نواس، الحسن بن هانئ حين سألته جاريته عن اسمه، فقال لها اسمي وجهك، فقالت أحسن منه، قول أحد أصدقائنا: [السريع]

وَشَــادِنٍ خَبَّــرَنَا وَجْهُــهُ عَــنِ اسمِــهِ كمــا جَهِلْنَــاهُ
يَــدْعُوهُ بِالْــوَصْفِ لَــهُ مِــنْ رَأَى فَيَحْسَــبُ الــدَّاعِي سَــمَّاهُ

يقال أسوأ ما في الكريم أنْ يمنعك خيره، وأحسن ما في اللئيم أنْ يكف عنك شره، رأيت في البخاري عن جابر بن عبد الله، وروى عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: [٤٥] دققت الباب على النبي (ﷺ) فقال لي: **«من هذا؟» فقلت: أنا، فقال: أنا، فكأنه كره قولي أنا»**.

قال المعتمر بن سليمان كان على أبي دينٌ، ولم يقدر على قضائه، فكان يستغفر الله لـيلاً ونهاراً، فقلت لو سألت أن يقضي دينك، فقال إذا غفر لي، فقـد قضـى ديـني لبعضـهم: [الكامل]

كُنْ لِلْمَكَارِهِ بِالعَزَاءِ مُقَــنَّعاً فَلَعَــلَّ يومــاً لاَ تَــرى مــا يُكْــرَهُ
وَلَرُبَّمَا ابْتَسَــمَ الوَقُورُ مِــنَ الأَذَى وفُــؤادهُ مِــنْ حَــرِّهِ يتــأوَّهُ
وَلَرُبَّمَــا صَــمَتَ الحَلِــيمُ تَكَرُّمــاً خَــوفَ الجَــوابِ وإنَّــه لَمُفَــوَّهُ
ولرُبَّمــا بَــرزَ الفــتى فتنافَسَــتْ فِيْــهِ العيــونُ وأنــه لَمُمَــوَّهُ

لعبد الله بن عبيد الله: [البسيط]

الحُرُّ لا يَشْتَكي شَيْئاً وإنْ سُمِعَتْ شَكْواهُ لم تَكُ إلا دُونَ بَلْواهُ
والمَرْءُ تَكْشِفُ عَيْناهُ بَلَحْظِهِما نَجْواهُ في قلبِهِ مِنْ قَبلِ نَجْواهُ

دخل الوليد بن يزيد بن عبد الملك، على هشام بن عبد الملك عمه، وقد اشترى هشام جارية بألفي دينار، وهي مغنية، وكان على الوليد عمامة وشي مذهبة حسنه، فقال لَهُ هشام بن عبد الملك: بكم اشتريت عمامتك هذه يا وليد؟ فإنها فاخرة، قال: بعشرة آلاف درهم، قال ويحك عمامة بعشرة آلاف درهم، قال: وما أنكرت في أنْ أتحف أكرم أعضائي، ومجمع حواسي يعلو قيمته عشرة آلاف درهم، وأنت قد أتحفت أرذل أعضائك بألفي دينار.

خلع المنصور على معن بن زائدة، فخرج، وهو يسحب خلعته، فقال له: رجل من أهل اليمن، ليس عليك نسجة فاسحب واجرر، فقال معن متمثلاً: [الوافر]

ونحنُ الضَّارِبُونَ بِما طَبَعْتُم ونحنُ لِمَا نَسَجْتُمْ لابِسُونا

أي أنكم قيون وحاكه. كتب بعض الولاة إلى معتذر إليه: [البسيط]

أَقْرِرْ بِذَنْبِكَ ثم اطلب تَجاوُزَنا عَنْهُ فإنَّ جُحودَ الذنْبِ ذَنْبانِ

قال جالينوس: المرضُ هم عارض، والهم مرض طبيعي. لبعضهم: [السريع]

وَشَرُّ مَعروفِكَ مَمْطُولُهُ وخَيْرُه مَا كانَ مِنْ ساعَتِه

لكل شيءٍ آفة تتقى وحسبك المعروف من آفته. قال عيسى بن يزيد: عُمِّرَ الأحنف بن قيس إلى أيام عبد الملك بن مروان، وكان الحديث عن عمر بن الخطاب [٤٦] (ﷺ) قال أتى لليلة وهو قائم يصلي، إذ أتت الجارية إليه، في حاجة، أو جاءته بشيءٍ أحسبه طعاماً لنا، فلم يرض بذلك منها، مد يده إليها، فنالها صرباً، فقمتُ إليه وكلمته وصددته عنها، فأمسك، رجع إلى صلاته.

فلما فرغ التفت إلي وقال: يا ابن قيس إذا أضفتَ رجلاً، فلا تعترض عليه في أهله، أو في منزله، فهو أعرف بمصالحه منك، فإن كنت لابُدَّ فاعلاً فإذا سكنت الفورة.

قال الأصمعي دخلتُ على هارون الرشيد، فقال لي: يا أصمعي إني أرقت ليلتي هذه، فقلت أنام اللهُ عينيك يا أمير المؤمنين قال فكّرتُ في العشق ممَّ هو؟، فلم أقف عليه فيصفه لي، حَتَّى أتخيله جسماً مجسماً، قال الأصمعي: والله ما كان عندي قبل ذلك فيه شيء، فأطرقت ملياً.

ثم قلت: يا أمير المؤمنين إذا تفادحت الأخلاق المتشاكلة، وتمازحت الأرواح المتشابهة، ألهب

لمح نور ساطع، يستضيءُ به العقل، ويهز لإشراقه طباع الحياة، ويتصور من ذلك النور، خلق خاصيّ بالنفس متصل بجوهرة تيها تسمى العشق، قال أحسنت، والله يا غلام أعطه، وأعطه، وأعطه ثلاثين ألف درهم.

قالت الروم: تقول لا يملك علينا من يحتاج أنْ يشاور، وقالت: الفرس نحن لا نملك علينا من يستغني عن المشورة.

قال ابن عباس: خطب أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه، على ابنه الحسن ﷺ، أم عمران، أو بنت سعيد بن قيس الهمداني، فقال فوقي ُمير، أو قال أميره يعني أمها، فقال له: قم فوامرها فخرج من عنده، فلقيه الأشعث بن قيس بالباب، فأخبره الخبر، فقال: ما تريد إلى الحسين يفخر عليها، ولا ينصفها، وبما أساء إليها، ويقول: أنا ابن بنت رسول الله، وابن أمير المؤمنين، فهل لك في ابن عمها؟.

قال: ومن ذاك؟ قال ولدي محمد بن الأشعث قال: قد زوجتك، قال الأشعث رضيت عنه وقبلت، ثم مصى ودخل الأشعث على أمير المؤمنين عي ﷺ، فقال يا أمير المؤمنين خطيت على الحسن ابنة سعيد، قال نعم، قال فهل لك في أشرف منها، وأكبر حسباً، وأتم جمالاً، وأكثر مالاً، قال: ومن هي؟

قال: جعدة بنت الأشعث بن قيس، قال: قد خطيت سعيد بن قيس في ابنته، وقد مضى ليوامرها: فقال يا أمير المؤمنين [٤٧] قد زوج ابنته من محمد بن الأشعث، قال ومتى؟ قال الساعة بالباب، قال فتزوج الحسن بجعدة، فلما لقي سعيد الأشعث، قال لَهُ: يا أعور خدعتني، قال: أنت أعور أعمى حَيْثُ تستشير في ابن رسول الله (ﷺ).

بل أنت أحمق، ثم جاء الأشعث إلى الحسن فقال: يا أبا محمد ألا تزور أهلك، فلما أراد ذلك، قال: لا تمشي، والله إلا على أردية قومي، فأقامت لَهُ كندة سماطين وجعلت لَهُ أرديتها سباطاً من بابه إلى باب الأشعث، قال النبي (ﷺ): **«سألت ربي أنْ لا يشنع حبيباً يدعو على حبيبه»**(1).

وقال هشام بن محمد لما ولي أبو العباس صعد المنبر ليخطب فقام إليه السيدان بن محمد فقال:

[السريع]

دُونَكُمُوهَا يَا بَنِي هَاشِمٍ   فجددوا مَنْ أَيُّهَا الطَّامِسَا

---

(1) لم يرد الحديث بهذه الصيغة في الكتب المعتمدة.

دُونَكُمُوهَـــا فَالْبسُـــوا تَاجَهَـــا ... لا تُعْـــدمُوا مـــنكُم لَهـــا لابِسَـــا
دُونَكُمُوهَـــا لا عَـــلا كَعْـــبُ ... مَـــنْ أمْسَـــى علـــيكُمْ مُلكَهَـــا نافسَـــا
خلاَفَـــةُ اللهِ وُسُـــلطانُهُ ... عـــادَ، وقـــد كـــانَ لكـــمْ دارسَـــا
قَـــدْ سَاسَـــها مـــنْ قَـــبْلكُمْ سَاسَـــةٌ ... لَـــمْ يَتْرُكُـــوا رَطبـــاً ولا يَابسَـــا
أَرْبَعَـــةٌ فـــي طَلَـــقٍ وَاحـــدٍ ... وأرثهـــا رابعُهُـــم خَامسَـــا
وَدَاخـــلٌ مـــنْ بَيـــتهِمْ مـــنْ بنـــي ... عَمهـــم كـــانَ لَهُـــمْ سَادسَـــا
لَـــوْ خُيِّـــرَ المنْبَـــرُ فُرْسَـــانَهُ ... مَـــا اختـــارَ إلا مـــنْكُمْ فارسَـــا
والمَلـــكُ لَـــوْ شُـــوِّرَ فـــي سَاسَـــةٍ ... مَـــا اختـــارَ إلا منكمُـــوا سَايسَـــا
لَـــمْ تُبْـــقِ عَبْـــدَ اللهِ بالشَّـــامِ ... مـــن آل أبي العـــاص امـــرءاً طسَّـــا
وَلَسْـــتَ مـــنْ أنْ تَملكُـــوا إلى ... هبُـــوط عيســـى نَبـــيكُم آيسـًــا

فأمر لَهُ بمال، فقال إن لي حاجة، قال: وما هي قال ترضى عن سليمان بن حبيب، وتكتب بعهده على الأهوار فعفل به ذلك، وأخذ العهد، ووافق سليمان فأنشده:[المتقارب]

أَتـــاكَ بعهـــدكَ مـــنْ عنـــده ... علَـــى مَـــنْ يليـــكَ مـــنَ العَـــالَمِ

وشفيع وشريف وشاعر وزائر، سل حاجتك، فقال: بدرة دنانير وجارية حسناء، وفرساً رائع ومنزلاً واسعاً، فقال ذلك عليّ لك في كل سنة. [٤٨] ففعل به ذلك. قال ابن عباس: وقـا سئل عن المد، والجزر، فقال ملك موكل بقاموس[١] البحر إذا وضع رجله فاض، وإذا رفعه غاض وقاموس البحر وسطه، قال أفلاطون من لم ينم، حَتَّى يَتعرض[٢] الخلاء دام لَهُ حسـر صورته، ومن أقلَّ من مجامعة النساء ثبت لَهُ سواد رأسه ولحيته.

قال أهدى أبو محمد الهمداني ابن أخت أبي هَنَّاد إلى علي بن يحيى المنجم في نيروز هدية وقال لَهُ معتذراً إليه من تقصيره: [مجزوء الكامل]

هَـــذي هَديَّـــةُ وَاثـــقٍ ... بمكانـــه مـــنكُمْ مُـــدلُّ
يَرْ ... ـــو بعـــين مُعَـــظ ... مُ لَـــكَ عَـــنْ هَدِيَّتِـــه مُحـــلُّ
والفَضْـــلُ كُـــلُّ الفَضْـــلِ مـــنْ ... كَ قَبُـــولُ الطـــافِ المُقـــلُّ

(١) قاموس البحر:قعره، اللسان (قمس)، و الحبر في اللسان
(٢) يعرض الخلاء: أي يقضي حاجته من بول وغيره.

قال الكسرويّ أخبرنا بعض إخواني، وكان لَهُ علم بالعزائم[1] ويذكر أنَّ بعض الجن يخدمه، قال رأيت إبليس في سكة سليمان، فوقفت أقرأ فسبقتْني إلى ما كنت أقرأ، فلما أعياني، قال لي: ويلك يا جاهل أنا أقرأ منك لكتاب الله، وليست ممن تَهولني قراءتك، وتعاويذك، ولولا أني أميل إليك لأتلفتك. فقلت أحب أنْ تنشدني شيئاً من شعرك، فتناول رأسي فصفعني صفعات، ثم أنشأ يقول: [المنسرح]

سَائِلْ طُلُولَ القضا وَمَصْرَعَها ... كيفَ تَرى رَاحتي ومَوْقِعَها
كَمْ صائرٍ هامةٌ مُعَلَّمَةٌ ... ذَلَّلها صافعٌ فَطَيَّعَها

ثم غاب عني، فلم تره عيني، قال الحماز: الحمّيّة إحدى العلتين.

أخبرنا شيخنا الإمام السعيد، ناصح الإسلام، نجم الهدى أبو الخطاب محفوظ بن أحمد الكلوذاني، قال: حدثنا شيخنا القاضي الإمام القاسم إسماعيل بن سعيد بن إسماعيل بن محمد بن عجلان، قال: أخبرني علي بن يحيى بن أبي منصور.

قال: كنت بين يدي المتوكل، إذ دخل علي بن محمد بن علي بن موسى، ولما جلس، قال لَهُ: المتوكل ما يقول، والدك في العباس بن عبد المطلب؟ فقال ما يقول، والدي في رجل فرض الله طاعة نبيه على جميع خلقه، وفرض طاعته على نبيه (ﷺ) وأخبرنا شيخنا الإمام أبو الخطاب محفوظ بن أحمد قال: أخبرنا القاضي أبو يعلى، قال حدثنا إسماعيل بن سعيد قال [٤٩].

حدثنا أبو علي الكوكبي، قال: حدثنا علي بن حرب الطائي، قال: حدثنا جعفر بن الطائي قرابة للقحاطنة من أهل جزيرة مهربان، حدثنا أبان بن عبد الجبار قال: كنا عند سفيان بن عيينة، وهو يحدثنا، إذ التفت إلى شيخ جنبه، فقال: يا أبا عبد الله حدثنا بحديث الحية، فقال الشيخ حدثني محمد بن عنبسة، قال خرج حميري بن عبد الله إلى مُتَصَيِّد له، قال: فلما أقفرت الأرض به، انسابت حيةٌ من بين قوائم دابته، فقامت على ذنبها وقالت: آوني آواك الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، فقال لها، ومن أي شيء آويك؟

قالت من عدو قد غشيني يريد أنْ يقطعني إرباً إرباً، قال لها، وأين آويك؟ قالت في جوفك إن أردت المعروف، قال: ومن أنت؟ قالت أنا منْ أهل لا إله إلا الله، فقال لها فهاك جوفي، فصيَّرها في جوفه، فإذا بفتىً قد أقبل ومعه صمصامة لَهُ قد وضعها على عاتقة.

فقال له: أيُّها الشيخ أين الحية؟ أطلت بكنفك، وأناخت بفنائك، قال هل ترى شيئاً؟ قال

---

(١) الجن الدس يخدمون

عظمت كلمة تخرج من فيك، قال ما جاء منك أعظم، تراني أقول ما أرى شيئاً، ويقـول لي هذا، فولّى الفتى مُدبراً، فلما توارى، قالت الحية يا عبد الله، انظر هل ترى أحداً، أو هل يراه بصرك، أو يأخذه طرفك؟ قال ما أرى شيئاً، قالت: اختر مني إحدى منزلتين، إما أنْ أنكت قلبك نكْتة فأجعله رميماً، أو أرتُّ كبدك رتّاً، فأخرجه من أسفلك قطعاً، قال لها: ما كافئتيني يرحمُك الله، قالت فاصطناعك المعروف إلى من لا تعرف ما هو إلا جهلك، وقـد عرفـت العداوة بيني وبين أبيك من قبل.

وقد علمت أنه ليس عندي مال أعطيك، ولا دابة أحملك عليهـا، قـال أردت المعـروف. فالتفت، وإذا بفيء جبل، قال فإن كان لابُدَّ من قتلي ففي هذا الفيء الذي للجبل، ثم نـزل يمشي يائساً من الحياة، وإذا بفتى جالس في ظل الجبل، كأن وجهه القمر ليلة البدر، فقال الفتى يا شيخ مالي أراك مستبسلاً للموت.

فقال من عدو في جوفي أويته من عدو له، فلما صار في جوفي، قال كذا وكذا، وقص عليـه القصة، فقال لَهُ الفتى: أتاك العَوث، ثم ضرب بيده إلى ردنه، فأخرج شـيئاً فأطعمـه إيـاه فاختلجت وجناته، ثم أطعمه ثانياً فوجد مغصاً في بطنه، ثم أطعمه ثالثاً فرمى الحية من سَـفْلهِ قطعاً.

فقال لَهُ حميري: من أنت؟ [٥٠] يرحمك الله؟، فما أجد أعظم علي منّة منك، قال له، أو مـا تعرفني؟ قت لا، قال أنا المعروف، إنه اضطربت ملائكة سماء من خذلان الحيـة إيـاك فأوصى الله (ﷺ) إلى أنْ يا معروف أغث عبدي وقل لَهُ أردت لوجهي أشياء فأتيتك ثـواب الصالحين، وأعقبنك عقبي المحسنين ونجيتك من عدوك وفيه قال[1]: [الطويل]

وَمَنْ يفعلِ المعروفَ مَـعَ غَـيرِ أهلِـهِ ... يُجازَى كما جُوزِيُ مُجـيرُ أُمُّ عَـامِرِ

قال العبيّ رؤي مروان بن أبي حفصة واقفاً بباب الحسن، كئيباً أسفاً ينكث بسوطه علي معرفة دابته فقيل لَهُ يا أبا السمط ما الذي نراه بك؟ قال أخبركم بالعجب، مدحت أمير المؤمنين فوَصَفْتُ لَهُ ناقتي من خطامها إلى خفيها.

ووصفتُ الفيافي من اليمامة إلى بابه أرضاً أرضاً، ورملة رملة، حَتَّى إذا أشفيت[2] منه علي غنى الدهر جاء من بيّاعَة الفخاخير يعني أبا العتاهية، فأنشده بيتين فصحصح بهما شعرة

(١) البيت مشهور ورد في معظم كتب الأدب.

(٢) 'سفيت: أوشكت واقتربت، اللسان: (شفا).

وسوّاه في الجائزة بي فقيل له، وما البيان فأنشده[١]: [الكامل]

إنّ المطَايَـــا تَشْـــتكِيكَ لأنَّهـــا ... قَطَعَـــتْ إليــكَ سَباسِـــباً ورِمَـــالَ

فــإذَا رَحَلْــنَ بهــا رَحَلْــنَ مُخَفّــةً ... وإذا رجَعْـــنَ بنَـــا رجَعْـــنَ ثِقَـــالا

يُقال لا تنجع الحكم في الطباع القاسية، كما لا يزكو الزرع في البقاع الجاسية، قدم أبو الجهل بن أبي حذيفة على معاوية ومعه ابن لَهُ فصيح، فلما جلس واستقر، قال لَهُ معاوية: سل حاجتك، قال: كذا وكذا، وأطال معاوية يسمعه لكل ما يسأل فأكثر، وألح، فقال لَهُ ابنه: يا أبت خفّف عن أمير المؤمنين، ولا تمله، فقال يا بني ما وراءه مطلب، ولا عذر مذهب، ولا على كرمه لمجتد مطعن، وما مثلنا إلا، كما قال عبد المسيح الهذلي[٢]: [الوافر]

نُقَلِّبُـــهُ لنُخْبِـــرَ حَالَتَيْـــهِ ... فَنُخْبِـــرُ منـــهما كَرَمـــاً ولِيْنَـــا

نَميـــلُ علَـــى جَوانِبِـــهِ كَأنّـــا ... نَميـــلُ إذا نَميـــلُ علَـــى أبينَـــا

كانت أم الفضل بنت الحارث الهلالية تُرقص عبد الله بن العباس، وتقول:

ثَكِلْـــتُ نَفسِـــي وثكلْـــتُ بِكْـــري ... إنْ لَمْ يَسُدْ فِهـــراً وغَيْـــرَ فِهـــرِ [٥١]

أبو نواس قال: دخلت على الأمير فقلت: يا أمير المؤمنين قد قلت فيك أبياتاً، آليت أنْ لا آخذ لكل بيت ,لا عشرة آلاف درهم، فقال: هات فأنشده: [مجزوء الكامل]

قَـــدْ قُلْـــتَ، والغَـــيْمُ دَانٍ ... يكـــادُ يُـــدفَعُ باليَـــدِ

يَـــا غَـــيْمُ أَرْعِـــدْ وأَبْـــرِقْ ... مُحَمَّـــدٌ منـــكَ أجْـــوَدْ

علَـــى الأَمِـــينِ تَمَنَّـــتْ ... بِـــاللهِ ربِّ مُحمّـــدِ

أنْ لاَ يقُـــولَ لِـــرَاجٍ ... أتَـــاهُ لا عَـــنْ تَعَمُّـــدِ

فأعطاه أربعين ألفاً، يُقال نعم الناصر الجواب الحاضر. ذكر الأصمعي، قال: كنتُ مع الرشيد بالرقة، فبعث إلي وقت صلاة العصر أحب أمير المؤمنين، فقمتُ مبادراً، فأُدخلتُ عليه، وهو جالس على كرسي من الخيزران.

وإلى جانبه صبية خمسية، فسلمت، فلم يرد السلام، وإذا هو يخط على الأرض، ويكتب بإصبعه، ثم رفع رأسه إلي وقال: يا أُصَيْمع فقلت لبيك يا أمير المؤمنين قال: ألا ترى إلى الدعي

---

(١) ديوان أبي العتاهية، ص٦٠٦.

(٢) لم يرد في ديوان الهذليين.

ابن الدعي اليهودي بن اليهودي، عبد بني حنيفة ودَعِيُّ بني أُميَّة مروان بن أبي حفصة، يقول لمعن بن زائدة وإنما هو عبد بن عبيدي[1]: [الوافر]

أَقَمْنَا باليَمامةِ إذ يَئِسْنَا مُقاماً لا نُرِيدُ بهِ ارْتِحَالاَ
وَقُلْنا أَينَ نَرحَلُ بعدَ مَعْنٍ وقَدْ ذَهَبَ النَّوالُ لا نَوالاَ
وكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمُ لِمَعْنٍ إلى أنْ زارَ حُفْرَتَهُ عِيَالاَ

فجعلني، وولدي وحشمي عيالا لمعن، وإذا كان قد ذهب النوال، فلا نوال فيما بصنع ابن الزانية ببابي؟ فقلت هو ببابك يا أمير المؤمنين، وأنت أولى به، فقال، يحضر الساعة فأحضروه من ساعته إليه فقال: السياط، فأُحضرت، فقال صبُّوها عليه الدَّعيُّ الفاجر، فجعلت تأخذه من هاهنا وهاهناوهو يصيح، يا أمير المؤمنين ارْعَ حرمتي بك وبأبيك، ومدائحي فيه وفيك، وهو يقول: أوجع ابن الزانية، حتَّى ضُرب ثلاثمائة سوط، وهو يقول: اسمع بحق جدِّك وابن عمِّك ما قلته فيك، فقال هات ما قلته فأنشده[2]:

طرقتكَ زائرةٌ فحيِّ مناهَا

حتَّى أتى على آخرها، فضحك، ثم قال: يُعطى سبعين ألف درهم فَقَبَضْتُها وانصرفتُ محمولاً، ثم قال يا أُصَيْبِع أتدري من هذه الجويرية؟ قلت لا، والله يا أمير المؤمنين [٥٢] قال: هذه نواسه بنت أمير المؤمنين قم فقبل رأسها، فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون، أفلت من واحدة، وأقع في أخرى، أغلط منها أقبل رأسها فتداخله غيرة هاشمية فيقتلني فتغافلت فأخذ الحزن[3] ليحذفني به، فقمت فوضعت كمي على رأسها، ووضعت كفي على كمي، ثم قبلت كفي، فقال، والله لو أخطأت لضربت عنقك.

فقلت يا أمير المؤمنين، فما جزاء من يوافق محبتك؟ فضحك، وأمر لي بعشرة آلاف درهم، ثم أخذ بعد حديثه عوداً من الأرض، فقال مثل هذا من حَظٍّ خَيْرٌ مَنْ جبل عظيم من العقل بلاحظ.

قال: دخل البلاذري على أبي عيسى بن المتوكل، فسأله حاجة تعذرت عليه، فرأى البلاذريّ لأبي عيسى، وهو يتغمز من يعذر حاجته، والخمر في وجهه، ويصفر من الغم لذلك، فقال

---

(١) ديوان أبي نواس، ص٢١٧.

(٢) ديوان ابن حفصة، ص٨٣، مع اختلاف في الرواية.

(٣) الحزن: الشيء الغليظ، اللسان: (حزن).

أَيُّهَا الأمير حسبك، فقد، والله بان في وجهك الاغتمام يتعذر حاجتي، وذكرته، قول الشاعر:

يَكادُ يَخـرجُ في ديبـاجِ أَوْجُهِهِـم ... خوفُ الملامةِ حَتَّـى يَقْطُـرِن دَمَـا

قال تميم بن نصر بن سيار لأعرابي: هل أصابتك تخمة قط؟ قال أما من طعامك فلا. وقال أحمد بن المعذل[1] [البسيط]

وأنتم أهلُ بيـتِ الفضـلِ نـائلكم ... ستر علينـا مـن المعـروفِ ممـدود

نَرجُـو لباقيـةِ الأيـامِ بـاقيكُمْ ... ومَنْ مَضَى فَهْوَ مَوْجـودٌ ومَحْمُـودُ

في ضده لبعض الشعراء.

يَتَبـاهَوْنَ وخُبْـزُهُم عَـدَدٌ ... وإذامُهُـم ملـحٌ إذا احَتَسَـدُوا

وإذا دُعُـوا الخـلافَ مكرمـةً ... قـاموا وإنْ يُـدعوا لهـا قَعَـدُوا

سأل أبو نواس أبي الشمقمق عن حاله فأنشده[2]: [الخفيف]

كنتُ فيما مضَى فَتَـى أمـدحُ النَّـاس ... وأهجـــوُ وذاكَ ذلٌ ذَليـــلُ

فأنـا اليـومُ لـيسَ قَـوْلي إلاّ ... حَسْـبُنَا اللهُ وهـو نِعْـمَ الوَكيـلُ

قال لَهُ أبو نواس: يا ابن الزانية، قل لهذا يطعمك الخبز، فبلغت الرشيد، فقال ليلعمن الزنديق أذاك سينفعه، فبعث إلى أبي الشمقمق بعشرة آلاف درهم، وأمر أنْ يجري عليه في كل شهر ألف درهم.

قال زيد بن الحباب ما رأيت سفيان الثوري (ﷺ) رضي عن السلطان إلا مرة واحدة، وذلك أنه خرج إلينا من منزله فقال: يَا أَيُّهَا النَّاس اعذروا السلطان، فإني ذبحت شاة. فما استطعت [٥٣] أنْ أعدل في تفرقتها بين قومي وجيراني.

نظر أعرابي إلى رجل يكتب دفتراً بخط دقيق، فقال يا هذا إنك لعلي ثقة من الدهر. قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. مَن أحب أنْ ينظر إلى أحسن منظر فليأت مـنزل عمي العباس، يجد عبد الله أعلم النَّاس، وعبيد الله أسخى النَّاس، والفضل أفضل النَّاس.

وقع المأمون إلى أحمد بن هشام على رقعة رجل تظلم منه، أكفني أمر هذا وإلا كفيته أمـرك.

وقَّعَ السَّفَّـاح إلى صاحب أرمينيَّـةَ، وقد بلغه شغبهم عليه، وهمهم للمال الذي قبله اعتزل، عافاك الله عملا لو عدلت لم يشغبوا، ولو قويت لم ينهبوا، لبعضِ الأعراب: [الطويل]

---

(١) ديوان ابن المعذل ص٤٥

(٢) لم يرد البيتان في ديوان أبي الشمقمق.

إِذَا لم تكُنْ جَلَداً على بِـدَعِ الهَـوَىَ غرُوفــاً إذا شَـيءٌ أمـرَّتْ مرائـرُهُ
فَمُتْ واسترِحْ فالموتُ منَ ذاكَ راحـةٌ وتقطيعُ أسباب الـذي أنـتَ ذاكُـرُهُ

دخل وفد من المسلمين عبى ملك الروم، وكانوا ثلاثة أحدهم مختضب بالوسمة، والآخر مختضب بالحناء، والآخر أبيض اللحية، فأعطى المختضب بالوسمة عشرة آلاف دينار، والأبيض خمسة آلاف.

ولم يعط المختضب بالحناء، فقال له: ولم أعطيتهم ومنعتني؟ قال: لأن صاحب الوسمة ابتلي بالبياض فصبغه صبغاً رده إلى شبابه، والمحبوب المطلوب، وألطف الحيلة، وأما صاحب البياض، لما ابتلي صبر، ولم يغير، فلم يحسن، ولم يسيء.

وأما أنت فابتليت، فلا صبرت، ولا أحسنت، فما دبرت وهذا يدل على فساد رأي، وخلل في الطبيعة، ومن هذا عقله لا تصلح معه الصنيعة، ولما دخل الشعبيّ على ملك كابُل، راه مختضباً بالحناء، فقال الملك لترجمانه، قل له: ما هدا الخضاب، وما دعاك إليه؟، فقال سُنَّةُ سلفنا، فقال الملك ما أدري ما سُنَّتكم، إلا أنه قد كان ينبغي لو خلقتم على هذه الخلقة أَنْ تغيروها لبعضهم: [الكامل]

وَدَعُ المَشـيبِ شَرَاسَـتي وَغَرَامـي وَرَمْيُ جُفـونِ العَـيْنِ بالسِّـجامِ
وَلَقَدْ حَرَصْتُ بـأَنْ أوارايَ شخصـهُ عَنْ مُقلـتي فَرَمَيْتُ غَيْـرَ مَرامـي
فَصَبَغْتُ ما صَبَغَ الزمـانُ فلـم يَـدُمْ صَـبْغي وَدَامَـتْ صَـبْغةُ الأَيّـامِ

لبعضهم: [٥٤] [الوافر]

إِذَا لَبِسُـوا عَمَـائمَهُم تَوَهّـَا عَلَـى كـرمٍ، وإنْ سَـفِرُوا أنـارُوا
يَبِيـعُ ويشْـرى لهـمُ سِـواهُمُ ولكـنْ بالطِّعَـانِ هُـمُ تُجّـارُ
إذا مـا كُنْـتَ جـارَ بَنـي عقيـلٍ فأنـتَ لأكْـرَمُ الثقلـيْنِ جَـارُ

في بعض من قلد أمانته على العمال: [الكامل]

إنَّ الأُلى وَلِّـوكَ حفْـظَ أمَانَـةٍ مَا صَـادفوا بـكَ حافظاً مأمُونـا
بكتِ الضِّياعُ مِـنَ الضُّبَّاعِ بـأَعْيُنٍ أبْـكَيْنَ مَنْ أنْـسَانُهُنَّ عُيُونـا

ذكروا أنه لما أتي عبد الملك بن صالح وفد الروم، أقام على رأسه رجالاً لهم قصر وهام ومناكب، وأجسام وشعور، فبينا هم يكلمونه، والبطريق جالس عنده، ووجه رجل من الذين

احتارهم للمباهاة في قفا البطريق.

إذ عطس عطسة ضئيلة، فلحظه عبد الملك بن صالح لحظة مُنكرةً لم يدر العاطس ما سببها، فلما انصرف الوفد: قال لَهُ: الرجل رأيت عينيك تلحظاني لحظاً منكراً، فما سببه؟، فقال له: فهلا إذا كان منخراك ضيقين وخيشومك في كرارها خيشوم الأرنب، اتبعت عطستك بصيحة تخلع به قلب العلج، ثم أنشد، قول العتابي في الرشيد: [المتقارب]

جَهِيرُ العُطَاسِ شَدِيدُ النِّيَاطِ ... جَهِيرُ الرُّوَاءِ جَهِيرُ النَّغَمْ

وَيَخْطُو عَلَى الأَيْنِ خَطْوَ الظَّلِيمِ ... وَيَعْلُو الرِّجَالَ بِجِسْمٍ عَمَمْ

وأنشد أبو عمرو بن العلاء لرجل من الخوارج، في وصف شبيب بن يزيد الخارجيّ، المعروف بابن الديلمية: وكان شبيب يصيح في الخيل إذا أتته، فلا يلوي أحد إلى أحد[1]: [البسيط]

إنْ صاحَ يوماً حَسِبْتَ الصخرَ منحدراً ... والريحَ عاصفةً والبحرَ مُلْتَطِمَا

شكا بعض النّاس إلى صديق لَهُ رجلاً ما يلقاه من شره، فقال لَهُ: اصبر عليه واحتمله، وأنشد: [الطويل]

فَلَوْ كانَ مِنْهُ الخيرُ أو كانَ شَرُّهُ ... عتيداً جَعَلْتُ الخيرَ مِنْهُ مَعَ الشَّرِّ

وَلَوْ كان لا شرٌّ ولا خَيْرَ عِنْدَهُ ... رضيتُ لنفسي بالجَفَا مَعَ الصِّغْرِ

وَلكِنَّهُ شَرٌّ ولا خَيْرَ عِنْدَهُ ... وَليسَ على شَرٍّ إذا دَامَ مِنْ صَبْرِ

مَرَّ رجل ببعض الولاة، وهو يعذب قوماً في الخراج، ويصل قوماً بدراهم، فقال لَهُ: إن كنت تصل من ترحم فارحم من تعذب، قال رجل لعمر بن [٥٥] الخطاب (ﷺ) ياأمير المؤمنين: أعطي الشعراء، فقال خير المال ما وقى العرض. قيل إنه أبطأ ابن عبدل الأسديّ أياماً عن عبد الملك بن بشر بن مروان، وهو والي العراق.

فقال يا ابن عبدل لم أرك منذ أيام، فقال أصلح اللهُ الأمير، كنت خطبت مرأة من أهلي فحلفتْ لا تتزوج بي، حَتَّى أخرج حقها، وأقضي دينها، وأقتضي مالها، فخرجت إلى البادية فمدحت هذا، وهجوت هذا، وحمدت هذا، وذممت ذا، فلما فرغت أتيتها تنجز الوعد فَمَلّت لي رقعة فيها مكتوب أما واللهِ لو كرهت يميني شمالي، ما وصلت بها شمالي. [الوافر]

سَيُعِيبُكَ الَّذِي حَاوَلْتَ مِنِّي ... إذا انتقضَتْ عَلَيْكَ قُوَى حِبَالِي

---

(١) لم يرد البيت في ديوان الخوارج.

كمـــا أعيـــاكَ معـــروفُ بـــنُ بشـــرٍ   وكنـــــتَ تَعـــــدهُ راسَ مـــــالي

فقال لَهُ عبد الملك: قاتلك الله ما أحسن ما ألطفت المسألة، وأمر لَهُ بمال وصرفه.

لما التاث عبد الله بن علي عم المنصور عليه، كتب إليه: [الطويل]

وَخَذْراء لــوْ أطْلَقْتَــها مِــنْ عقالهــا   تضايقَ عَنْها الأفــقُ، والأفــقُ واســعُ

فأيْنَ علــيٌّ مــا بَيْننــا مِــنْ قرابــة   وراجــعْ فَخَيِّــرُ المــذنبينَ المراجــعُ

فَإنــكَ إنْ ولّيــتَ ذِمّــةَ بَيْننــا   خلافاً تَوَلَّتْكَ السيــوفُ القــوا طــعُ

قيل لعيسى ﷺ، لو تزوجت يا روح الله، فيكون لك ولد، فقال الولد إنْ عاش كدّني، وإنْ مات هدّني، قال أمير المؤمنين علي ﷺ، لا تطيعوا النساء على حال، ولا تأمنوهن على مال، ولا تذروهن إلا لتدبير العيال، إنْ تُركن، وما يُردن أوردن المهالك، وأذكن الممالك، لا ديــن لهن عند لذتهن، ولا ورع لهن عند شهوتهن، ينسين الخير، ويحفظن الشر، يتهاوَيْن بالبــهتان؛ ويتماديْن في الطغان، ويتصدَّيْن للشيطان.

بعض الحكماء قال: ما أطاع عرسه لم يرفع نفسه. وقال آخر: اعص هواك، والنساء، واعمل ما شئت، وقال آخر: النساء شر كلهن، ومن شــرورهن قلــة الاســتغناء عنــهن. وقــال أرسطاطاليس: القينة ينبوع الأحزان. نظمه أبو الفتح البُستي[1]: [المتقارب]

يَقولــونَ مالَــكَ لا تَقْــتَني   مِنَ الدَّهْرِ مــالاً يُفيــدُ الغِنَــى [٥٦]

فَقُلْــتُ وأفحمــتُهُم في الجــواب   لــئلاً أخــافَ ولا أحْزَنَــا

يقال إنّ جمال الرجل في طي لسانه لا في طيلسانه. وقال ﷺ: ما أكل مــن قــدر علــى المعروف، وكانت لَهُ فيه نية، إذن لَهُ فيهن فإذا اجتمعت النية، والقدرة فهناك تمت الســعادة وله ﷺ: مَنْ عاش أبْصر في الأعداء بُغْيَتَهُ، وإنْ يَمُتْ فَلَهُ الأيامُ تَنْتَصِرُ.

قال بعض الحكماء: لو صُور العقل لأظلم معه الشمس، ولو صوِّر الحمق لأمنا معه الليل. قيــل لمريض: ما تشتهي؟ أشتهي أنْ أشتهي.

مَرَّ بعض ملوك الفرس على شيخ كبير يغرس شجرة حوز، فقال لَهُ: يا هذا أتطمع أنْ تعيش لتأكل منها، فقال: لا، ولكن الدُّنْيا سُلمت إلينا عامرة. فندفعها إليهم عامرة، فقال الملك ه حكيم أعطوه أربعة آلاف درهم، فقال الشيخ ما أسرع ما أدركت خير هذه الجوزة ــ، فقا

(١) ديوان أبي الفتح البستي، ص١٨٠، مع اختلاف في الرواية.

الملك أعطوه أربعة آلاف درهم أخرى، وأمسكوا لسانه، لئلا يتكلم بما يستحق به العطاء.
قيل لسعيد بن المسيب: مات إبراهيم بن محمد بن طلحة، قال: كيف مات؟ قيل سقط قصره، فقال هيهات لا يموت مثله هكذا، فلما أخرج من الهدم وجدوه حياً ما برجله كسر، فقيل لسعيد كيف قلت ما قلت؟ فقال: لأنه واصل للرحم، وواصل الرحم يُوقى سيئة السوء.
يُقال: إن القرابة تحتاج إلى المودة، والمودة لا تحتاج إلى القرابة، والود أعطف من الرحم. ذكر بعض الحكماء: أنْ غسل الوجه بالماء البارد عقب الخروج من الحمام يُبقي طراوته مع كبر السن. أوحى الله تعالى إلى إبراهيم ﷺ: (تدري لم اتخذتك خليلاً؟) قال لا، (لأني رأيتك تحب أنْ تعطي، ولا تحب أنْ تأخذ وهذه صفتي، فاتخذتك خليلاً). قال الحسن البصري: ما أنصفك مَنْ كلفك لحلاله ومنعك ماله. [الطويل]

إذَا لَمْ تكُنْ نفْسُ الشَّرِيفِ شَرِيفةً ... وإنْ كانَ ذَا قدْرٍ فَلَيس لَهُ شَرَفُ

قال أكثم بن صيفي: السخاء حسنُ الفطنة، واللؤم سوء التغافل، ومن [٥٧] حسن الفطنة تبليغ التعريض. ما حكى عن بعض الأمراء أنْ رجلاً سايره، فقال له: ما أهزل برذونك، فقال له: أيُّها الأمير يده مع أيدينا فوصله بصلة سنية، اكتفى بهذه الإشارة، ومن ذلك ما حكى عبيد الله بن سليمان أنه لما تقلد الوزارة للمعتضد، كتب إليه عبد الله بن عبد الله بن طاهر.
[الطويل]

أبِي دَهْرُنَا إسْعافنا فِي نُفُوسِنَا ... وأسْعَفَنا، فمن نُحبُّ ونُكرِمُ
فَقُلْتُ لَهُ نَعماكَ فيهِم أتِمَّهَا ... ودَعْ أمْرَنَا إنّ المُهمَّ المقدَّمُ

فقال الوزير: ما أحسن ما شكا حاله من إضعاف مدحه، وقضى حاجته. قال بعض الحكماء: الضرورة توقح الضرورة يعني العاجز، وفي معناه: [الطويل]

ألاَ قبَّح اللهُ الضَّرُورةَ إنَّها ... تُكلفُ أعْلاَ الخَلْقِ أدنى الخَلاَئقِ
وَللهِ دُرُّ الاختِيَارِ فَإنَّهُ ... يُبيِّنُ حَدَّ السَّبْقِ مِنْ غَيرِ سَابِقِ

قال الفضل بن سعيد لرجل سأله حاجة: أعدك اليوم، وأحبوك غداً بالإنجاز، فتذوق حلاوة الأمل، وأترين بثوب الوفاء. روى عن النبي (ﷺ) أنه قال: «**لكل شيء ثمرة، وثمرة المعروف تعجيل السَّراح**»(١).
وقيل لأنُوشِرْوَان: ما أعظم المصائب عندكم؟ فقال: أنْ تقدر على المعروف، فلا تصطنعه،

---
(١) لم يرد القول الشريف في الكتب المعتمدة.

حَتَّى لا يفوت. وقال أبو عبد الحميد: مَنْ أضاع الفرصة عن وقتها فليكن على ثقة من فوتها. روي عن النبي (ﷺ) أنه ذكر عنده رجل فذكر فيه خير، وقالوا: يا رسول الله صلى الله عليك: خرج معنا حاجاً فإذا نزلنا منزلاً لم يزل يصلي، حَتَّى نرحل، فإذا ارتحلنا لم يزل يذكر الله سبحانه، حَتَّى نتزل، قال: «**فمن كان يكفيه علف ناقته وصنيع طعامه؟**» قالوا: كلنا قال: «**فكلكم خير منه**»(1).

كتب بعض ذوي الحاجات إلى عامل بلد في رعاية حرمته: [الكامل]

أَعْلَى الصِّرَاطِ تُرِيدُ تَطَهُّـرُ حُرمَتِـي ... أم في الحِسَـابِ تَمُـنُّ بالأَنْعَـامِ

لِلنَّفْـعِ في الـدُّنْيَا أُرِيـدُك فَانْتَبِـهْ ... الحَـيَّ أَنْجَى مِـنْ رَقْـدَةِ النُّـوَّامِ

وكتب أبو علي البصير إلى بعض الوزراء، وقد اعتذر إليه بكثرة الأشغال:

لَنَا كُـلَّ يَـوْمٍ توبـةٌ قَـدْ نتوبُهَـا ... وَلَيْسَ لنـا رزقٌ، ولا عنـدنا شُـغْلُ

فَـلا تعتـذرْ بالشُّـغْلِ عنـا فإنّمـا ... تُناطُ بكَ الآمالُ ما اتصلَ الشغلُ [٥٨]

قال بعض البلغاء المقادير الغالية لا تُنال بالمغالبة، والأرزاق، لا تُنال بالشدة، والمكالبة، فذلك للمقادير نفسك، وعلم بأنك غير نائل بالحرص إلا حظك، وقد قيل رب حظ أدركه غير طالبه، ودُرٌّ أحرزه غير جالبه ودَرٌّ حصله غير حَالبه، لبعض الأدباء، وهو محمد بن حازم: [مجزوء الكامل]

يَـا أسـيرَ الطَّمـعِ اكَـا ... ذب في أسْـرِ الهَـوانِ

إنَّ عـزَّ النَّـاسِ خـيرٌ ... لَـكَ مِـنْ ذلـكَ الأَمَـاني

سـامح الـدَّهرَ إذا أعـزَّ ... وخُـذْ صَـفْوَ الزَّمـانِ

رُبّمـا أُعْـدِمَ ذو الحِـرْ ... صِ وأثـرى ذو التَّـواني

قال بعض الحكماء: في تقلب الأحوال تُعرف جواهر الرجال، الكره يسهل بالمرون، قال في تأويل قوله تعالى: حياة طيبة، قال القناعة. وقال أكثم بن صيفي من باع الحرص بالقناعة ظفر بالغنى، والثروة، وقال بعض الشعراء: [الطويل]

إذا كنتَ ذا مالٍ و لم تـكُ ذا نـدىً ... فأنـتَ إذن والمُقِتِّـرُونَ سـواءُ

على أنَّ في الأمـوالِ يومـاً تباعـةً ... علـى أهْلِهـا والمُقِتِّـرونَ بـراءُ

---

(1) لم يرد الحديث في الكتب المعتمدة.

(وقال آخر(1)): [الطويل]

إذا اسودَّ وَجْهُ المَرْءِ وابْـيَضَّ شَـعْرُهُ ... تَـنَغَّصَ مِـنْ أيامـه مُسْـتَطابُها

وَغُرَّةُ عُمْـرِ المـرء قبـل مشيبه ... وَقَـدْ فَنِيَـتْ نفـسٌ تـولَّى شـبابُها

فدعْ عَنْكَ فَضَلاتِ الأمـورِ فإنَّـه ... حرامٌ على نفس الكريم ارتكابُهـا

وَمَنْ يَذقِ الـدُّنْيا فـأنّي طَعَمْتُهـا ... وسِـيقَ إلى عـذْبِها وعَـذابِها

ومـا هـي إلا جيفـةٌ مسـتحيلة ... عَلَيهـا كِـلابٌ هَمُّهُـنَّ اجتـذابُها

فإنْ تجتنبها صِـرتَ سِـلماً لأهْلَهـا ... وإنْ تجتنبْهـا نازعَتْـكَ كلابُهـا

قال بعض الحكماء إنّ مَنْ قنع كان غنياً، وإنْ كان مقتراً، ومن لم يقنع كان فقيراً، وإنْ كان مكثراً، وقال بعض السلف من البلغاء، إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة، وإذا طلبت العزّ، فاطلبه بالطاعة، فمن أطاع الله (ﷻ) نصرهُ، ومن لزم القناعة زال فقره. قيل لبعضهم: صف لنا حال الأخ الصالح، فقال: يلقاني بوجه لا غنى به عني، وأنا إليه محتاج، وإنْ أذنبتُ غفر وكأنه المذنب، وإنْ أسأت أحسن وكأنه المسيء لَهُ بشر مقبول، ونائلٌ مبـذول، وعفـاف معروف، وأذى مكفوف لبعضهم: [الطويل]

خَبَتْ نارُ نفسي إذا أضاءَتْ مَفَـارِقي ... وبَـانَ شَـبابي حـين لاحَ شَـبابُها

فيا بُومةً قد عَشّشَـتْ فـوقَ هَـامتي ... على الرَّغْم منّي حـين طَـارَ غُرابُهـا

عَرَفْتِ خَرَابَ العُمـرِ مِنـي فـزرتني ... ومأواكِ مِـنْ كُـلِّ الـدِّيارِ خَرَابُهـا

قال عمر لابن عباس(ﷺ): مَنْ ترى أُوَلِّيهِ حمص؟ قال: رجلاً صحيحاً منك صحيحاً لـكَ، قال: فكن أنت ذلك الرجل، قال لا ينتفع بي مع سوء ظنك بي، ولا أنتفع بك مع ظني بك. قال بعض الحكماء من يرى من ثلاث نال ثلاثاً من يرى: [الطويل]

فطوبا لنفس لا رُمْتَ بَـابَ دَارِهـا ... مُغْلَقَـةُ الأبـوابِ مُرخـيٌّ حجابُهـا

وأدِّي زكـاةَ الجـاه واعْلَـمْ بأنـهُ ... كَمِثْـلِ زكـاةِ المـالِ ثم نِصـابُها

وأحسنْ إلى الأحرار تَمْلُكْ رقـابَهم ... فَخَيْرُ الخيـاراتِ الكـرامِ اكتسـابُها

ومَا تَخْرُبُ الدُّنْيا بِمَـوْتِ شِـرَارِها ... ولكنْ يُمَوِّتَ الأكْرَمينَ خرابُهـا[59]

من يرى من الشر نال العز، ومن يرى من البخل نال الشرف، ومن يرى مـن الكـبْر نـال

---

(1) ما بين حاصرتين زيادة عن الأصل، وما تحتها من شعر على الهامش.

الكرامة، قال معصب بن الزبير: التواضع مصائد الشرف، وفي منثور الحكم، من دام تواضعه كثر صديقه. قال بعض النّاس في الولاية رجلان، رجل يجل العمل ليفضله ومروءته، ورجل يجل بالعمل لنقصه ودناءته، فمن جلّ عن عمل ازداد تواضعاً وبشراً، ومن جلّ عنه عمله لبس به تجبراً وكبْراً، يُروى عن النبي (ﷺ) أنه قال: «**إنّ الله اختار لكم الإسلام ديناً فأكرموه بحسن الخلق، والسخاء فإنه لا يكمل إلا بهما**»[1].

قال الأحنف بن قيس: ألا أخبركم بأدواء الداء؟ قالو بلى، قال: الخلق الرديء، واللسان البذيء.

قال بعض الحكماء الحسنُ الخلق من نفسه في راحة، والنّاس منه في سلامة، والسيءُ الخلق النّاس منه في بلاء، وهو من نفسه في عناء، قال بعض الأدباء: عاشر أهلك بالمعروف، وبأحسن أخلاقك، فإنّ الثواء فيهم قليل.

يُروى عن النبي (ﷺ) أنه قال: «**حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار**»[2].

قال بعض الحكماء في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق، يُقال إن ذلك العزل ثمرةُ نية الولاية. حَكى حميد الطويل، وكان من الصلحاء، والتابعين عنْ عمار بن ياسر أنه عزل عن ولاية، فاشتد عليه ذلك وقال: إني وجدهما حلوة الرضاع، مُرّةَ الفطَام، ولبعض الشعراء: [الطويل]

فإنْ تكنْ الدُّنْيا أنالتْكَ ثروةً فأصْبحتَ ذا يُسرٍ، وقد كنتَ ذا عُسْرِ
لَقَدْ كشفَ الإثْراءُ منكَ خلائقاً من اللّؤم كانتْ تحت ثوب مِنَ الفقْرِ

في معنى هذا أنْ قتيبة بن مسلم كتب إلى الحَجّاج: إنّ أهل الشام قد التاثوا عليَّ فكتب إليه اقطع عنهم الأرزاق ففعل، فساءت أحوالهم، فاجتمعوا إليه وقالوا: أقلنا، فكتب إلى الحَجّاج بذلك، فكتب إليه، إن كنت آنست رشداً فأجر عليهم ما كنت تجرى، واعلم أنّ الفقر جند الله الأكبر يذل به كل جبار تكبر، وقد روى عن النبي (ﷺ) أنه قال: «**إنكم لن تسعوا بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجوه، وحسن الخلق**»[3].

في معناه الشاعر: [المنسرح]

---

(١) لم برد الحدىث في الكتب المعتمده.

(٢) ورد الحديث فى ضعيفه ٧٢٥.

(٣) ورد الحديث في مجمع الزوائد للهيثمي ٢٢/٨، مطالب ٢٥٣٩، الرغيب ، والترهيب للمدري ٤١١/٣، فتح الباري لاس حجر ٤٥٩/١٠، إتحاف السادة المتقين للزبيدي ٢٢٠/٦، ٣٢٠/٧، ٣٣٧، المعي عن حمل الأسفار للعراقي ٤٩/٣.

بَـنِيَّ إنَّ البِشْـرَ شَـيءٌ هَـيِّنُ ... وَجْـهٌ طَلِيـقٌ وكَـلامٌ لَـيِّنُ

قال عبد الله بن جعفر لا تستحي من القليل فإن البخل أقل منه، ولا تجبن [٦٠] عن الكثير فإنك أكثر منه، قال الشاعر:

اعمَـلِ الخَيـرَ مَـا اسـتطعْتَ ... وإنْ كانَ يسيراً فلن تُحيطَ بكُلِّـه

وَمَتى تَفعلِ الكَـثيرَ مِـنَ الخَيْـرِ ... إذا كُنْـتَ تارِكـاً لأَقَلِّـه

رُوي عن النبي (ﷺ) أنه قال: «**إذا أراد الله بعبد خيراً جعل ضايعه في أهل الحفاظ**»(١).

وفي منثور الحكم: لا خير في معروف، إلى غير عروق(٢). وقال حسان بن ثابت(٣): [الكامل]

إنَّ الصَـنيعةَ لا تكـونُ صَـنيعةً ... حَتَّـى يُصـابَ بهـا طريـقُ المَصْنعِ

فإذا صَنَعْتَ صنيعةً فاعمـلْ بهَـا ... للهِ أو لِـذي القَرابَـةِ أوْدِعِ

قال بعض الحكماء: على قدر المغارس يكون اختبار الفارس، وقد نظمهُ بعض الشعراء: [الطويل]

لَعَمْرُكَ ما المعـروفُ في غيـرِ أهْلِـه ... وفي أهْلِـه إلا كَـبَعْضِ الودائـعِ

فَمُسْتَودعٌ ضاعَ الَّذي كـانَ عنْـدَهُ ... ومُسْـتودعٌ مـا عنْـدَهُ غيـرُ ضائعِ

ومَـا النَّـاسُ في شُـكْرِ الصَّـنيعَةِ ... عندهُم وفي كُفرِها إلا كَبَعْضِ المَزارِعَ

روى عن النبي (ﷺ) أنه قال: «**من أودع معروفاً فلينشره، وإنْ نشره، فقد شـكره، وإنْ كتمه، فقد كفره**»(٤).

رُوي عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: دخل عليّ رسول الله (ﷺ) وأنا أتمثل بهذين البيتين: [البسيط]

ارْفَعْ ضَـعيفَكَ لا يحْزِبـكَ ضَـعْفُهُ ... يومـاً فتدركُـهُ العواقـبُ قَـدْ نَمـا

يُجْزِيكَ أو يُثْني عَلَيْـكَ وإنَّ مَـنْ ... أَثْنى عليـكَ بمـا فَعَلْـتَ فقـد جَـزا

فقال النبي (ﷺ): «**رُدِّي علي، قول اليهودي قاتله الله لقد أتاني جبريل برسالة من ربي: أيما رجل صنع إلى أخيه صنيعة، فلم يجد لها جزاء إلا الدعاء، والثناء، فقد كافأنا**»(٥). وقـال

---

(١) ورد الحديث في كنز العمال ١٢٦٣٣.

(٢) ورد الحديث في كنز العمال للمتقي الهندي ١٢٦٣٣

(٣) ديوان حسان ص ٤٩٣، تحقيق وليد عرفات

(٤) لم يرد الحديث في الكتب المعتمدة.

(٥) لم يرد الحديث في الكتب المعتمدة.

عبد الحميد من لم يشكر الأنعام فأعدده من الأنعام. قال بعض البلغاء شكر الإله بطُول الثناء وشكر الولاة بصدق الدعاء، وشكر النظير بحسن الجزاء، وشكر من دونك بسبب العطــاء.

وقال الشاعر: [الطويل]

فَلوْ كانَ يُشْغِلُني عَــن الشُّــكْرِ مُــنْعِمٌ ... لعــزَّةِ مُلْــك، أو عُلُــوِّ مَكَــان

لَمَــا أمَــرَ اللهُ العبــادَ بُشكــرِه ... فَقَالَ اشكروا لي أيُّهَــا الثَّــقَــلان

ولآخر: [البسيط]

لأشــكرنَّك معروفــاً هَمَمْــتَ بـــه ... إنَّ اهتمامَــكَ بــالمعروف معــروفُ

ولا ألومُـــكَ إنْ لم يُمْضِـــه قَـــدَرٌ ... فالشَّيء بالقَدَرِ المحتومِ مصــروفُ[٦١]

قال بعض الحكماء: مَن شكرك على معروف لم تُسْدِه إليه فعاجله بالبرِّ وإلا انعكس فصــار ذماً، وقد قال ابن الرومي[(١)]: [الطويل]

وَمَا الشكرُ إلا توأمُ الشــكرِ في الفَــتى ... وَبَعضُ السَّجَايا تُنتَســبُ إلى بَعْــضِ

فحيثُ تَرى حقــداً علــى ذي إســاءة ... فَــثَمَّ تَرى شُكراً على حُسن القَرْضِ

إذا الأرضُ أدتْ رُبعَ مــا أنــتَ زارعٌ ... من البَذْرِ فيها فَهيَ ناهيكَ مِنْ أرضِ

قال النبي (ﷺ): **«لا يشكرُ اللهَ من لا يشكر النَّاس»**[(٢)].

قال بعض الأدباء: مَن لم يشكر لمنعمه استحق قطع لنعمة. قال المأمون: النَّاس علــى أربعــة أقسام: زراعة فصناعة، وتجارة وإمارة، فمن خرج عنها كان كَلاًّ عليها. قــال الــنبي (ﷺ): **«خير المال عينٌ ساهرة لعينٍ راقدة»**[(٣)].

وقال بعض السلف: خير المال عين خرارة في أرض خوارة في حفجرها القارة، تسهر إذا نمت، وتشهد إذا قمت، وتكون عمياء إذ مت. وقال النبي (ﷺ): **«التمســوا الــرزق في خبايــا**

---

(١) ديوان اس الرومي ٢/١١٨.

(٢) ورد الحديث في: سىن أبي داود ٤٨١١، مسىد أحمد س حىبل ٢/٢٠٣، ٣٨٨، ٣٩٥، ٤٦١، ٢٧٥، ٢١٢، الســنن الكبرى للبيهقي ٦/١٨٢، المعحم الكىر للطبراني ١/١٦٢، مجمع الزوائد للهيثمي ٨/١٨٠، ١٨١، شرح الســة للبغــوي ١٣/١٨٧، إتحاف السادة المتقين للزبيدي ٤/١٥٦، كنز العمال للمتقي الهندي ٦٤٨٥، الترغيب والترهيــب للمــدري ٢/٧٧، موارد الظمآن للهيثمي ٢٠٧٠، حىف ١/١٠٩، مسىد أبي حىفة ١٦٣، حلية الأولياء لأبي نعيم ٨/٣٨٩، ٩/٢٢، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٥/٣٩١، الأدب المفرد للبخاري ٢١٨، كشف الخفاء للعجلــوني ٢/٥٢٦. السلســلة الصحيحة للألباني ٤١٧.

(٣) لم يرد الحديث في الكتب المعتمدة.

الأرض لجني الزرع»[(١)].

حُكي عن المعتضد بالله أنه قال: رأيت علياً ﷺ في المنام، فناولني مسحاةً وقال خذها فإنها مفاتيح خزائن الأرض. قال كسرى للموبد[(٢)] ما قيمة تاجي هذا؟

فأطرق الموبد ساعة، ثم قال: مطرة في نيسان تُصلح من معايش الرعية، ما يكون قيمته مقدار تاج الملك. يُروى عن النبي (ﷺ) أنه قال: «**خير المال مهرة مأمورة، أو سكة مأثورة**»[(٣)]

يعني بالمهرة المأمورة الكثيرة النسل.

ومن قوله تعالى: ﴿**أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا**﴾ [الإسراء: ١٦].

أي أكثرنا عددهم المأثورة النخلة الموثرة للحمل. في التوراة مكتوب يا ابن آدم أحدث سفراً أحدث لك رزقاً. حكى عنْ أنّ الإسكندر لما أراد الخروج إلى أقاصي الأرض، قال لأرسطاطاليس أُخرج معي، قال قد نحل جسمي وضعفت قواي عن الحركة، فلا تزعجني، قال: فما أصنع في عمال خاصة؟ قال مَنْ كان لَهُ عبيد فأحسن سياستهم فوله الجند، ومن كانت لَهُ ضيعة فأجاد تدبيرها فوله الخراج. قال النبي (ﷺ): «**أوحى الله إليّ [٦٢] كلمات قد دخلن أذني، ووقرن في قلبي: من أعطى فضل ماله فهو خير له، ومن أمسك فهو شر له، ولا تلم الله على كفاف**».

وقال حميد بن معاوية بن حيدة للنبي (ﷺ): «**ما يكفيني من الدُّنْيَا**»[(٤)]؟

قال: «**ما سَدّ جوعتك، وستر عورتك، فإن كان داراً فذاك، وإنْ كان حمار فبخٍ بخٍ فلق من خبز وجرة من ماء، وأنت مسؤول عما فوق ذلك**»[(٥)].

يقال مَنْ قل توقيه، كثُرت مساوئه، أنشدنا الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن الدهان المرتب بجامع المنصور، قال: أنشدنا الشيخ أبو علي محمد بن الحسين بن شبل لنفسه:

[مجزوء الكامل]

لَـيسَ المُصِـرُ سَـعيداً	بَـلْ التَقِـيُّ سَـعيدُ
طـلابُ مَـا لَـمْ تَقْـدرْ	علـى النفـوسِ شَـديدُ

(١) ورد الحديث في كشف الخفاء للعجلوني ٢٠٣/١، كنز العمال للمتقي الهندي ٩٣٠٣.

(٢) الموبد: الوالي، والقاضي، وهي كلمة فارسية، ولها عدة معان، انظر المعجم (النهي).

(٣) ورد الحديث في مجمع الزوائد للهيثمي ٢٥٨/٥، فتح لباري لاس حجر ٣٩٥/٨.

(٤) ورد الحديث في السلسلة الضعيفة للألباني ٧٢٥، الطبري ٣٢/١١، منثور ٢٨٣/٣.

(٥) لم يرد الحديث في الكتب المعتمدة.

والعجُــزُ كُثْـــرُهُ فكْـــرٌ   في فايــــــتَ لا يعـــــودُ
وراحـــةُ القَلْـــبِ مُلْـــكٌ   عنْـــدَ المُلُـــوكِ رُقـــودُ
في كُـــلِّ يَـــوْمٍ جَديـــدٍ   رِزْقٌ نَجـــيءُ ويعُـــودُ

وروي أنَّ أعرابياً جاء إلى عمر بن الخطاب (ﷺ) فقال: [الرجز]

يَـا عُمَـرَ الخَيْـرِ جُزِيْـتَ الجَنَّـةْ   أكْـسُ بُنَيَّـاتي وأمَّهُنَّـهْ
وَكُـنْ لنـا مِـنَ الزمـانِ جُنَّـةْ   أُقْسِـمُ بـاللهِ لتَفْعَلَنَّـهْ

فقال عمر إن لم أفعل تكن ماذا؟ فقال: [مخلع البسيط]

يكـونُ عَـنْ حـالي لتُسْـألَنَّ   يـومَ تكـونُ الأعصيـاتُ هُنَّـهْ
وَمَوْقِـفُ المَسْـئولِ بَيْنَهُـنَّ   إمَّـا إلى نَـارٍ وإمَّـا جنَّـهْ

فبكى عمر، حتَّى اخضلت لحيته وقال: يا غلام أعطه قميص لذاك اليوم لا لشعره، أما والله لا أملك غيره. كتب عمر بن عبد العزيز إلى الجرَّاح بن عبد الله الحكمي: إن استطعت أنْ تدع مما أحل الله لك ما تكون حاجزاً نفسه إلى الحرام.

قال بزرجمهر: إن كان شيءٌ فوق الحياة فالصحة، وإنْ كان شيء مثلها فالغنى، وإنْ كان شيء فوق الموت فالمرض، وإنْ كان شيءٌ مثله فالفقر بعض الشعراء [٦٣] [الطويل]

أعوذُ بكَ اللَّهُـمَّ مِـنْ بَطَـرِ الغنَـى   ومنْ نَهكَةِ البلوى ومن ذلَّـةِ الفَقْـرِ
وَمِنْ أَمـلٍ يرتَـدُّ بي كُـلَّ شَـارِقٍ   ويُـرجِعُني منـهُ بحَـظٍّ يَـدٍ صَـفْرِ
إذا لَـمْ تُدنسـي الذنوبُ بعَارِهـا   فَلَسْتُ أُبالي مَا تَشَـعَّثَ مِـنْ أَمْـرِي

قال عمر بن الخطاب (ﷺ): من نبل الفقر أنك لا تجد أحداً يعصي الله ليفتقر فنظمـه ابـن المقفع. شعر: [الطويل]

دَليلُكَ إنَّ الفَقْـرَ خـيرٌ مِـنَ الغِنَـى   وإنَّ القليلَ المـالِ خـيرٌ مِـنَ المُثْـرِي
لقـاؤُكَ مَخْلُوقـاً عَصَـى اللهَ بـالغِنَى   و لم ترىَ مخلوقـاً عَصَـى اللهَ بـالفَقْرِ

قال بعض الحكماء هيهات منك باغنى إن لم ينفعك ما حويت. قيل لأبي الزنـاد: لم تحـب الدنانير، والدراهم، وهي تُدنيك من النار: قال: وإنْ أدعى منها، فقد صانتني عنها. عن بعض الحكماء: من أصلح ماله، فقد صان الأكْرَمين: الدين، والعرض، وفي منثور الحكم من استغنى كرم على أهله. قال عبد الحميد: كيف تبقى على حالتك، والدهر في إحالتك؟، ويقـال: إن

الدهر حسود لا يأتي على شيء إلا غيَّره. وقال آخر: الدُّنْيا إنْ بقيت لك لم تبق لها، لشاعر: [الطويل]

وَمَنْ كَلَّفَتْهُ النَّفسُ فَوقَ كَفافِها   فَمَا يَنْقَضِي حَتَّى المماتِ عَنَاؤُهُ

يُروى عن النبي (ﷺ) أنه قال: **«إذا شئت أنْ تحيا غنياً، فلا تكن على حالة إلا رضيت بدونها»**[1]، وعنه ﷺ: **«ما من عبد إلاّ بينه وبين رزقه حجاب، فإن قنع واقتصد أتاه رزقه، وإنْ هتك الحجاب لم يزده في رزقه»**[2]. وقال المتدير:

إنّ القناعةَ والعَفافَ لَيُغْنِيان عَنِ الغِنَى   وإذا صَبَرْتَ عَنِ المُنَى فأشكرْ فقد نِلْتَ

قال مهنوز الشريف: العديم الأدب كالبنيان الخراب، الذي كلّما علِّي سمكه كان أشد لوجسته، وكالنهر اليابس، الذي كلما كان أعرض، وأعمق كان أشد لغورته، وكالأرض الجدبة المعطلة، التي كلما طال خرابها ازداد نباتها غير المنتفع به، وصارت للهوام مسكناً، حكى [٦٤] الأصمعي أنّ أعرابياً قال لابنه: يا بني الأدب دعامة أيّد الله بها أولى الألباب وحلية زين بها عواطل الأحساب، لشاعر: [المتقارب]

فَمَا خَلَقَ اللهُ مِثْلَ العقُول   وَلا اكتَسَبَ النَّاس مِثْلَ الأدَبْ

وَمَا كَرمُ المَرْءِ إلاّ التُّقَى   ولا حَسَبُ المَرءِ إلاّ النَّسَبْ

وفي الحِلْمِ زَيْنٌ لأهلِ الحِجَى   وآفةُ ذي الحِلْمِ طَيْشُ الغَضَبْ

قال بعض الحكماء ذَكِّ قلبك بالأدب، كما تُذَكّى النار بالحطب، وقد قيل إن الأدب أحد المنصبين، قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (ﷺ) العاجز من عجز عن سياسة نفسه، بعض الحكماء قال: مَنْ ساس نفسه ساد نفسه، وقال الأحنف بن قيس مَنْ ظلم نفسه كان لغيره أظلمْ، ومن هدم مجده كان بمجد غيره أهدم، قال بعض الحكماء: من رضي عن نفسه أسخط عليه النّاس، وقال كشاجم[3]: [الكامل]

لَمْ أرْضَ عَنْ نفسي مخافةَ سَخْطها   وَرِضُى الفَتَى عَنْ نفسه إغْضَابُهَا

وَلو أنَّنِي عَنْهَا رَضِيْتُ لَقَصَّرَتْ   عما تزيدُ بمثله آدابُها

وَتَبَيَّنَتْ آثارَ ذاكَ فَأكْثرتْ   عَذْلي عَلَيْهِ وَطَالَ فيهِ عِتَابُها

(١) لم يرد الحديث في الكتب المعتمدة.

(٢) لم يرد الحديث بالكتب المعتمدة بهذه الصيغة.

(٣) ديوان كشاجم، ص٤٣.

قال لنبي (ﷺ) لعِّمه العباس: «**أنهاك عن الشرك بالله، والكبْر فإن الله (ﷻ) يحتجب منها**»[1].

نظر مطرِّف بن عبد الله السخير إلى المهلب بن أبي صفرة وعليه حلّة يسحبها، ويمشي الخُيَلاَء، فقال لَهُ: يا عبد الله ما هذه المشية، التي يبغضها الله ورسوله؟، فقال لَهُ المهلب: أو ما تعرفني؟ قال: بلى أنت الذي أوّلك نطفة مدرة وآخرك جيفة قذرة وحشوك بين ذلك بولٌ وعذرةٌ، قال ابن المعتز، لما عرف أهل النقص حالهم عند ذوي الكمال، استعانوا بالكبير ليعظم صغيراً. ويرفع حقيراً وليس بفاعل، وقال بزُرجُمْهر: النعمة، التي لا يحسد عليها صاحبها هي التواضع، والبلاء الذي لا يرحم منه صاحبه العجب، ذكر عمر بن حصن أنه قيل للحجاج، كيف وجدت منزلك بالعراق؟ فقال: خير منزل لو كان الله سبحانه ملكني فيه أربعة نفر أتقرب إليه بدمائهم، قيل، لَهُ، ومن هم؟

قال: مقاتل بن مسمع، والي سجستان، فأتاه النَّاس فأعطاهم الأموال، فلما عُزل دخل مسجداً بالبصرة، فبسط لَهُ النَّاس أرديتهم، فمشى عليها وقال لرجل يماشيه: لمثل هذا فليعمل العاملون، وعبيد الله بن زياد بن ظبيان التيمي جرى لأهل [٦٥] البصرة أمّر، فخطب خطبة أوْجَز فيها فتنادى النَّاس من أعراض المسجد، كثّر الله فينا أمثالك فقال: لقد كلفتم الله شططاً، ومعبد بن زرارةَ كان ذات يوم جالساً في الطريق فمرّت به امرأة فقالت ي عبد الله كيف الطريق؟.

فقال لها: يا هذه مثلي يكون عبد الله، وأبو سَمَّاكْ الأسدي أضلّ راحلته فالتمسها النَّاس، فلم يجدوها فقال: والله لئن لم تَرُدنا فتى لاصَلِّيَنُّ لَهُ أبداً، فالتمسها النَّاس فوجدوها، فقالوا قد ردَّها الله فَصَلِّ فقال: إن يميني يمين مصِّر.

قال ابن السَّمَّاكْ لعيسى بن موسى: تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك، قال ابن المقفع: قابل المدح، كما دح نفسه، وقال بعض الحكماء من رضي أنْ يُمدح بما ليس فيه، فقا أمكن الساخر من نفسه لبعضهم: [البسيط]

يَـا جَـاهلاً غَـرَّهُ إفْـراطُ مَادِحِـهِ ... لاَ يَغْلبَنَّ جَهْلُ مَن أطراكَ عِلْمَك بِـكَ

أثْنَى وقَـالَ بِـلاَ عِـلْمٍ أحَـاطَ بِـهِ ... وَأنْتَ أعلمُ بالمحصـول مِـنْ قَبْلِـكَ

قال آخر: [الطويل]

(١) لم يرد الحديث بهذه الصيغة في الكتب المعتمدة.

وَمَا شَرَفٌ أَنْ يَمْدحَ المرءُ نَفْسَهُ ... وَلَكِنَّ أَعْمَالاً تُذَمُّ، وتمدَحُ

وَمَا كُلُّ خيرٍ يَصْدُقُ المرءُ ظنه ... ولا كُلُّ أصحاب التجارة تُمْدَحُ

ولا كُلُّ مَنْ تَرْجُو لغيبكَ حَافِظاً ... وَلاَ كُلُّ مَنْ ضَمَّ الوديعة يصْلَحُ

قال بعض البلغاء: حياة الوجه بحيائه، كما أنَّ حياة بمائه، وقال آخر: من كساه الحياء ثوبه لم يرى النَّاس عيبه. للشاعر: [الوافر]

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي ... وَلَمْ تَسْتَحِ فَافْعَلْ مَا تَشَاءُ

فَلاَ، واللهِ مَا فِي العَيْشِ خَيْرٌ ... ولا الدُّنْيَا إذا ذَهَبَ الحَيَاءُ

قال النبي (ﷺ): **«من ألقى جلباب الحياء فالغيبة له»**[1].

وقال بشار بن برد[2]: [الخفيف]

وَلَقَدْ أَصْرِفُ الفُؤَادَ عَنِ الشَّيءِ ... حَيَاءً وَحُبُّهُ في الفُؤَادِ

أَمْسِكَ النَّاسِ بالعَفَافِ وأمسي ... ذاكراً في غَدٍ حديْثَ الأَعَادي

آخر: [الوافر]

وَرُبَّ قَبِيحَةٍ مَا حَالَ بيْنِي ... وَبَيْنَ رُكُوبِهَا إلاّ الحَيَاءُ

إذا رُزِقَ الفَتَى وَجْهاً وقَاحَاً ... تَصَرَّفَ في الأُمُورِ، كما يَشَاءُ

قال بعض الأدباء: من عمل في السر عملاً يستحي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر، قال علي بن أبي طالب ﷺ: أول عوض الحليم عن حلمه [٦٦] أنَّ النَّاس أنصاره على عدوه، واغتاضت عائشة (ﷺ) على خادم لها، ثم رجعت إلى نفسها فقالت: لله درُّ التقوى ما تترك لذي غيض نفساً، وقال بعض البلغاء: أحسن المكارم عفو المقتدر وجود المفتقر، وقد أحسن الشاعر حَيْثُ قال: [البسيط]

لَنْ يَبلغَ المجْدَ أقوامٌ، وإنْ كَرُمُوا ... حَتَّى يُذَلُّوا، وإنْ عَزُّوا لأَقْوامِ

وَيُشْتَمُوا فترى الأَلْوانَ مُسفرةً ... لا صَفْحَ ذُلٍّ ولكنْ صَفحَ أحْلامِ

---

(١) السن الكبرى للبيهقي ٢١٠/١٠، إتحاف السادة المتقين للزبيدي ١١٧/٤، ٥٥٧/٧، المغني عن حمل الأسفار للعراقي ٢١٧/١، ١٠٥/٣، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٧١/٤، ٤٣٨/٨، تفسير القرطبي ٣٣٩/١٦، كشف الخفاء للعجلوني ٢٤٢/٢، ٣٢٠، ٥١١، تذكرة الموضوعات للفتني ١٦٩، ١٧٠، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي ١٧٧، السلسلة الضعيفة للألباني ٨٥٥.

(٢) ديوان بشار، ص١١٩/١.

حكي عن مصعب بن الزبير أنه لما وُلِّيَ العراق، نادى مناديه أين عمرو بن جرموز، وهو الذي قتل أباه، فقيل له: أيُّها الأمير إنه قد باعد في الأرض فقال: أفظن الجاهل أنني أُقيدهُ بأبي عبد الله؟ فليظهر آمناً وليأخذ عطاءه مسلماً، فعد النَّاس ذلك من مستحسن الكبر، لبعض الشعراء: [الكامل]

أَوَ كُلَّمَا طَنَّ الذُّبابُ طَرَدْتُهُ إِنَّ الذُّبَابَ إذنْ عَلَيَّ كَرِيمُ

ولآخر في معناه: [المتقارب]

فكنْ كَيْفَ شِئْتَ وقُلْ مَا تَشَاءُ وارْعِدْ يميناً وابْرِقْ شِمَالاَ

نَجَا لَوْمُكَ مَنْجَا الذُّبابِ حَمَتْهُ مَقَادِيرُهُ أَنْ يُنَالاَ

آخر في المعنى: [الكامل]

فاذْهَبْ فأَنتَ طَلِيقُ عِرضِكَ إِنَّهُ عِرْضٌ عَزَزْتَ بِهِ وأَنْتَ ذَلِيلُ

وقال بعض الحكماء: احتمال السفيه أيسر من التحلي بصورته، والإغضاء عن الجاهل خير من مشاكلته، وقال لقيط بن زرارة: [الطويل]

وقُلْ لِبَنِي سَعْد فما لي وما لَكُمْ تَرْقُونَ مِنِّي مَا اسْتَطَعْتُم وأعتقُ

أَعُدُّكُم أبي بأَحْسَن شِيمَة تَصِيرُ وأبي بِالفواحشِ أَحْذقُ

وإِنَّكَ قَدْ سَابَبْتَنِي فَقَهَرْتَنِي هَنِيئاً مريئاً أنتَ بِالفُحشِ أَحْذَقُ

قيل للإسكندر: إن فلاناً وفلاناً يتنقصانك، ويسبانك، فلو عاقبتهما فقال: هما بعد العقوبة أعذر في تنقيصي وسبي، فكان ذلك سبب تألفهما، قال علي عليه السلام لعامر بن مرة الزهري: مَن أحمق النَّاس؟ قال: مَنْ ظن أنه أعقلهم، قال: صدقت، فمن أعقلهم؟ قال: مَنْ لم يتجاوز الصمت في عقوبة.

وقد قال بعض الحكماء: مَنْ لم يغضب عندما يغضب الجاهل كان ذلك من ذُل نفسه وقلة حميته، وإنما المحمود مَنْ لا ينفذ غضبه، ولا يسترسل معه لأن حد الحلم ضبط [٦٧] النفس عن هيجان الغضب، ولهذا قالت الحكماء: ثلاثة لا يُعرفون إلا في ثلاثة مواطن لا يُعرف الجواد إلا في العسرة، ولا الشجاع إلا في الحرب، ولا الحلم إلا في الغضب، لشاعر في المعنى: [البسيط]

مَنْ يدّعي الحِلْمَ أَغْضِبْهُ لِتَعْرِفَهُ لا يُعْرفُ الحِلْمُ إلاّ سَاعَةَ الغَضَبِ

وقَدْ أنشد النابغة الجعدي بين يدي رسول الله (ﷺ) [(١)]: [الطويل]

فَلاَ خَيْرَ في حُلْمٍ إذا لَـمْ تَكُـنْ لَـهُ ... بَـوادِرُ تَحمـي صَـفوهُ أنْ يُكَـدَّرَا

ولاَ خَيْرَ في جَهْـلٍ إذا لم يكُـنْ لَـهُ ... حَليمٌ إذا مـا أوْرَدَ الأمْـرَ أَصْـدَرَا

ولم يذكر قوله، بل صوته، ومن فقد الغضب من نفسه، فقد فَقَد من فضائلها الشجاعة، والحمية، والغيرة، والأنفة، والدفاع، والأخذ بالثأر، والإنتصار، وقد قال المنصور: إذا كان الحلم مفسدةً كان العفو معجزةً، يقال من ردَّ غضبه، فقد هدَّ مَنْ أغضبه فسبب الغضب هجوم ما تكرهه النفس ممن دونها، وسبب الحزن ما تكرهه ممَّن فوقها.

فالغضب يتحرك من داخل الجسد إلى خارجه، والحزن بخلاف ذلك، ولهذا يُقتل الحزن، ولا يقتل الغضب لكمون الحزن وبروز الغضب، وصار الحادث عن الغضب السطوة، والانتقام لبروزه، والحادث عن الحزن السقم، والمرض لكمونه. لابن دريد: [الطويل]

إذا أمِـنَ الجُهـالُ أمْـرَكَ مـرَّةً ... فَعِرْضُكَ للجُهّالِ غُـنْمٌ مِـنَ الغُـنْمِ

فعِمْ عليه الحُلْمَ والجَهْلَ، والقِـهِ ... بمنزلَـةٍ بَـيْنَ العَـداوةِ والسِّـلْمِ

إذا أنتَ جازيْتَ السَّفيه، كما جَـرَى ... فأنْتَ سَفيهٌ مثلُـهُ غيْـرُ ذي حُلْـمِ

ولاَ تَغْضِـبَنْ عِـرْضَ السَّـفيهِ وَدَارِهِ ... بحِلْمٍ فَـإنْ أعْيَـا عَلَيْـكَ فَالصَّـرْمِ

فَيَرْجُـوكَ تَـارَاتٍ وَيَخْشَـاكَ تَـارةً ... وتأخذُ فيمـا بَـيْنَ ذلـكَ بـالحَزْمِ

فَـإنْ لَـمْ تَجِـدْ عليـهِ فاسْـتَعِنْ ... عليه بجُهَّـالٍ فـذاكَ مِـنَ العَـزْمِ

في التوراة مكتوب: "يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب، فلا أمحقك فيمن أمحق" وقيل: من ذكر قدرة الله عليه لم يستعمل قدرته في ظلم العباد، قال عبد الله بن مسلم بن محارب للرشيد: يا أمير المؤمنين أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك، وهو على عقابك أقدرك منك على عقابي، لما عفوتَ عني فتركه وعفى عنه، بعض الأدباء قال: إياك وعزة [٦٨] الغضب، فإنها تقضي بك إلى ذل العذر، أسمع رجل لعمر بن عبد العزيز كلاماً.

فقال عمر: أردت أن يستفزني الشيطان بعزَّة السلطان، فأنال منك اليوم ما نال مني غداً انصرف رحمك الله. قال رجاء بن حيوة لعبد الله بن مروان في أسره ابن الأشعث، إن الله قَدْ أعطاك ما تحب من الظفر، فأعطِ الله من ما يحب من العفو. قال المأمون لإبراهيم بن المهدي:

(١) ديوان النابغة الجعدي، ص٨٥، البيتان ٧٩، ٨٠.

إني شاورت في أمرك فأشاروا علي بقتلك، إلا أني وجدتُ قدرك فوق ذنبك، فكرهت القتل للازم حرمتك.

فقال يا أمير المؤمنين: إنّ المُشار أشار بما جرت به العادة في السياسة، إلاّ أنك أبيت أنْ تطلب النصر إلاّ من حَيْثُ عودته من العفو، فإن قتلت فلك نظير، وإنّ عفوت، فلا نظير لك، وأنشأ يقول[1]: [البسيط]

البِرُّ بي مِنْكَ وَطَّا العــذرَ عنــدَكَ لي ... فَما فَعَلْــتَ فلــم تعــدلْ و لم تُلَــم

وقامَ عُــذْرُكَ لي فــاحتجَّ عنْــدَكَ لي ... مقــامُ شــاهد عَــدْلٍ غَيْــرَ مــتَّهِم

لَئِنْ جَحَدْتُكَ مَا أَوْلَيْتَ مِــنْ نعَــم ... إِنِّي لَفِي اللُّــوْمِ أَوْلَى مِنْــكَ بِــالكَرَمِ

تَعْفُو بِعَدْلٍ وتَسْطُو إِنْ سَــطَوْتَ بِــهِ ... فَلاَ عَــدِمْنَاكَ مِــنْ عَــافٍ وَمُنْتَــقِمِ

قال بعض البلغاء: الوجوه مرايا تريك أسرار البرايا قال حكيم: العينان أنم منَ اللسان. وقال بعض الشعراء في ذلك المعنى:

تُرِيكَ أَعيــنُهُمْ مَــا فِــي صُــدُورِهِمْ ... إِنَّ العُيُــونَ يُــؤدِّي سِــرَّها النَّظَــرَا

قال النبي (ﷺ): «**في المعاريض مندوحة عن الكذب**»[2].

وسأل رجل رجلا ممن أنت؟ فقال: «**من ماء وطين**».

الرجل إنه من القبيلة المنسوبة إلى ماء، ولم يكن يعرفه، وهو ﷺ، أراد من الماء الذي يخلــق منه الحياة. قال بعض الحكماء: النَّاس في الدُّنْيَا كصور في صحيفة، كلما نشر، بعضها طُــوي بعضها، أسر معن بن زائدة ثلاثمائة رجل، وأمر بضرب أعناقهم، فقام إليه غلام منهم.

فقال: يا معن لا تقتل أسراك عطاشاً، فقال أسقوهم، فلما اسقوهم، قال لَهُ: يا معن لا تقتــل أضيافك، فقال خلوا عنهم، وأطلقهم، حُكي أنْ مجنون ليلى لما طردوه عن الحى، قيل إنه آيس من لقائها، واستأنس بعيدها ونأيُّها فأنشد[3]: [الوافر]

أَلَــيْسَ اللَيـــلُ يجمعُــــي وَلَيْلَـــي ... كَفَاكَ بِــهِ وذاكَ لَنَــا تَــدَانِ[٦٩]

---

(١) ورد الهامش (حاشية):

مرآئـــلَ العَقْـــلُ كُـــلّ وقـــبٍ ... تُريـــك مــــن نفســـك الخبايـــا

فـــلا تحكـــمْ هـــواك فيهـــا ... إنّ الهـــوى يصـــيدُ المرايـــا

(٢) ورد الحديث في إتحاف السادة المتقين للزبيدي ٧٢/١٠، سي ٣٢٢.

(٣) ديوان مجنون ليلى، ص٢١٥، مع اختلاف في الرواية.

تـــرَى وَضَـــحَ الهـــلالَ كمـــا أراهُ وَيَعْلُوهَـــا النَّهَـــارُ كمـــا عَـــلانِي

وفي معناه: [الطويل]

أُقلِّـــبُ طَـــرْفي في السَّـــمَاءِ لَعَلَّـــهُ يُصَادِفُ منها نظـــرةً حـــينَ يَنْظُـــرُ

قال بعض الحكماء: إياك، والعجلة فإن العرب تسميها أم الندامات، لأن صاحبها يقول: قبل أنْ يعلم، ويجيب قبل أنْ يفهم، ويعزم قبل أنْ يفكر، ويحمد قبل أنْ يجرب، ومن صحب هذه الأخلاق صحب الندامة، واعتزل السلامة، قيل إن الله (ﷻ) لم يخلق شيئاً، والمعروف أحسن منه إلا الشكر، فإنه أحسن من المعروف.

قال عبد الله بن العباس المعروف أوثق الحصون، وأفضل الكنوز، وأزكى الزروع، غير أنـــه لا يصلح إلا بثلاث: هي تعجيله، وتصغيرهُ وسترهُ فإنك إذا عجلته هنأته، وإذا صعرته عظمتـــه، وإذا سترته تممته. لما حبس الرشيد يزيد بن جرير أمر إحضاره لتأديبه، فلما مثل بين يديـــه، قال: يا أمير المؤمنين، غَذِّيُّ نعمتك وسليل منتك وخريج دولتك، فجزاك الله في وقت الغضب جزاء الكاظمين وعند الرضاء أمر المنعمين، فاستحسن قوله، وأمر بإطلاقه لبعضهم: [الكامل]

شَيْئَانِ لَوْ بَكَـــتِ الـــدِّمَاءَ عَلَيْهِمَـــا عَيْنَـــايَ، حَتَّـــى يُؤْذَنَـــا بَـــذهابِ

لَمْ يَبْلُغَـــا المِعْشَـــارَ مِـــنْ حَقَّيْهِمَـــا فَقْـــدُ الشَّـــبابِ وفُرْقَـــةُ الأَحْبَـــابِ

للمعري: [الخفيف]

حـــيٌّ مِـــنْ أَجْـــلِ أَهلهـــن الـــدِّيَارَا وَابْـــك هنْـــداً لاَ لِلنُّـــوَى والآثَـــارَا

فَهيَ قَالَتْ لَمّا رَأَتْ شَـــيْبَ رَأْسِـــي وأرادتْ تَعَتُّبَـــــــــــــــــــاً وازورارا

أنتَ بدرٌ وقد بَدا الصُّبْحُ في رَأْسِـــكَ والصـــبحُ يطـــردُ الأقمـــارا

حكى الأصمعي قال: أتى عبد الملك بن مروان برجل قامت عليه البينة بسرقة فأمر بقطعـــه، فقال الرجل: يدي يا أمير المؤمنين أعندها يعفوك أنْ تلقى مكاناً يشينها:

فـــلا خَيْـــرَ في الـــدُّنْيا ولا نَعيمهـــا إذَا مَـــا شـــمالٌ فارقَتْهـــا يمينُهـــا

فقال عبد الملك: هذا حدٌّ من حدود الله أقامه عليه، فقال: يا أمير المؤمنين فاجعله من بعـــض ذنوبك، التي تستغفر الله فيها فأطلقه. قبل: أنه كان لمحمد بن حميد بنت فتوفيت، فدخل عليه أبو تمام الطائي، فقال ما أقدمك يا أبا تمام؟ فقال: تعزية الأمير، فقال: أو ما علمت أني لا أقبل

العزاء؟ قال: فأنشدك بيتين من الشعر، فقال: وما هما(1): [٧٠] [الوافر]

تَعَــزَّ إذا رُزِئْـــتَ فَخَيْـــر درْعٍ ... تُسَــرْبَلُ للمَصَــائِبِ ثَــوبُ صَـبْرِ

وَلَــمْ أرَ نعْمــةً شملــتْ كريمــاً ... كعورة ذي حجَــى سُــترتْ بقَبْـرِ

قال أحسنت يا أبا تمام، ونهض رافعاً الحزن. يُروى عن النبي (ﷺ) عاد رجلاً من الأنصار، فلما أراد الانصراف، قال: «**جعل الله ما مضى كفارة، وأجراً، وما بقي عاقبة وذكراً**»(2).

قال أبو بكر بن عباس: كنت، إذ كنت شاباً إذا أصابتني مصيبة تصبرت لها، ولم أبك، وَرَدَدتُ البكاء فكان ذلك يؤذيني، ويوجعني، حتَّى رأيت أعرابياً واقفاً بالكناس على جمل ينشد(3): [الطويل]

خَلِيلَيَّ عُوجا مِنْ صُـدورِ الرَّوَاحِـلِ ... بِجَمْهُورِ حَزْوَى وابكيَـا فِي المَنَـازِلِ

لَعَلَّ انْحِـدَارَ الـدَّمْعِ يُعْقِـبُ رَاحَـةً ... مِنَ الوَجْدِ أوْ يُشْفي غَلِيـلَ البَلابِـلِ

فقلتُ من هذا؟ فقالوا: ذو الرمَّة، فأصابني بعد ذلك مصائب، فكنت أبكي فوجدت لذلك راحة، فقلت في نفسي، قاتلَ اللهُ الأعرابيَّ ما كان أبصره، وفي المعنى: [السريع]

أبْكِ، فمن أنفـعِ مَـا فِـي البُكَـاءِ ... بأنَّــــهُ للحُـــــزْنِ تَســـــهيلُ

وَهُـــوَ إذا أنْـــتَ تأملتَـــهُ ... حُـــزْنٌ عَلَـــى الخَـــدَّيْنِ مَحلـــولُ

كن يقال: أسرع لاستماع، وأبطئ التحقيق. هجا أبو الهول الحميري الفضل بن يحيى، ثم أتاه راغباً إليه فقال: ويلك بأي وجه تلقاني؟ قال: بالوجه الذي ألقى الله تعالى به وذنوبي عنده أكثر، فضحك منه، ووصله.

في دعاء داود ﷺ، قال: اللهم إني أعوذ بك من جار عينه تراني، وقلبه يرعاني، إن رأى حسنة كتمها، وإنّ رأى سيئة أذاعها، سأل النعمان بن المنذر الصقعُب النهدي: فقال: ما الداءُ العياء؟ قال: جار السوء، إنْ قاولته بهتك، وإنْ غبْتَ عنه سبَّكَ، قال خلاد الأرقط، إعطاء الشاعر من بر الوالدين، ومدح رجل الزّهري بشعر، فأعطاه وقال: مَن ابتغى الخير اتقى الشَّر لمسكين الدارمي(4): [الرمل]

---

(1) ديوان أبي تمام ص٢١٤.

(2) لم يرد الحديث بهذه الصيغة.

(3) ديوان ذي الرمة، ص١٣٣٢، مع اختلاف في الرواية.

(4) ديوان مسكين الدارمي، ص٥٦.

وإذا الفَـاحِشُ لاقَــى فاحِشـاً | فهنـاكم وافَـقَ الشـنُّ الطبَـقْ
إنّمـا الفُحـشُ ومـن يَعتـادُهُ | كغُـرابِ السـوءِ مـا شـاءَ نَعَـقْ
أوْ حمـارِ السـوءِ إنْ أشـبَعتَهُ | رَمَـحَ النّـاسَ وإنْ جـاعَ نَهَـقْ
أو غُـلامِ السُّـوءِ إنْ جَوَّعتَـهُ | سَـرَقَ الجـارَ وإنْ يشـبعْ فَسَـقْ
أو كغَيْـرى رَفَعَـتْ عَـنْ ذَيْلِهَـا | ثُـمَّ أرخَتْـهُ ضِـرَاطاً فـانْمَزَقْ[٧١]
أيُّهَـا السَّـائِلُ عَمَّـا قَـدْ مَضَـى | هَلْ جديـدٌ مثـلُ مَلْبُـوسٍ خَلَـقْ!

قيل لابن شبرمة: إن فلاناً لا يدري ما الشر يكفيه ذلك، أحرى أنْ يقع فيه. وقال الطائي: إذا كان الشريد يكفيه الترك فاتركه. قال النبي (ﷺ): **«ألا أبلغكم بشر النّاس، قالوا بلى، قال: مَنْ لا يقبل عثرة معذرة، ألا أنبئكم بشر من ذلك، قالوا: بلى، قال: مَنْ يـبغض النّـاس يبغضونه»**[(١)].

سمع الأحنف رجلاً يقول: ما أُبالي أَمُدحتُ أم هُجيتُ، فقال لَهُ الأحنف: استرحت يا هذا من حَيْثُ تعب الكرام. تبع داود بن المعتمر امرأة ظنها من الفواسد، فقال لها: لولا مـا رأيـت عليك مِنْ سيماء الخير لم أتبعك، فضحكت الامرأة تعجباً، وأَسـندت ظهرهـا إلى حـائط وقالت: إنما يعتصم مثلي من مثلك بسيماء الخير، فأما إذا صار سيماء الخير هو الدال لمثلـك على مثلي فالله المستعان. كتب أحمد بن علي الظاهري إلى الوزير أبي محمد المهلبي: [مجـزوء الكامل]

قَـدْ مـسَّ حَـالَ أُولـكَ الضُّـرُ | يَـا مـنْ إليـهِ النَّهـيُ والأمْـرُ
وصَـلاحُ عَبْـدِكَ أَنْـتَ تَعرِفُـهُ | واليـكَ فيـهِ النَّفْـعُ والضُّـرُّ
لا تَتْـرُكَنِّ الـدَّهْرَ يَظْلِمُنِـي | مَـا دامَ يقبـلُ قولَـكَ الـدَّهْرُ

حُكي عن أبي كثير محمد بن إبراهيم أنه، قال: لما جيء برأس الحسين بن علي عليهما السلام إلى دمشق، كبّر النّاس، فقال أعرابي: [الكامل]

لَكَأنّمَا بكَ يَـا بْـنَ بِنْـتِ مُحَمَّـدٍ | قتلُـوا جهـاراً عامِـدِينَ رَسُـولاَ
ويُكَبِّـرُونَ لأنْ قُتِلْـتَ وإنَّمَـا | قتلـوا بـكَ التكـبيرَ والتَّهْلِـيلاَ
فَبَكيْكَ أجفـانُ السَّـحَائِبِ بُكْـرَةً | وَبَكَيْـكَ أنفـاسُ الرِّيَـاضِ أَصِـيلاَ

---
(١) لم يرد الحديث في الكتب المعتمدة.

يَا مَنْ إذا حَسُنَ العَزاءُ عَلى امْرِئٍ   كانَ البكاءُ حُسْناً عَلَيْهِ جَمِيلا

قال الأوزاعي: إذا أراد الله بقوم شراً، أعطاهم الجدل ومنعهم العمل. وقال سفيان جوارحك سلاح الله عليك، بأيِّها شاء قتلك. وقال بعضهم: خرجنا من دارنا يكرم المعشر فاجتزنا بدار أبي محمد بن البادرائي الكاتب، وقد كان الخراب استمر عليها، واستولى، فقرأت على الحصن مكتوب شعر: [٧٢] [مجزوء الكامل]

يَا مَنْزِلَ القومِ الذينَ تَفَرَّقَتْ بِهِمُ المَنَازِلُ   أَصبَحْتَ بَعْدَ عِمَارةٍ قَفْراً تخرقكَ

فـــــئنْ رأيْتُـــكَ مُوحشــــاً   فلقــدْ رأيــتُ وأنــتَ أهْــلُ[1]

قال الجاحظ: رأيت جارية تباع في بغداد بسوق النخاسين، ينادي عليها، فدعوت بها وجعلت أقبلها، وكان على خدها خال، فأعجبتني، فقلت لها، ما اسمك؟ فقالت: مكّه، قلت، وما هذا الخال الذي على خدك؟ قالت: الحجر الأسود، قلت مُرادي أقبل الحجر الأسود، فقالت: إليك عني ألم تسمع إلى، قول الله تعالى: ﴿لَمْ تَكُونُوا بَالغيه إلاَّ بشقِّ الأَنفُس﴾ [النحل:٧].

شكا رجل إلى أفلاطون حاله، فقال له: إنك لن تجد النّاس إلا رجلين: إما موقر في نفسه قدمه حظّه، أو مقدّماً في نفسه، أخره دهره، فارض بما أنت فيه اختياراً وإلا رضيت به اضطراراً.

قيل إن عيسى بن موسى: دعا جارية إلى فراشه، فلم يقدر على وطئها وعجز فأنشا يقول: [البسيط]

القَلْبُ يَطْمعُ والأَسبابُ عَاجِزَةٌ   والنفسُ تَهلكُ بَيْنَ العَجْزِ والطَّمَعِ

قال الأصمعي: كنت مع الرشيد بطريق مكة فرأى ناراً من بعيد عالية، فقال ما هذا النجم؟ فقالوا: هذه نار، فقال: كأنها نجم، ما أشك أنْ العرب قَدْ قالت في هذا أشياء، أين الأصمعي، فأحضرت، وأنشدته لكثير[2]: [الطويل]

نَظَرْتُ وأصْحَابي بِأَيْلَةَ مُوهِناً   وَقَدْ حَانَ مِنْ نَجْمِ الثُّرَيَّا تَصَوَّبُ

لِعَزَّةَ نَاراً مَا تَبُوحُ كأنَّها   إذا ما رَمَقْنَاهَا مِنَ البُعْدِ كَوكَبُ

قال جعفر بن هشام بن عبد الملك يوماً سمعت مثل الأول إذا رمت عنها سَلْوةً فالشافعُ. من احب ميعادُ المقابر، فقلت أشعر منه الأحوص حَيْثُ يقول[3]: [الطويل]

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة عن الأصل.

(٣) ديوان الأحوص، ص٤٧.

سَيَبْقَى لَهَا في مُضْمرِ القَلْبِ والحَشَى ... سَرِيَرةُ حُبٍ يَومَ تُبْلَى السَّرائرُ

دخل أعرابي على خالد بن صفوان، فقال: أصلح الله الأمير، الأمير يأمر بملء جرابي هذا حنطة، فقال املأه دراهم فمليء، فحمله وخرج إلى النَّاس، فقالوا: ما صنعت في حاجتك؟ قال: سألت الأمير ما يشبهني فأمر لي ما يُشبِهُهُ ابن المعتز[1]: [البسيط]

إنِّي غَرِيبٌ بِدَارٍ لا كِرامَ بِهَا ... كَغُرْبَةِ الشَّعْرَةِ السوداءِ في الشَّمَطِ

ما نَشْرَحُ العَيْنَ في شيءٍ تُسَرُّ بِهِ ... ولستُ أُبْدِي الرِّضَا إلاّ على سَخَطِ

ما أحسن، قول الديلمي، وأجمله، وأكثر حكمته حَيْثُ يقول[2]: [٧٣] [الطويل]

وَعَدِّدْ مِنَ الرَّحْمَنِ فضلاً ونِعْمَةً ... عَلَيكَ إذَا مَا جَاءَ لِلخَيْرِ طَالِبُ

وإنِي امرؤٌ لا يُرتَجَى الخيرُ عِنْدَهُ ... يَكُن هَيِّنًا ثِقْلاً على مَنْ يُصَاحِبُ

فَلاَ تَمْنَعَنَّ ذَا حَاجَةٍ جَاءَ طَالِبَاً ... فَإنَّكَ لا تَدْرِي مَتى أَنْتَ رَاغِبُ

إذَا قُلْتَ في شَيءٍ نَعَمْ فَأَتِمَّهُ ... فإنَّ نَعَمْ دَيْنًا عَلَى الحُرِّ وَاجِبُ

وإلا فَقُلْ لاَ وَاسْتَرِحْ وَتُرِحْ بِهَا ... لِكَيْلاً يَقُولُ النَّاسُ إنَّكَ كَاذِبُ

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْجُو الأبَاعِدُ قُرْبَهُ ... إذا هُوَ لَمْ تَصْلُحْ عَلَيهِ الأقَارِبُ

وكذلك للمقنع الكندي: [الكامل]

أُبْلُ[3] الرِّجَالَ إذَا أرَدْتَ إخَاءَهُمْ ... وَتَوَسَّمَنَّ أُمُورَهُمْ وتَفَقَّدِ

فَإِذَا ظَفَرْتَ بِذِي الأَمانةِ والتُّقَى ... فبِهِ اليَدَيْنِ قَرِيرَ عَيْنٍ فَاشْدُدِ

وَمَتَى يُرِيبُكَ ولا مُحالَةَ زَلَّةً ... فَعَلى أخِيكَ بفضْلِ حِلْمِكَ فَارْدُدِ

حُكي أنْ وفود العرب، وأهل الشعر، والأدب، لا يقبلون برٌّ من يعطى بسؤال، ويسمح إذا حثّ على نوال. قال الأعشى[4]:

مَرَرْتُ بأقوامٍ فَعَافَتْ حِيَاضَهُمْ قلوصي ... وكانَ الشربُ منها بمائكا

وما ذاكَ إلاَّ أنْ كفَّيكَ بالنَّدى ... تجُودَانِ بالإعطاءِ قبلَ سؤالكا

(١) ديوان ابن المعتز ١١٢/٣.

(٢) ديوان مهيار ص١٣٦

(٣) أُبْلُ: اخبُر، اللسان: (أبل).

(٤) ديوان الأعشى ١٢٧.

وهذا من جزل المديح سمو الكلام الجزل الصحيح، وقد أحسن كثير عزَّة حَيْثُ يقول[1]: [الكامل]

غَـمْـرُ الـرِّدَاءِ إذَا تَبَسَّـمَ ضَـاحِكاً ... ذَلَّـتْ لِضَـحْكَتِهِ رِقَـابُ الْمَـالِ

سعى ساع إلى كسرى فأجابه، إن كانت السعاية صحيحة فهي بك قبيحة، فإن كنت أردت النصح فخسرانك أكثر من الربح، ومعاذ الله أنْ أقبل منْ مهتوكٍ في مستور، ولولا أنـك في خفارة شيبك لقابلتك مما يقابل به أمثالك: [الكامل]

وَمُهَفْهَـفٌ لمـا تملّـكَ مُهجَـتِي ... هَجَـرَ الوصـالَ وأوصَـلَ الْهَجْـرا

ـــو أنّ فيــه لمُستضـامٍ نُصْـرَةً ... مـا كـانَ يظلـمُ رِدْفُـهُ الخَصْـرا

لبعضهم:

صُنِ النفسَ وأحملْهَا على مـا يَزِينُهـا ... تَعِشْ سَالماً والقولُ فيكَ جَميـلُ[٧٤]

ولا تُـرِيَنَّ النَّـاسَ إلاّ تَجَمُّـلاً ... كَبَابِـكَ دهـرٌ أوجَفَـاكَ خَليـلُ

يَعِزُّ غَنِـيُّ النَّفْسِ لَـوْ قَـلَّ مَالُـهُ ... وَيَغْنَـى غَنِـيُّ المـالِ وهـو ذَليـلُ

فَـلا خَيْـرَ في وُدِّ امـرئٍ مُتَلَـوِّنٍ ... إذا الريحُ مَالَتْ مَـالَ حَيْـثُ تَميـلُ

جَـوادٌ إذا اسـتغْنَيْتَ عَنْـهُ بِمَالِـهِ ... وعنْـدَ نُـزولِ النائبـاتِ بخيـلُ

وَمَا أَكْثَرَ الاخـوانَ حَـينَ تَعُـدُّهُمْ ... وَلَكِـنَّهُم في النائبـاتِ قليـلُ

قيل إنَّ أبا دُلف العجلي أقام ببابه أعرابيٌّ شهراً يستمحنه، فلم يصله بشيء، فكتـب إليـه: [الكامل]

مَـاذا أَقُـولُ إذا سُـئِلْتُ وقِيـلَ لي ... ماذا لَقِيـتَ مِـنَ الجـوادِ المُفضِـلِ

إنْ قُلْتُ أعطـاني كَـذبتُ وإنْ أَقُـلْ ... بَخِـلَ الجـوادُ بمالـه لَـمْ يَجْمُـلِ

فاختَرْ لنَفْسكَ كَيْفَ شِـئْتَ فَـإنَّني ... لا بُـدَّ مخبرهُـم وإنْ لمْ أُسـألِ

فنفذ إليه بعشرة آلاف درهم: وكتب جوابه: [الكامل]

أَعْجَلْتَنـا فَأتَـاكَ قَـلَّ عطاءَنـا ... ولـو انْتَظَـرْتَ أتـاكَ غـيرُ مُقَلَّـلِ

فخذ القليلَ وكُـنْ كأنـكَ لَمْ تَسـلْ ... ونكـونُ نَحْـنُ كأنَّنـا لم نُسـألِ

---

(١) ديوان كثير عزة ٢١٨.

قال عمر بن الخطاب (ﷺ): مَن عرّض نفسه للتهمة، فلا يلومَنّ مَن أساء به الظن، ومن كتم سره كانت الخيرة في يده، ضع أمر أخيك على أحسنه، حتّى يأتيك منه ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المسلم سوءاً، وأنت تجد لَهُ في الخير محملاً، وما كافأت من عصا الله فيك بمثل أنْ يطيع الله فيه، وعليك بإخوان الصدق، وكن في اكتسابهم فإنهم زين عند الرخاء، وعدةٌ عند البلاء، ولا تهاون بالحلف بالله فيهينك الله تعالى.

روى معاذ بن جبل، قال: قَدْ شهد رسول الله (ﷺ) إملاك رجل من أصحابه، فقال: **«علـى الألفة، والطائر المأمون وسعة الرزق، باركَ الله لكم دفّفوا على رأسه»**[1]

قال: فجيء بدفّ وجيء بأطباق عليها فاكهة وسُكّر، فقال النبي (ﷺ): **«انتهبوا»**، فقال يـا رسول الله: أو لم تنها عن النهبة؟ فقال: **«إنما نهيتكم عن العساكر، أما العُرسات فلا»**[2].

قال [٧٥] فجاذبهم النبي عليه الصلاة، والسلام وجاذبوه.

دخل رجل على ابن حاجب النعمان الوزير فاعتذر من إغبابه الزيارة، وترك الملازمة، والتردد إليه، فقال الوزير: يا هذا قلة المصير مع الود في الضمير، خير من كثرة الحضور مع الغـل في الصدور. حكي عن بعض أهل البصرة: أنه رأى على باب بعض مـدائن البحـر القاصيـة. مكتوباً: بسم الله الخالق الخلق، وصاحب الرزق.

ما أعجب قصتي، وأعظم محنتي، أقصتني الخطوب، وأقصدتني النكوب، حتّى بلغت بي هـذا الموضع المهوب، ولو كان للبعد غاية استحق من هذا المحل لبلغني إليها، ولم يقنع لي إلا بهـا، وتحت مكتوب: [المتقارب]

ومـــنْ شــدة لا يمــوتُ الفَـــتى ... ولكــــنْ لميقاتـــــه يَهْلَـــــكُ

فسُبحانَ مَالكُ مَـا فـي السَّـمَاءِ ... والأرض حَقّــــا لا يُمْلَــــكُ

قال بعض الشعراء. قرأت على صخرة بجزيرة قبرص، يقول: فلان بن فلان البغدادي، قـذف بي الزمان إلى هذا المكان، وتحته: [الطويل]

---

(١) ورد الحديث على الألفة ، والخير ، والبركة ، والطير الميمون: السنن الكبرى للبيهقي ٢٨٨/٧، مجمع الزوائد للـهيثمي ٢٩٠/٤، فتح الباري لابن حجر ٢٢٢/٩، تنزيه الشريعة لابن عراق ٢٠٨/٢، الضعفاء للعقيلي ١٤٢/١، الموضوعات لابن الجوزي ٢٦٥/٢، اللآلئ المصنوعة للسيوطي ٩١/٢.

(٢) ورد الحديث في السنن الكبرى للبيهقي ٢٨٨/٧، ميزان الاعتدال ١١٨١، لسان الميزان لابن حجـر ٦٦/٢، اللآلـئ المصنوعة للسيوطي ٩١/٢، الفوائد المجموعة للشوكاني ١٢٤، الموضوعات لابن الجوزي ٢٦٦/٢، ٢٦٥، العرسات: الولائم للأعراس، اللسان: (عرس).

إِلَى اللهِ أَشْكُو لاَ إِلَى النَّاسِ إِنَّهُ ... عَلَى كَشْفِ مَا أَلْقَي مِنَ الْهَمِّ قَادِرُ

قال بشر بن الحارث الحافي: أشد الأعمال ثلاثة: الجود مع القلة، والورع في الخلوة، وكلمة حق عند من يخاف، ويرجأ لبعضهم: [الخفيف]

وَإِذَا مَا جَهِلْتَ وُدَّ صَدِيقٍ ... فَاخْتَبِرْ مَا جَهِلْتَ بِالعِلْمَانِ

إِنَّ وجهَ الغُلامِ يُنْبِيكَ عَمَّا ... فِي ضَمِيرِ المَوْلَى مِنَ الكِتْمَانِ

قُرِئَ على لوح قبر. مقيم إلى أنْ يبعث الله خلقه لقاؤك لا يرجى، وأنت قريب. [الطويل]

تَزِيدُ بَلاءً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ... وتَنسى كما تُبْلَى وأَنْتَ حَبِيبُ

ووجد منقور في جبن بناحية اصطخر، رُبَّ مغبوط بنعمة هي داؤه، ومرحوم مِنْ سقم هو شفاؤهُ ومحسودٌ على رخاء هو بلاؤه، سمع عمر بن دينار، أعرابياً يقول: زهدك في راغب بقص، ورغبتك في زاهد ذُلُّ نفس قال بعض الشعراء متغزلاً، وهو بالدُّنْيا أليق: [المنسرح]

مَا كُنْتُ أَيامَ كُنْتَ رَاضِيَةً ... عَنِّي بِذَاكَ الرِّضَا بِمُغْتَبِطِ

عِلْمَاً بِأَنَّ الرِّضَا سَيَتبعهُ ... مِنْكِ التَّجَنِّيْ وَكَثْرَةُ السَّخَطِ

فَكُلَّمَا سَاءَنِي فَعَنْ خُلُقٍ ... مِنْكِ مَا سَرَّنِي فَعَنْ غَلَطِ [٧٦]

لأبي بكر الخالدي[1]: [الكامل]

والبدرُ مُنْتَقِبٌ بِغَيْمٍ أَبيضَ ... هُوَ فِيهِ بَيْنَ تَسَتُّرٍ وَتَبَرُّجِ

كَتَنَفُّسِ الحَسْنَاءِ فِي المِرْآةِ إِذْ ... كَمُلَتْ مَحَاسِنُهَا و لم تتزوجِ

وفي معناه لأبي معمر أروي: [البسيط]

يَا رُبَّ لَيْلٍ طَوِيلِ البَاعِ بَاعَ لَهُ ... جفني الرُّقَادَ بِدمْعي إذا رَقْرَقَهُ

كأنَّما البَدْرُ لَمَّا أَنْ بَدَا كَمُلاً ... والغيمُ يَحبِسُهُ طَوْراً ويطْلقُهُ

وَجْهُ الحَبِيبِ عِتَابِي ظَلَّ يُلْبِسُهُ ... ثَوْبَ الحياءِ وَلِعتَابي يُمزِّقُهُ

حُكي أنه لما شهد أبو علقمة المري عند عبد الله بن نوار القاضي، ووقف في قبول شهادته، فقال لَهُ: لم وقفت في قبول شهادتي وإجرائها؟ قال: بلغني أنك تلعب بالكلاب، والصقور، قال: مَنْ أخبرك أني جاد في الصيد بها غير لاعب؟ فهل وقف المخبر لك على فرق ما بين الجد، والهزل، قال: لا، ثم أجاز شهادته. لأبي علي بن شبل: [الطويل]

---

(١) ديوان الخالديين، ص٢٤، مع اختلاف في رواية البيت الأول.

فَمَنْ مُبصِرٍ أَمْراً تَحامى دُلُوجَهُ ... وَمنواجٍ فيهِ دَرَى كَيْفَ يَخْرُجُ
واحَرُ لا مِنْ ذاوِلاً ذاكَ خابطٌ ... لِعَشْواءِ لَيلٍ دُونَها البابُ مُرتَجُ

يُروى أنه بالمدينة امرأة جميلة فنظرت في المرآة، وقالت: لزوجها هل أحدٌ من النّاس يرى هذا الوجه، فلا يفتتن به؟ قال: نعم، عبد الله بن عمر بن الخطاب، قالت: فتأذن لي، حَتَّى أفتنه؟ قال: نعم، فأتته كالمستغيثة له، فاستحلت معها في ناحية المسجد، ثم سفرت لَهُ عن وجهها، وهي في غاية الحسن، والجمال.

فقال لها: اتقي الله يا أمة الله، قالت: إني قَدْ فُتنت بك فانظر في أمري، فقال إني سائلك الله عن شيءٍ فإن صدقت فعلت، قالت، وما هو؟ قال: أخبريني لو أنَّ ملك الموت دخل عليه لقبض روحك أكان يسُرك قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: لا، قال: فاتقي الله يا أمة الله، فقد أنعم عليك، وأحسن إليك.

قالوا: فرجعت إلى زوجها، فقال لها: ما صنعت؟ قالت: نحن، والله بطالون، ثم أقبلت على الصوم، والصلاة، والعبادة، فكان زوجها يقول: ما لي ولعبد الله بن عمر أفسد علي زوجتي كانت عروسه [٧٧] صارت راهبة، للهذلي[1]: [البسيط]

لَوْ كانَ للدَّهرِ مالٌ كانَ مُتْلِدُهُ ... وكانَ للدَّهْرِ صَخرٌ مالُ قُنْيانِ
آبي الهضيمة نابٌ بالعظيمة ... متلافُ الكريمةِ لا سقطٌ، ولا وانِ
رباءُ مَرْقبةٍ قَوالُ محكمةٍ ... دَفّاعُ مُفْلتةٍ قطّاعُ أقرانِ
حامي الحقيقة نَسَّالُ الوديعة ... معتاقُ الوسيقة جلدٌ غير ثُنْيانِ
سَهَّادُ أنديةٍ حَمَّالُ أَلْوِيَةٍ ... هَبَّاطُ أوديةٍ سَرْحانُ فتيانِ
يَحْمي الصِّحابَ إذا سَالَ البرزُ ... ويكفي القائلين إذا ما كبلَ العاني
وَيَتْرُكُ القرنَ مُصفَرّاً أناملُهُ ... كأنَّ في رَيْطتَيْهِ نَضْحُ أرْقانِ
يُعطيكَ مَا لا تكادُ النفسُ تسألُهُ ... مِنَ البلادِ وَهُوبٌ غيرُ مَنّانِ

كان رجل يسمى وثاباً وسمى كلبه عمرو فقيل لَهُ فيه: [الرجز]

لَوْ هيأ لَهُ اللهُ مِنَ التوفيقِ أسباباً ... لَسَمَّى نفسهُ عمرو وسمَّى الكلبَ وثابا

للأصمعي قال: حدثني العلاء بن أسلم، قال: عزمت على الخروج إلى مكة، فجاءني أسلم بن

---

(١) ديوان الهذليين، شعر أبي المثلم الهذلي، ص ٢٣٨، مع بعض اختلاف في الرواية.

عقبة. وكان أحا ذي الرِّمة غيلان، فقال لي: يا ابن أخي إنك تريدُ سفراً يحضر الشيطان فيه حضوراً لا يحضر في غيره.

فاتق الله وصل الصلاة في وقتها فإنك تصليها لا محالة، فصلها، وهي تنفعك، واعلم أنَّ لكل رفقة كلبٌ ينبح عليهم، أنْ كان عاداً تقلده دونهم، فلا تكون كلب الرفقة. كان مطرف بن عبد الله يكره أنْ يقول: للكلب اخسأ، ومن دعائه على قوم لا يمنعون كلاهم من دخول مصلاهم، اللهم احرمهم بركة صيدهم. أعرابيٌّ يذم رجلاً: [الطويل]

نزلنا بعمَّارَ فأشلا كلابَهُ علينا فَكِدْنَا بينَ بيتيهِ نُوكَلُ

فقلتُ لأصحابي أُسُرُّ إليهُمُ إذا اليومَ أمْ يَومُ القيامةِ أطولُ

احر يذم رجلاً: [الكامل]

ولقَدْ دَخَلْتُ علَى زِيادٍ مَرَّةً فَظَنَنْتُهُ ممَّنْ يَضُرُّ وينفَعُ

فَإذا زِيادٌ فِي الرِّجَالِ كأنَّهُ مشطٌ يُقَلِّبُهُ خَصِيٌّ أصْلَعُ

قال الخبزأرزي حدثنا شيخ أديب من أهل البصرة أنه خرج يوماً من [٧٨] بغداد إلى موضع بها تسمى كرخايا، قال فوصلت إليَّ عَبَّارة الياسمين، فجلست أتنسم الهوى، وإذا بفتىً عليه اطمارٌ رثَّة ومعه دفاتر ومحبرة يسخ، فقلت يا فتى: مع هذا الجمال، والحسن أنت بهذا الشقاء فنظرني نظر متعجب مني وقال: شقائي هذا أحلى طعماً.

وأحمد عافية في الأولى، والآخرة من تنعمك، فقلت، وما دليلك على قولك؟ قال لأنك تُذل، ولا أُذل، وتراقِبُ، ولا أُراقب، وتَخدِمُ، ولا أُخدم، وتطمعُ، ولا أطمع، وأغدو، وأروح خالي البال قليل الأشغال، ثم قام فكتب على ساج العبارة:

أَسَائِلٌ عَنْ حَالي، يَرْعَوي بِمَنْظَرِي حَبيبي، هذا في هواكَ قَليلُ سأصبرْ، حَتَّى يَرْعَوِي، ويرقّ لي وينهجَ مِنْ طُرقِ الوِصَالِ سبيلُ.

لما ورد الوزير المهلبي البصرة وجد على حائط البيت الذي فيه مكتوباً: [الطويل]

أحِنُّ إلَى نَعْدادَ شَوْقاً وإنَّمَا أحِنُّ إلى إلْفٍ هناك شائقُ

مُقيمٌ بأرض سُرتُ عنها وبدعة إقامةُ مَعْشُوقٍ ورحْلَةُ عاشقِ

يقال إنّ عبد الشهوة أذل من عبد الرق، وجد على قصر معز الدولة الذي بناه بالشماسية من بغداد، واليوم يسمى آثار القصر مسّاه الدار الغربة على شاطئ دجلة، مقابل جامع القطيعة، مكتوباً حضر فلان بن فلان الجروي في سماط الملك معز الدولة، والدُّنيا عليه مقبلة، وهيئة

الملك عليه مشتملة، ثم عدت في سنة إثنين وستين وثلاثمائة فرأيت ما يعتبر به اللبيب، ويفتكر فيه الأريب وقلت هذه الأبيات: [الخفيف]

عَيْنُ بَكِّي لِلْقَصْرِ قَصْرُ مُعِزُّ الدولـة ... المؤنَّـــقُ العجيـــبُ البِنَـــاءِ

قَـدْ خَـلاَ بَعْـدَ عِـزَّةٍ وَجَمَـال ... وعفَـا بعـدَ رَوْنَـقٍ وبَهَـاءِ

لَوْ تَبْقَى عَلى الحوادِثِ شيءٌ ... لبقي مُلْكُـهُ مِنَ الأشياءِ

كُـلُّ أمْـرٍ وإنْ تَطَـاولَ أو دَامَ ... إلى نَقْلَـةٍ وَحَـالِ انقضاءِ

غَـيْرُ أَيِّ فإنَّـهُ لَـيْسَ يغـنى ... ذو الأيَـادي والطَّـولِ والآلاءِ

قال الأصمعي قال لبعض العرب خرجت في بعض الليالي المظلمة، وإذا بجارية كأنها صنم فراودتها عن نفسها، فقالت يا هذا أمالك زاجر من عقل، إذ لم يكن واعظ من دين؟ فقلت، والله ما يرانا إلا الكواكب، فقالت، ويحك فأين أنت من مكوكبها؟ فأخجلني كلامها فقلت لها إني كنت أمزح، فقالت.

إيَّـاكَ المـزاحَ فإنَّـهُ يُجْـرِئُ[٧٩] ... عليكَ الطفلَ، والرجلَ النَّذلاَ

وَيُذْهِبُ مَاءَ الوَجْهِ بَعْدَ ضِيائه ... وَيُورِثُ بَعْدَ العِزِّ صَاحِبَهُ ذُلاَّ

كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله، امنعوا النّاس من المزاح تسلم لكم الأعراض، وقد قال بعض الشعراء: [الكامل]

مَـازِحْ أخَـاكَ إذا أردتَ مزاحـاً ... وَتَـوقَّ منـهُ في المـزاحِ جماحـاً

ولربَّمـا مَـزحَ الصـديقُ بمزحـة ... كانَـتْ لِبَـابِ عـداوةٍ مفتاحـاً

وقدْ أحسن محمود الوراق[1]: [الكامل]

تَلْقَى الفتى يلقى أخاهُ وخِدنَهُ ... في لحنِ منطقـةٍ بمَـا لا يُغْفَـرُ

وَيَقولُ كُنْتُ مُمَازِحاً وَمُلاعِباً ... هَيْهَاتَ نَارُكَ في الحَشَا تتسَعَّرُ

ألهبْتَهَا وطَفِقْتَ تَضْحَكُ لاهياً ... عَمَّا بِـهِ وفُـؤادهُ يَتَفَطَّـرُ

أَوَ مَا عَلِمْتَ ومِثْلُ جَهْلِكَ غَالِبٌ ... إنَّ المزَاحَ هُوَ السِّبابُ الأصْغَرُ

قال المنكدر، قالت لي أمي، وكانت أدركت النبي (ﷺ): لا تُمازحِ الصِّبْيَانَ فتهونَ عليهم،

(١) ديوان محمود الوراق، ص١١٦.

وقال سعيد بن العاص لا تمازح الشريف فيحقد عليك، وقال بعضهم، ولا الدنيء فيجترىء عليك، وقال بعض الحكماء إياكم، والمزاح فإنه يذهب بالبهاء، ويورث الندامة، ويذوي بالمروءة قال مسعر بن كدام لابنه: [الكامل]

وَلقدْ نَصَحْتُكَ يَا كُدامُ نَصيحَةً ... فَاسمَعْ لِقَوْلِ أبٍ عليكَ شفيقُ

إنَّ المزاحَةَ والمراءَ فدعْهُمَا ... خُلُقَانِ لاَ أرْضَاهُمَا لِصَديقِ

إنِّي بَلَوْتُهُمَا فلم أحمِدْهُمَا ... كَمُجَاوِرٍ جَاراً ولا لرَفيقِ

اجتمع عبد الله بن طاهر مع ندمائه على رياض في أيام الربيع، فقال لِيُقُلْ كل واحد منكم في هذا شيئاً، فقال أحدهم: [الطويل]

شموسٌ وأقمارٌ مِنَ الزَّهرِ طالعٌ ... لدى اللَّهوِ في أكنافِهَا مُتَمَتِّعُ

فقال الآخر: [الطويل]

تَساوى تُثَنِّيهَا الرِياحُ فَتَنْثَني ... فيلثم بعضٌ بعضَها حينَ تَرْجِعُ

فقال الثالث: [٨٠] [الطويل]

كَأنَّ عَلَيهَا مِن مجاجَةِ رِيْقِهَا ... لالِيءُ إلاَّ أنَّهَا هِيَ ألْمَعُ

يقال إنَّ ثلاثة يفسدون المروءة المنية، والحرص، والغضب.

تذكرة من التاريخ

ولد نبينا (ﷺ) بمكة يوم الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الأول، بعد قدوم الفيل بخمسين يوماً، وذلك لعشرين يوماً مضت من نيسان، سنة إثنين وثمانين وثمانمائة لدى القرنين، وبعثه الله سبحانه يوم الاثنين، لثلاث بقين من رجب، وقد مضى من عمره أربعون سنة، وكانت هجرته من مكة إلى المدينة يوم الاثنين، مستهل شهر ربيع الأول، فأقام في الطريق ثمانية أيام، ودخل المدينة يوم الاثنين، وذلك لعشرين يوماً مضت من أيلول.

وقبض (ﷺ) بالمدينة يوم الاثنين، لثمان خلون من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وعمره ثلاث وستون سنة، واستخلف:

- أبو بكر الصديق بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ...

واسمه عتيق، فسماه النبي (ﷺ) عبد الله ولد بمنى، وتوفي بالمدينة يوم الاثنين لثمان بقين من جمادى سنة ثلاث عشرة، وعمره ثلث وستون سنة، فصلى عليه عمر بن الخطاب، ودفن في

الحجرة مع النبي (ﷺ) وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر، وأربعة عشر يوماً، واستخلف:

• عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العُزّى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر..

وكنيته أبو حفص، وقتله أبو لؤلؤة بالمدينة يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة، سنة ثلاث وعشرين وعمره ثلاثة وستون سنة، وكانت خلافته عشرة سنين وستة أشهر، وأربعة أيام، ثم استخلف:

• عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب..

وكنيته أبو عمرو وقتل بالمدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقين من ذي الحجة سنة خمس وسبعون سنة، ودفن بالبقيع، وكانت خلافته إحدى عشرة سنة، وأحد عشر شهراً، وتسعة عشر يوماً، ثم استخلف:

• عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب..

وكنيته أبو الحسن، ولد بالكعبة، وقيل بالكوفة يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان، سنة أربعين وعمره ستون سنة، وكانت خلافته، وتسعة أشهر وإلى أنْ اسلم ابنه:

• الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب..

الخلافة إلى معاوية ستة أشهر وثلاثة أيام، وبويع:

• معاويه بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب..

وكنيته أبو عبد الرحمن يوم خلع الحسن بن علي، وأمه هند، ولد بالخيف من منى ومات بدمشق يوم الأربعاء منتصف رجب، وعمره سبعون سنة، وكان ملكه تسعة عشر سنة وثلاثة أشهر [٨١] وخمسة وعشرين يوماً، وبويع ابنه:

• يزيد بن معاويه بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب..

وكنيته أبو خالد، وأمه ميسون، ولد بالماطرون من بلد دمشق يوم مات أبوه، وتوفي بدمشق يوم الخميس النصف من ربيع الأول سنة أربع وستين وعمره ثمان وثلاثون سنة، وكان ملكه ثلث سنين وثمانية أشهر. وبويع:

• معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب..

وكنيته أبو ليلى، وأمه أم هاشم ولد بأذرعات من دمشق ومات بدمشق يوم لأحد لتسع

حلون من رجب سنة أربع وستين وعمره ثلث وعشرون سنة كان ملكه ثلاثة أشهر واثـنين وعشرين يوماً، وبويع:

• عبد الله بن الزبير...

قبل ذلك لشهر، وتسعة أيام، مستهل جمادى الأولى سنة أربع وستين، وكنيته أبو بكر، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، وولد بمكة، ثم بايع أهل الشام:

• مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب..

يوم مات معاوية بن يزيد وبطل أمر عبد الله بن الزبير، وكنيته مروان أبو عبد الملـك، وأمـه آمنة. ومات بدمشق يوم الثلاث لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة خمس وسـتين، وعمـره ثلاث وستون سنة، وكان ملكه سنة واحدة وثلاثة أشهر وثمانية عشر يوماً مع أيام عبد الله بن الزبير، وكان عبد الله بن الزبير بمكة يخطب لَهُ ومروان بن الحكم بالشام يخطب له، وبويع:

• عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد ماف بن قصي بن كلاب..

وكنيته أبو الوليد، وأمه عائشة ابنة معاوية بن المغيرة بن أبي العاص، ولد بالمدينة وحاصر عبد الله س الزبير الحَجَّاج بن يوسف صاحب عبد الملك بن مروان بمكة، حتَّى قتله بها يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة، سنة ثلاث وسبعين، وكانت أيامه تسـع سـنين وسبعة عشرة يوماً.

ومات عبد الملك بن مروان بدمشق يوم الخميس النصف من شوال سة ست وثمانين، وعمره أربع وستون سنة، فكان ملكه إحدى وعشرين سنة، وتسعة عشر يوماً وبعد منها إلى أنْ قتل عبد الله بن الزبير تسع سنين وثمانية أشهر، وتسعة عشر يوماً، وبعد قتله ثلاث عشـرة سـنة وثلاثة أشهر وثمانية وعشرين يوماً. وبويع:

• الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد ماف بن قصي بن كلاب..

وكنيته أبو العباس، وأمه ولادة بنت لعباس، بن حرى بن الحارث، ولد بدمشق ومات بها يوم السبت النصف [٨٢] من جمادى الآخرة سنة ست، وتسعين، وعمره خمس، وأربعون سـنة، وكان ملكه تسع سنين وثمانية أشهر، وبويع سليمان بن عبد الملك، وكنيته أبو أيوب، وأمـه ولادة، وهو أخو الوليد لأمه، وأبيه ولد بدمشق ومات ببلد دابق يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع، وتسعين وعمره أربعون سنة، وكان ملكه سنتين وسـبعة أشـهر وخمسـة

وعشرين يوماً. وبويع:

• عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب..

وكنيته أبو حفص، وأمه أم عاصم، وتوفي بأرض الشام، يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة، وعمره أربعون سنة، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة عشر يوماً. وبويع:

• يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب..

وكنيته أبو خالد، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية، ولد بدمشق ومات بها لأربع بقين من شعبان سنة خمس ومائة، وعمره سبع وثلاثون سنة، وكان ملكه أربع سنين وشهراً واحداً، وبويع:

• هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب..

وكنيته أبو الوليد، ولد بدمشق ومات بها ليلة الأربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر لسنة خمس وعشرين ومائة، وعمره ثلاث وخمسون سنة، وكان ملكه تسع عشرة سنة، وتسعة أشهر، وتسعة أيام، وبويع:

• الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب..

وكنيته أبو العباس، وأمه أم الحَجَّاج، وُلد بطبرية، وقيل في بعض بلاد الشام، يوم الخميس لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة، وعمره خمس، وأربعون سنة، وكان ملكه سنة وشهرين وإحدى عشر يوماً، وبويع:

• يزيد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب..

وكنيته أبو خالد، وهو الناقص، وأمه شاهفرة، ولد بالكعبة، ومات بدمشق يوم الاثنين مستهل ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة، وعمره ست وثلاثون، وكان ملكه مع الفتنة، التي كانت بينه وبين الوليد بن يزيد، خمسة أشهر وثلاثة ايام، وبويع أخوه:

• إبراهيم بن إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن

عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب..

وكنه أبو إسحاق، ولد بحمص، وحلعه مروان بن محمد، يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر سنة سبع وعشرين ومائة، فكان ملكه شهرين واحد عشر يوماً، وبويع:

• مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب..

يوم خلع إبراهيم وكنيته [٨٣] عبد الملك، وأمه كردية تُسمى ألباتـه، ولـد بحـران وقبـل بالفسطاط لثلاثة عشر خلت من ذي الحجة، سنة اثنتين وثلاثين ومائة. وعمره تسع وسـتون سنة، فكان ملكه إلى أنْ بويع:

• السفاح عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب...

خمس سنين وشهرين، وقتل بعد خلافة السفاح بثمانية أشهر، وانقضت خلافة بني أميـة، ثم الخلفاء من بني العباس أحد أربعة سنين وثمانية أشهر، ويومين، ثم أخوه:

• أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد العموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب...

أحد وعشرين سنة، وأحدا عشر شهراً وثمانية أيام، ثم:

• المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سـيد العموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن كلاب...

عشرة سنين وشهر وخمسة عشر يوماً، ثم:

• اهادي بن المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد العموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب...

سنة وشهر وعشرين يوماً، ثم:

• أبو جعفر هارون الرشيد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن عبي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد العموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب...

ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشرة يوماً، ثم:

• الأمين بن أبي جعفر هارون الرشد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد العموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصـي بـن كلاب...

أربع سنين، وتسعة أشهر وعشرة أيام، ثم:

● المأمون بن أبي جعفر هارون الرشيد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد العموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب...

عشرين سنة وخمسة أشهر، ويومين، ثم:

● الواثق بن المعتصم بالله أبي إسحق محمد بن أبي جعفر هارون الرشيد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد العموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب...

خمس سنين، وتسعة أشهر وستة أيام. ثم:

● المتوكل بن المعتصم بالله أبي إسحق محمد بن أبي جعفر هارون الرشيد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد العموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب...

أربعة عشر سنة، وتسعة أشهر، وتسعة أيام، ثم:

● المنتصر بن المتوكل بن المعتصم بالله أبي إسحق محمد بن أبي جعفر هارون الرشيد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد العموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب...

ستة أشهر، ويومين، ثم:

● المستعين بن المنتصر بن المتوكل بن المعتصم بالله أبي إسحق محمد بن أبي جعفر هارون الرشيد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد العموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب...

أحد عشر شهراً وعشرين يوماً ومع الفتنة ثم:

● المعتز بن المتوكل بن المعتصم بالله أبي إسحق محمد بن أبي جعفر هارون الرشيد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد العموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب...

أربع سنين وستة أشهر وخمسة عشر يوماً، وتسعة أشهر إلى أنْ قتل ثلاث سنين — ثم:

● المهتدي بن الواثق بن المعتصم بالله أبي إسحق محمد بن أبي جعفر هارون الرشيد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد العموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب...

أحد عشر شهراً وسبعة عشر يوماً ثم:

• المعتز بن المتوكل بن المعتصم بالله أبي إسحق محمد بن أبي جعفر هارون الرشيد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد العموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب...

ثلاث وعشرين سنة، ويومين ثم:

• المعتضد بن الموفق أبو محمد طلحة بن المتوكل على الله أبو الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحق محمد بن أبي جعفر هارون الرشيد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد العموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب...

تسع سنين، وتسعة أشهر وثلاثة أيام ثم:

• المكتفي بن المعتضد بن الموفق أبو محمد طلحة بن لمتوكل على الله أبو الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحق محمد بن أبي جعفر هارون الرشيد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد العموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب...

ستة سنين وستة أشهر وعشرة أيام ثم:

• المقتدر بن المعتضد بن الموفق أبو محمد طلحة بن المتوكل على الله أبو الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحق محمد بن أبي جعفر هارون الرشيد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد العموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب...

أربعا وعشرين سنة واحد عشر يوماً ثم:

• القاهر بن المعتضد بن الموفق أبو محمد طلحة بن المتوكل على الله أبو الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحق محمد بن أبي جعفر هارون الرشيد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد العموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب...

سنة وستة أشهر وثمانية أيام ثم:

• الراضي بن المقتدر بن المعتصم بالله أبي إسحق محمد بن أبي جعفر هارون الرشيد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد العموم

العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب...

ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام ثم:

• المقتفي بن المقتدر بن المعتصم بالله أبي إسحق محمد بن أبي جعفر هارون الرشيد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد العموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب...

ثلاث سنين واحد عشر شهراً، وأربعة أيام ثم:

• المستكفي بالله أبو القاسم عبد الله بن المكتفي بالله أبو محمد علي بن الموفق أبي محمد طلحة بن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحق محمد بن أبي جعفر هارون الرشيد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد العموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب...

سنة وأربعة أشهر ثم:

• المطيع بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق أبي محمد طلحة بن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحق محمد بن أبي جعفر هارون الرشيد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد العموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب...

تسعاً وعشرين سنة، وستة أشهر ثم:

• الطائع بن المطيع بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق أبي محمد طلحة بن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحق محمد بن أبي جعفر هارون الرشيد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد العموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب...

سبعة عشرة سنة، وتسعة أشهر وخمسة أيام ثم:

• القادر بالله أبي العباس أحمد بن أبي أحمد إسحق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق أبي محمد طلحة بن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحق محمد بن أبي جعفر هارون الرشيد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد العموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب...

إحدى، وأربعين سنة وثلاثة أشهر واحد عشر يوماً ثم:

• القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن أبي أحمد إسحق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق أبي محمد طلحة بن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحق محمد بن أبي جعفر هارون الرشيد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد العموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب...

أربعاً، وأربعين سنة ثم:

• المقتدي بالله أبي القاسم عبد الله بن الأمير ذخر الدين أبي العباس محمد بن القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن أبي أحمد إسحق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق أبي محمد طلحة بن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحق محمد بن أبي جعفر هارون الرشيد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد العموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب...

ثماني عشرة سنة ثم:

• المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدي بالله أبي القاسم عبد الله بن الأمير ذخر الدين أبي العباس محمد بن القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن أبي أحمد إسحق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق أبي محمد طلحة بن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحق محمد بن أبي جعفر هارون الرشيد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد لعموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب... [٨٤]

خمساً وعشرين سنة ثم:

• المسترشد بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدي بالله أبي القاسم عبد الله بن الأمير ذخر الدين أبي العباس محمد بن القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن أبي أحمد إسحق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق أبي محمد طلحة بن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحق محمد بن أبي جعفر هارون الرشيد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد العموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب...

تسعة عشر سنة، ثم:

• الراشد بن المسترشد بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدي بالله أبي القاسم عبد الله بن الأمير ذخر الدين أبي لعباس محمد بن القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن أبي أحمد إسحق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق أبي محمد طلحة بن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحق محمد بن أبي جعفر هارون الرشيد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد العموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب...

سنة واحدة ثم:

• المقتفي لأمر الله أبي عبد الله محمد بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدي بالله أبي القاسم عبد الله بن الأمير ذخر الدين أبي العباس محمد بن القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن أبي أحمد إسحق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق أبي محمد طلحة بن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحق محمد بن أبي جعفر هارون الرشيد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد العموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب...

خمساً وعشرين سنة ثم:

• المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن المقتفي لأمر الله أبي عبد الله محمد بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدي بالله أبي القاسم عبد الله بن الأمير ذخر الدين أبي العباس محمد بن القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن أبي أحمد إسحق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق أبي محمد طلحة بن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحق محمد بن أبي جعفر هارون الرشيد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد الكامل بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سيد العموم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب...

قال السفاح لأبي دلامة يوماً: سلني، فقال: أسألك كلباً، قال: وما تصنع به؟ قال: اصطاد به، قال: تعطى قال: ودابة تكون معه، قال وغلام يحدمها، قال وغلام يخدمها، قال وجارية تعمل ما يصاد، قال وجارية، قال يا أمير المؤمنين: هؤلاء عائلة ولابد لهم من دار يسكونها، قال ودار، قال: يا أمير المؤمنين، وضيعة لقوتهم، قال وضيعة تقطع إياها مائتي جريب عامرة ومائتي جريب غامرة، قال: وما الغامر؟

قال ما لا بات فيه. قال: يا أمير المؤمنين: فقد أقطعتك خمسمائة ألف جريب من فيافي بني

أسد عامرة، قال فيجعل الجميع عامراً، فهل بقي لك شيء؟ قال: نعم، يدك أقبلها، قال: أمـا هذه فلا، قال، والله يا أمير المؤمنين ما منعتني شيئاً أهون علي من هذه.

حدثني صديقي الرئيس الأديب أبو الهيجاء الشاعر قال: حدثنا قاضي لقضاة، أبو بكر الشامي قال: كان عندنا بمدينة حماة، قاضي يكنى بأبي الفرج، فكتب إليه بعض أصدقائه: [الرمل]

بعـــضُ مَـــنْ غَـــارَمَني لازَمَنــي ... ثم قَـــدْ عَـــوَّلَ يَـــدعُوني إليـــكْ

وعلـــى فَضْـــلِكَ عَوَّلْـــتُ بِــــهِ ... مثل مَـــا عَـــوَّلَ في العـــدل عليـــكْ

فَعَســـى عِنْـــدَكَ مَـــا تُكْنُـــى بِـــهِ ... وعَسَـــى لي راحـــةً في راحَتَيـــكْ

فنفد لَهُ ما قضى دينه به واستبقى منه بقية - قيل إنّ رجلاً سأل معن بن رائدة عيرا تحملـه، فقال يا غلام: أعطه عيراً وبغلاً وفرساً وبرذوناً وبعيراً وسفينة وجارية، ولو عرفت مركوباً غير هذا لأعطيتك. لأبي الفضل الربعي: [البسيط]

العينُ تُبدي الّذي في نَفْــسِ صَــاحِبَها ... مـــن الشَّـــنَاْة أو وُدَّاً إذا كَانَــــا

إنّ البَغـــيَ لَـــهُ عَـــيْنٌ يُقَلِّبُهَــــا ... لا يَسْتطيعُ لِمَـــا في الـــنَّفس كتْمانَـــا

وعينُ ذي الـــودّ مـــا تَنْفَـــكُّ مُقبلـــةً ... ترى لهـــا مَحْجـــراً بَشَّـــاً وإنْسَـــاناً

ذكر انه اجتمع عند عبد الملك بن مروان، جميل وكثير وعمر بن أبي ربيعـة، فـأمر بناقـة: فأوقرت[1] ورقا، ثم قال: ليقل كل واحد منكم أبياتاً في العدل، فأيكم كان أحسن قولاً فهي له: فقال جميل بن معمر[2]: [الطويل]

حَلَفْـــتُ يَمينـــاً يـــا بُثَيْنَـــةُ صـــادقاً ... وإنْ كنتُ فيها كاذباً فَعَميـــتُ [٨٥]

حَلَفْتُ لها والبُـــدنُ تَـــدْمَى نُحورُهَـــا ... لَقدْ شَـــقِيَتْ نَفْســـي بِكُـــم وَعِيـــتُ

فَلو أنَّ جلْدَاً غَيْـــرَ جلـــدكَ مَسَّـــني ... ويشـــرني تَحْـــتَ الســـماء سَـــرِيتُ

ولَو أنَّ داعي الموت يَـــدعُو جنـــازتي ... بِمَـــنْطِقِكُمَ في النَّـــاطقِينَ حَيِيـــتُ

وقال كثير بن عبد الرحمن[3]: [الكامل]

بِأبِي، وأمِّـــي أنْـــتِ مِـــنْ مَعْشُـــوقةٍ ... طَبَـــرِ العَـــدُوّ لَهَـــا فَغَيَّـــرَ حَالَهَـــا

---

(١) أوقرت: حُمِّلَت عملة ودراه، اللسان (وقر).

(٢) ديوان جميل، ص٣٨.

(٣) ديوان كثير ص٩٢

وَسَعي إِلَيَّ بِعَيْبِ عَـزَّةَ نِسْوَةٌ جَعَـلَ الإِلـهُ خُـدودَهُنَّ نِعالَهـا

وَلو أَنَّ عَزَّةَ خاصَمَتْ شَمْسَ الضُّحى بِالحُسْـنِ عِنْـدَ مُوفَّـقٍ لَقَضَـاهَا

وقال عمرو بن أبي ربيعة[1]: [الطويل]

أَلا لَيْـتَ أَنِّي حِـيْنَ تَـدْنو مَنِيَّتي لَثَمْتُ الَّذي ما بَيْنَ عَيْنَيْـكِ والفَـمِ

وَلَيْتَ طَهُوري كـانَ رِيقَـكِ كُلُّـهُ وَلَيْتَ حَنُوطي مِن مُشاشِـكِ والـدَّمِ

وَلَيْتَ سُلَيمى في المَمَـاتِ ضَـجِيعَتي تُجَـاوِرُني في جَنَّـةٍ، أَو جَهَـنَّـمِ

فقال عبد الملك: يا صاحب جهنم دونك، والناقة بما عليها روي أنَّ فتىً من الأعراب خطب ابنة عم له، وكان معسراً فأبى عمه أنْ يزوجه، فكتب إلى عمه هذه الأبيات: [البسيط]

يَا هَذِهِ كَمْ يَكُـونُ اللَّـوْمُ، والفَنَـدُ لا تنكـري رَجُـلاً أَثْوابُـهُ قُـدَدُ

إِنْ يُمْـسِ مُنْفَـرِداً فَالْبَـدْرُ مُنْفَـرِدٌ واللَّيْثُ والسَّـيْفُ والخطـر مُنْفَـرِدُ

إِنْ كُنْتِ أَنْكَرْتِ ثَوْبَيْهِ وقـد خَلَقَـا فَالبَحْرُ مِـنْ فَوْقِـهِ الأَقْـذاءُ والزَّبَـدُ

إِنْ كَانَ صَـرفُ اللَّيـالي رَدَّ بِزَّتَـهُ فَبَـيْنَ ثَوْبَيْـهِ مِنْـهُ ضَـيْغَمٌ لِبَـدُ

قال فدخلت على أبيها بالأبيات، فقال ما أريد بذلك صداقاً غيرها، فدعاه فزوجها إياه. ذكر أنَّ معاوية ركب يوم صفين دابته عازماً على الهرب قال فذكرت أبياتاً لعمرو بن الإطنابة، وبها ثبت[2]: [الوافر]

أَبَـتْ لي عفـتي وأَبـا بلائـي وأَخـذ الحمـد بـالثَّمن الـرَّبيحِ

وإِقـدامي عَلـى المكـروهِ نَفسـي وَضَـرْبي هامـةَ البَطَـلِ المَشِـيحِ

وقَـولي كُلَّمـا جَشَـأَت وجاشَـتْ مكانَـكِ تُحْمَـدي أو تَسْـتَريحي

ما أحسن، قول طريح بن إسماعيل: [٨٦] [البسيط]

لا تَأْمَنَنَّ امرءاً أَسْكَنْتَ مُهْجَتَهُ غيظاً وإِنْ قُلْـتَ إِنَّ الحِقْـدَ يَنْـدَمِلُ

قَدْ يُظْهِـرُ المـرءُ تجمـيلاً لِصَاحِبِهِ وفي حشـاهُ عليـه لاعـجٌ يَعِـلُ

فاقبلْ مِنَ المَرْءِ مـا أَبـدى وجازيـه وَلْيَحْرُسَنَّكَ سُـوءُ الظَّـنِّ والوَجَـلُ

---

(١) ديوان عمر بن أبي ربيعة ٢٠٣، ط دار الهيئة المصرية ١٩٧٨م، مع اختلاف في الرواية.

(٢) وردت الأبيات في المؤتلف، والمختلف للآمدي في ترجمة عمرو بن الإطنابة، وكذلك في الحماسة البصرية، انظر مصادر تخريجها.

ذكر إبراهيم بن عرفة في تاريخه أنه قدم جرير، والفرزدق على هشام بن عبد الملك بن مروان، فمدحه الفرزدق، فأمد لَهُ بأربعة آلاف درهم فتسخطها، وهم بردها، ثم تمثل بقول زهير[1]: [الطويل]

وَمَنْ يجعل المعروفَ مِنْ دون عِرْضِه ... يفرهُ ومن لا يتقي الشتم يُشْتَم

فقيل لجرير إن الفرزدق أعطى مثل ما أُعْطِيت، وتمثل بمثل ما تمثلت به، فقال أما علمتُ أنْ شيطاننا واحد، يلم به مرة، ويلم بي أخرى.

ويشهد لك ما روى أبو الطاهر الدمشقي بإسناده: أنْ الفرزدق وجريراً اصطحبا فعطف جرير بناقته ليبول، وتخلف، فخنت ناقة الفرزدق، فقال الفرزدق[2]: [الوافر]

عَلامَ تَلَفُّتين وأَنْتِ تَحْتي ... وخَيْرُ النَّاسِ كُلُّهُم أَمَامي

مَتَى تأتي الرُّصَافَةَ تَسْتَريحي ... مِنَ الإدلاجِ والدَّبَرِ الدَّوَامي

ثم قال كأني بابن المراغة قَدْ سمع هذين البيتين، فقال: [الوافر]

تَلَفَّتُ إنها تَحْتَ ابن قَيْنٍ ... بِرَأسِ الكِيْرِ والنَّاسُ اللُّهَامِ

مَتى تأتي الرُّصَافَةَ تَحِرْ فيها ... كَخِزْيكَ في المواسم كُلَّ عَامِ

فلما لحق بهما جرير، قال لَهُ الرواية: يا أبا حزرة أما سمعت ما قال أخوك أبو فراس، وأنشد البيتين الأولين، فأطرق جرير، ثم جاء بالبيتين الأخيرين، فقال رواته لعنكما الله، شيطانان يعلم كل واحد منهما ما في نفس صاحبه.

نبذة في الهدية

كتب أحمد بن يوسف إلى المأمون مع شيء أهداه إليه: [الطويل]

على العَبْدِ حَقٌّ فَهْوَ لاَ بُدَّ فَاعِلُ ... وإنْ عَظُمَ المَوْلَى وَجَلَّتْ فَضَائِلُهْ

ألَمْ ترنا نهدي إلى الله ماله ... وإنْ كان في وُسْعِنَا مَا يُشَاكِلُهْ

ولو أننا نهدي على قَدْرِ حقه ... لقصر على الصبرُ عنهُ وناهلُهُ[87]

ولكنا نَهْدي على مَنْ نُجِلُّهُ ... وإنْ لَمْ يَكُنْ في وُسْعِنَا مَا يُشَاكِلُهْ

آخر: [الوافر]

(١) ديوان زهير، ص٣١.

(٢) ديوان الفرزدق ٥٤٣.

تَنُوقُ في الهديَّةِ كُلُّ قومٍ ... إليكَ غداةَ شُربكَ للدَّواءِ
فلما أنْ هَمَمْتُ بها مُدلاً ... لموضعِ خِدْمَتي بكَ والإخاءِ
وجدتُ كثيرَ ما أُهدي قليلاً ... لمثلكَ فاقتصرتُ على الدُّعاءِ

آخر: [الوافر]

تَنَوَّقُ منْ ثيابكَ في الهدايا ... إليكَ غَدَاةَ قصدِ الباسليقِ
فلمْ أرَ كالدعاءِ أعمَّ نفعاً ... وأجملَ في مكافأةِ الصديقِ
فأهديتُ الثنا وقُلْتُ ربِّي ... يُعيذُكَ منْ شرِّ آفاتِ العُروقِ

آخر: [البسيط]

اسْعَدْ بشُرْبكَ في النَّيرُوزِ مُصْطَبِحاً ... لا زلتَ تلقى من الأيامِ ما صلحا
لا زِلْتَ تلقى منَ الأيامِ صالحةً ... تُبقي السُّرورَ وتنفي الهمَّ والترحَا
إنِّي لا أسْتَصغِرُ الدُّنيا بأجمعها ... هديَّةً لكَ إلاَّ الشكرَ، والمَدْحَا

آخر: [السريع]

هَدِيَّتي تصغُرُ عنْ همَّتي ... وهمَّتي تَكْبُرُ عنْ مالي
فخالصُ الوُدِّ ومَحْضُ الوَفَاءِ ... أفضلُ ما تَهْديهِ أمْثالي

أهدى أبو تمام الطائي إلى الحسن بن وهب قلما وكتب معه[1]: [الخفيف]

قدْ بَعَثْنا إليكَ أكرمَكَ اللهُ ... بشيءٍ فكنْ لهُ ذا قَبُولِ
لا تَقِسْهُ إلى نَدَى كفِّكَ الغَمْرِ ... ولا نَيْلِكَ الكثيرِ الجليلِ
واغتفرْ قلَّةَ الهديَّةِ منِّي ... إنَّ جُهْدَ المُقِلِّ غيرُ قليلِ

للبحتري[2]: [الطويل]

ألَسْتَ لي الأيامَ منْ بَعْدِ قَسْوةٍ ... وأعتَبْتَ لي دَهْري المُسيءَ فأعْتَبَا
وألْبَسْتَني النُّعْمَى، التي غيَّرتْ أخي ... عليَّ فأمْسى نازحَ الوُدِّ أجْنَبا
فلا فُزْتُ منْ مَرِّ الليالي براحةٍ ... إذا أنا لمْ أُصْبحْ بشُكْرِكَ مُتْعَبا

---

(١) ديوان أبي تمام ٢/٢١٥.
(٢) ديوان البحتري، ١/٢١٢.

غيره: [الطويل]

أحـــي لي كأيَّـــام الحيـــاة أخـــاوةً ... تكـــونُ ألوانـــاً علـــى خطوهـــا
إذا عبْـــتُ منْـــهُ خُلَّـــةً فَهَجَرْتُـــهُ ... دَعَتْنـــي إِلَيْـــهِ خُلَّـــةٌ لاَ أُعيبُهَـــا

ذكر أبو بكر الخطيب في تاريخه عن سهل بن ميسرة: أنه لما رجع أبو العباس عبد الله بن طاهر من الشام، ارتفع فوق سطح قصره، فرأى دخاناً يرتفع في جواره، فقال لعمرويه مـــا هـــذا الدخان؟ فقال: أظن القوم يخبزون.

فقال: ويحتاج جيراننا إلى أنْ يتكلفوا ذلك، ثم دعا حاجبه فقال: امضِ ومعك كاتب، وأحْصِ موالينا ممن لا تعطيهم [٨٨] عنَّا فسَارع فمضى، وأحصاهم، صغيرهم وكبيرهم فبلغ عـــددهم أربعة آلاف نفس، فأمر لكل واحد منهم بمنوين(١) خبزاً ومنًّا لحماً، وثمن التوابل في كل شهر عشرة دراهم، والكسوة في الشتاء مائة وخمسون درهماً، وفي الصيف مائة درهماً فكان ذلك دأبه مدة مقامه ببغداد.

فلما خرج منها انقطع ذلك، إلا الكسوة فإنها دامت مدة ما عاش أبو العباس عبد الله بن طاهر رحمه الله، والمكان الذي كان ينـــزل به ببغداد بالجانب الغربي على شاطئ دجلة، وهـــو إلى الان يعرف به، وينسب إليه، وهو الحريم الطاهري: [الخفيف]

ألقِ بالبشْرِ مَنْ لقيـــتَ مـــنَ النَّـــاس ... جميعـــاً ولاقهـــمْ بالطَّلاقَـــةْ
تجـــنِ منـــهم حبـــاً ثمـــار كـــريم ... طَيِّـــبٍ طَعْمُـــهُ لذيـــذٌ مذقُـــهْ
ودع التِّيهَ، والعُبُـــوسَ عَـــن النَّـــاس ... فَـــإن العبـــوسَ رأْسُ الحَمَاقَـــةْ
كُلَّمَا شـــئْتَ أنْ تُعَـــادي عاديْـــتَ ... صَـــديقاً، وقـــد تُعَـــزُّ الصَـــدَاقَةْ

قال النبي (ﷺ): **«يا أبا هريرة زُرْ غباً تزدد حباً»**(٢).

وقال بعض الحكماء: من كثرت زيارته قلت بشاشته، وقال آخر: من داوم زيارة الأصدقاء عدم الاستبشار عند اللقاء: [مجزوء الكامل]

---

(١) المن: وحده أوزان معروفة، اللسان: (مس).

(٢) ورد الحديث في معظم كتب الحديث المعتمدة: مستدرك الحاكم ٣٤٧/٣، ٣٣٠/٤، مجمع الزوائد للهيثمي ٥/٨، الترغيب والترهيب للمنذري ٣٦٦/٣، مسند الشهاب ٦٢٩، المعجم الكبير للطبراني ٢٦/٤، كنز العمال للمتقي الهندي ٢٤٧٧٨، فتح الباري لابن حجر ٤٩٨/١٠، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٨٥/٦، الـدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي ٩١، مجمع الزوائد للهيثمي ١٧٥/٨.

أَقْلِلْ زيارَتَكَ الصَّديقَ … تكُنْ كالثوب استجَدَّهْ
إنَّ الكَريمَ يَمَلُّهُ مَنْ … لا يَزالُ يَراهُ عِنْدَهْ

آخر: [الطويل]

عَلَيكَ بإقلالِ الزِّيارةِ إنَّها … تكونُ إذا دامَتْ إلى الهَجْرِ مَسْلَكا
فإني رأيتُ القَطْرَ يُسأمُ دائماً … ويُسأَلُ بالأيدي إذا هُوَ أَمْسَكا

آخر: [البسيط]

إني كَثُرْتُ عليه في زيارَتِه … والشَّيءُ مُسْتَثقلٌ جداً وإنْ كَثُرا
ورابني منهُ أني لا أزالُ أرى … في طرفِهِ قِصَراً عَنِّي إذا نَظَرا

قال عمر بن الخطاب (ﷺ): لكل شيء رأس ورأس المعروف تعجيله، وقال عبد الملك في وصيته لبنيه: يا بني لا تعدوا النَّاس بما لا تناله أيديكم، ويقال إذا وعدت الرجل قائلاً ومطلته، فقد وفاك ثمن معروفك عنده ولكل شيء آفة وآفة المعروف المطل، ولبعضهم: [الكامل]

صِلْ مَنْ أردتَ وَصالَهُ وأخاهُ … إنَّ الأُخُوَّةَ خَيْرُها مَوْصُولُها
وإذا ضَمِنْتَ لِصاحبٍ لَكَ حاجَةً … فاعْلَمْ بأنَّ تمامَها تَعْجيلُها

وكان يقال إن بذل جاه السائل أعظم من معروف المسؤول، وقال أكثم بن [٨٩] صيفي السؤال، وإنْ قل ثمن النوال، وإنَّ جل، قال علي بن أبي طالب الكاتب: [الكامل]

مَا اعْتاضَ باذلُ وَجْهِهِ بسُؤَالِه … يوماً ولا نالَ الغِنَى بسُؤَالِ
وإذا السُّؤالُ مَعَ النَوالِ وَزَنْتَهُ … رجحَ السؤالُ وخفَّ كُلُّ نوالِ
وإذا بُليتَ بِبَذْلِ وَجْهِكَ سائلاً … فابذلْ لَهُ المتكرمِ المفضالِ

قال معاوية بن أبي سفيان الحازم من كتم سره من صديقه، مخافة أنْ تنتقل صداقته عداوة، فيذيع سره ولبعضهم: [الطويل]

لو أنَّ امرءاً يُخفِي الهوى عَنْ ضَميرِه … لَمُتُّ ولم يَعْلَمْ بِذاكَ ضَميرُ
ولكنْ سَألقى اللهَ والقلبُ لم يَبُحْ … بِسِرِّكَ والمستخبرونَ كَثيرُ

آخر: [البسيط]

لا يكتمُ السِّرَّ إلاَّ كُلُّ ذي خَطَرٍ … والسِّرُّ عِنْدَ كِرامِ النَّاسِ مَكْتُومُ
والسِّرُّ عِنْدي في بَيْتٍ لَهُ غَلَقٌ … قَدْ ضاعَ مِفْتاحُهُ والبابُ مختومُ

قال بعض العلماء: إذا أراد الله أنْ يزيل عن عبد نعمة فأول ما يغير منها عقله، قال أبو عبد الله وزير المهلبي: إنصاف الرعية مع شكر المقدرة بالولاية أشد من بذل المال مع شح النفس.

ذكر الجاحظ في (كتاب): المعلمين عن ابن عمران: الأنبياء عليهم السلام لا يتثاءبون، ومـا تثاءب نبي قط، روي أنَّ مروان بن محمد قال عبد الحميد بن يحيى، صاحب الرسائل بعـد أنْ تفرق النَّاس عنه والهزموا: قَدْ احتجتُ إلى أنْ يُصيِّر مع عدوي، وتظهر الانقلاب، فإن عجبهم بأدبك وفصاحتك وحاجتهم إلى مثلك، يستحريهم على تمكينك، وحسن الظن بـك، فـإن قدرت أنْ تنفعني في حياتي فإني فداك، وإنْ عجزت عنه رجوت أنْ لا تعجز عن حفظ حرمتي بعد موتي، وأنشد عبد الحميد متمثلاً: [الطويل]

أسـرّوا ثم أظْهَـرَ عُـذْرهُ ... فَمنْ لي بُعـذْرٍ يُوسـعُ النَّـاس ظـاهرُ

ثم أنشد: [الوافر]

فَلـومي ظـاهرٌ لاَ شَـكَّ فيـه ... للاَيمـه وعُـذْري بالمغيـب

وكَمْ من موقـف حسـنٍ أُحيلَـتْ ... محاسـنهُ فعُـدَّ مـن الـذنوب

فلما سمع ذلك منه علم أنه لا يفعل، ثم، قال لَهُ: عبد الحميد الذي أمرتني به انفع الأمرين لك، وأقبحهما لي وليس لك على الصبر معك إلا أنْ يفتح الله عليك، وأقتل معك، سئل شُريح عن العشاق فقال: أشدهم حياءً أعظمهم أجراً [٩٠] ولبعضهم: [الطويل]

فـو الله مـا أدري وإني لسـائلٌ ... بمكـة هـلْ في الهـوى أجـرُ

وهلْ في اكتحال العينْ بالعين زينةٌ ... إذا ما لقي الألـوان لابـل بـه أجـرُ

قيل إنه مَرَّ حرير الشاعر بسعيد بن المسيب، فقال من هذا فقيل لَهُ الذي يقول[1]: [الطويل]

سألْتُ سـعيداً يـا فـتى المدينـة ... هـل في حُـب دَهْمَـاء مـنْ وزر

فقالَ سـعيد بـنُ المسَّـيَّب إنمـا ... يُلامُ على مـا يَسـتطيعُ مـنَ الأمْـرِ

قال سعيد بن المسيب: يا فتى المدينة ما سألني أحد، ولو سألني لأجبت، وحكي عن مالك بر أنس أنَّ شاعراً جاءه فقال: إنني قلت أبياتاً ذكرتك فيها فاسمعها، فقال لا حاجة لي منها، قال أحب أنْ تفعل، فقال هات فأنشده: [الطويل]

سَلُوا مَالكَ المُفتي عن اللهْو، والصبى ... وحُبِّ الحِسـانِ المُعَجبـاتِ الفَـوارك

(١) لم يرد البيتان في ديوان جرير.

يُخـبِـرُكُمْ عــنِي مُصـيـبٌ وإنمـــا　　　أسلي هَمـومُ القلب عــني بــذلكِ
فهلْ لمُحبٍ يَكْتُمُ الحُـبَّ والهَـوَى　　　آثــامُ وَهَــلْ ضَــمّهُ المتــهالكِ

فسري عن مالكْ، وكان ظنه أنه هجاه، يقال إن الجمال في الأنف، والحسن في العين، والملاحة في الفم، قال رجل للفضيل بن عياض: بعني رجلاً أتخذه لسري وآمنه على أمري، فقال له: تلك ضالة لا توجد. وقيل لبعض الحكماء: من أبعد النَّاس سفراً؟

قال: من كان في طلب طريق يرضاه، قال ابن السَّماكْ في بعض كلامه: لقدْ أُمهل، حتَّى كأنه أُهمل، ولقد ستر، حتَّى كأنه غفر، قيل لبعض الحكماء: أي الكنوز خير؟ فقال: أما بعد تقوى الله سبحانه، والأخ الصالح، قال جابر بن عبد الله البجلي، ما حجبني رسول الله (ﷺ) منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم في وجهي. أنشد المبرد: [الطويل]

تَــودُّ عَــدوِّي ثم تَــزْعم أنــني　　　أودُّكَ إن الــرأيَ عَنْــكَ لعـــازبُ
وَليس أخــي مَــنْ ودَّ في رأيَ عَينـه　　　ولكنْ أخي مَـنْ وَدَّني في العواقـب

قال بعض الحكماء: إيَّاك ومعاداة الرجال فإنها لن تعدمك مكر حليم، أو مفاجأة لئيم، قال عمر بن الخطاب (ﷺ): إذا رزقك الله مودة امرئ مسلم فتشبث بها. أنشد المبرد: [٩١] [الوافر]

وَكنــتُ إذَا الصَّــديقُ أرادَ غيظـي　　　وأشْــرقَني علـى حَنْــقٍ بريقـي
غفــرتُ ذُنُوبَــهُ وَلَطَمْـتُ غيظـي　　　مخافَــةَ أنْ أكــونَ بــلا صــديقِ

قال رجلٌ من عبد القيس لابنه: يا بني لا تؤاخ أحدا، حتَّى تعرف موارد أموره ومصادرها، فإذا استنبطت منه الخير ورضيت منه العشرة فآخه على إقالة العثرة، والمواساة عند العشرة، روى أبو هريرة عن النبي (ﷺ) أنه قال: **«رأس العقل بعد الإيمان المودة للناس»**[١].

وقال المنصور: إذا أحببت المحمدة من النَّاس بلا مؤونة فالقاهم ببشرٍ حسن.

قال كعب الأحبار: لين وجهك للناس تكن أحب إليهم ممّن يعطيهم الذهب، والفضة، وروي عن النبي (ﷺ) أنه قال: **«إنكم لم تَسَعُوا بأموالكم فسعوهم بِبسط الوجه وحسن الخلق»**[٢].

---

(١) ورد الحديث بعدة صيغ ولكن التودد للناس: ش ٨، إتحاف السادة المتقين للزبيدي ٢٥٧/٦، تاريخ بغـداد للخطيب البغدادي ١٢٥/١٤، المغني عن حمل الأسفار للعراقي ١٩٣/٢، ١٠٩/١٠، كنز العمال للمتقي الهندي ٥١٧٣، ٢٤٦٦٢، ٤٣٥٨١، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي ٨٨.

(٢) لم يرد الحديث في الكتب المعتمدة بهذه الصيغة ولكن بصيغة أخرى.

وقال النبي (ﷺ): «**تمام محبتكم المصافحة**»[1].

وقال عليه الصلاة، والسلام: حين جاءه أعرابي، فقال يا رسول الله: إنا من أهل البادية، فيجب أن تعلمنا علماً وعملاً لعل الله أنْ ينفعنا به قال: «**لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أنْ تفرغ من دَلْوك في إناء المستقي، وإنْ تكلم أخاك، ووجهك إليه منبسط**»[2].

وقال الحسن يزيد في المحبة، وقال مجاهد عن معاذ إن المسلمين إذا التقيا فضحك كل واحد منهما في وجه صاحبه، ثم أخذ بيده تحاتت ذنوبهما، كما تحاتت ورق الشجر، يقال إن المودة قرابة مستفادة، وهي أشد الأحساب، وأقرب الأسباب. وقال بعض الشعراء: [البسيط]

قَدْ يمكثُ النَّاس حيناً ليسَ بَينهُمُ ... وِدٌّ فيزرعُهُ التَّسليم واللُّطفُ

يُسْلي الخَلِيْلَيْن طُولُ النَّأي بينهُما ... ويلتقي شعبُ شَتَّى فيَأْتَلِفُ

وقال بشر بن السري: ليس من البر أنْ تحب من أبغضه حبيبك، قال ابن عباس: من أحبُّ أحوابي إليَّ أخٌ إنْ غبتُ عذرني، وإنْ جئته قبلني، قال الأصمعي ليس للروم صاد، ولا للفرس ثاء، ولا للسريان دال. لبعضهم [٩٢] [الوافر]

تولتْ دولةُ الحسن بن سَهْلٍ ... وَلَمْ أبلُلْ لهاتي مِنْ نَداهَا

فإنْ ذَهَبتْ فلا تبكي عليها ... فإن بُكَى عيني من بكاها

لابن أبي الدُّنْيَا: [مجزوء الوافر]

تَولتْ بَهجةُ الدُّنْيَا ... فكلُّ جديدها خَلَقُ

وَخَانَ النَّاس كلهُمُوا ... فَلاَ أَدْرِي بَمن أثقُ

كأنَّ مكارمَ الأخلاق ... سُدَّتْ دُوْنَهَا الطُّرُقُ

فلاَ حَسَبٌ ولا كرمٌ ... ولا دينٌ ولا خُلُقُ

لابن الرومي في البطيخ[3] [مجزوء الوافر]:

فكم قال في البطيخ قَولَ ... خبيرٌ حين ذُمَّ لدى الخصام

تحياتٌ وفاكهةٌ وإدم ... وهاضُوم الثقيل من الطعام

---

(١) لم يرد الحديث بهذه الصيغة، وورد بصيغ أخرى مثل: تمام تحياتكم المصافحة.

(٢) ورد الحديث في السلسلة الصحيحة للألباني ١٣٥٢.

(٣) ديوان ابن الرومي ٣٢/٥.

واشـــنان وَحَلْـــواءَ مُهَيَّـــأْ وعِنْـــدَ العُسْـــرِ كُـــوبُ للمـــدامِ
وبَعْدَ الطلـيِّ فـــي الحـــمامِ طيـبٌ وضـــقي للمتانـــةِ كُـــلَّ عَـــامِ
وَسَـــهْلُ المُخْـــتَنِي دَانٍ لطيـــفٌ وذلـكَ الْمُهَـــيْمِنُ للأَنَـــامِ

شكى أهل دمشق إلى ابن أبي الدرداء، قلة ثمرهم، وتغير أشجارهم، فقال أطلتم حيطانها، وأكثرتم حراسها فجاء البلاءُ من فوقها.

دخل سالم بن عبد الله بن عمر على سليمان بن عبد الملك، وعلى سالم ثوب رث مشتمل به، فلم يزل سليمان يُرحب به، حَتَّى أجلسه معه على سريره، وعمر بن عبد العزيز معه في المجلس، فقال رجل من القوم لعمر، ما استطاع خالك أنْ يلبس ثياباً هي أحسن من هذه، ويدخل على أمير المؤمنين، فقال عمر ما رأيت ثياب خالي وضعته إلى مكانك، ولا ثيابك رفعتك إلى مكانه.

ودخل محمد بن كعب على سليمان أيضاً في ثياب رثة، فقال لَهُ: ما حملك على لبس هذه؟، فقال أكره أنْ أقول فقراً فاشكو ربي، أو أقول زهداً فأطرى، وأزكي نفسي. دخل وكيع بن أبي الأسود على عدي بن أرطأة، وهو والي العراق من قبل عمر بن عبد العزيز فلبس عنده ثيابه.

فقال لوكيع سَوِّ عليَّ ثوبي يا أبا المطرف، فقال وكيع ذكرتني الطفر، وكنت ناسياً إن في خُفّي ضيق فمد أَيُّهَا الأمير، فقال لَهُ: يا أبا المطرف إن الرجل ليتولى من أخيه ما هو فوق هذا، فقال له: يا عدي إذا غزلت عنا فكلفنا ما أحبت فأما، وأنت ترى بنفسك علينا قدرة وبيدك بسطت، لشاعر في هذا المعنى [٩٣] [المتقارب]

إذا عُـــزِلَ الـــمـــرءُ صَـــافيتُه وعنـــد الولايـــة اســـتكبرُ
لأن الـــوليَّ لَـــهُ نَخْـــوَةٌ ونفســـي علـــى الـــذلِّ لا تَصْـــبرُ

قيل لوهيبة بنت معن قَدْ أفقرت بناتك بكثرة صلاتك فقالت يعينهن من تقرَّبت إليه في حفظهن بتفريق مالي له. سأل الفضل بن الربيع رجلاً عن قاضي بلدته، فقال جمع فأوعى، وسأل فأكدى، وحكم فتعدى، وطغى لما استغنى، قال ابن عباس التفكير في الخبر يدعو إلى استعماله، والعمل به، والندم على الشر يدعو إلى تركه، يقال من هانت الدُّنْيَا عليه مالت القلوب إليه، ومن عمل الرد، فقد أحسن الرفد.

قال سهل بن هارون في صدر كتاب له، وجب على كل ذي عقل لَهُ أنْ يبتدئ بالحمد، بل

استفتاحها، كما يبتدئ النقمة قبل استحقاقها. قال المنصور لجرير بن يزيد إني لأعدّك لأمر كبير، فقال يا أمير المؤمنين أنْ اللهَ قَدْ أعدَّ لك مني قلباً معقوداً بنصحك، ويداً مبسوطة بطاعتك، وسيفاً مشحوذاً على أعدائك فإذا شئت. قيل لأنُوشرْوَان من أطول النَّاس عمراً؟ فقال: من كثر علمه فناوب به غيره من بعده، ومن كثر معروفه فشرف به عقبه. قيل للفضل س يحيى من أعقل النَّاس؟ قال من عرف مقادير الأمور قولاً وفعلاً.

وسأل قباد الملك بعض الحكماء فقال: أخبرني من أعدل النَّاس، وأجور النَّاس، وأحمق النَّاس، وأكيس النَّاس، وأسعد النَّاس؟.

فقال الحكيم أما أعدلهم، فمن أنصف من نفسه، وأما أجورهم، فمن رأى جوره عدلاً، وأما أحمقهم، فمن يصدق بما لا يكون، وأما أكيسهم، فمن أخذ للأمر أُهبته قبل نزوله، وأما أسعدهم، فمن ختم لَهُ في عاقبته بخير. وقال أنُوشرْوَان الحكيم من أكمل النَّاس مروءة؟ قال: من أحرز دينه، ووصل رحمه فأكرم إخوانه، وأصلح ماله. وقيل لبعض الحكماء، وما الشكر قال الإقرار بالنعمة وجزاؤها بالحسنى مضمراً وقائلاً وفاعلاً بجزأ الضمير النية، والمحبة. والطاعة وجزاء الفعل المعاونة، والصبر عليه، والسعي فيما يُرضي المنعم، وقال بعض الشعراء:

وقَـدْ عَرَضَـتْ لي حاجـةٌ وأظـنني ... بـأني إذا أنْزلْتُهَـا بـك تـنجحُ

فـإنْ أكُ في أخْـذ العطيّـة مُربحـاً ... فإنـكَ في بَـذْل العطيـة أربَـحُ

لأن لك العقبى مـن الأجـر خالصـاً ... وشكري من الدُّنيا فَحَقَّكَ أرْجَـحُ [٩٤]

يُروى عن محمد بن شهاب الزهري، أنه قال أول حب ظهر في الإسلام حب النبي (ﷺ) لعائشة رضي الله تعالى عنها روى حماد بن زيد عن مجاهد بن سلمة قال لما أتى زيد بن حارث إلى النبي (ﷺ) جاء رسول الله (ﷺ) إلى منزل زيد، فخرجت ابنةٌ لَهُ صغيرة، فلما رأت النبي (ﷺ) أجهشت في وجهه بالبكاء فبكى، حَتَّى انتحب، فقيل لَهُ ما هذا يا رسول الله؟ قال «**شوق الحبيب إلى حبيبه**»[١].

وقد حبَّ وعشق جماعة من الأجلاء المتقدمين، والسلف، والتابعين منهم عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق كان يحب ليلى بنت الجوزي الغساني، التي ارتد أبوها وقتله خالد بن الوليد وسبى أهله دفعت إلى عبد الرحمن وفيها قال:

تَـذَكَّرْتُ لَيْلَـى والسـماوةَ دُونَهـا ... فَما لابنـةِ الجـوزيّ لَيلـى ومَاليَـا

(١) لم يرد الحديث في الكتب المعتمدة.

ومنهم عبد الله بن عمر بن الخطاب كان يهوى جارة لَهُ رومية، وكان يجد بها وجداً شديداً، فوقعت يوماً عن بغلة كانت عليها، فجعل يمسح التراب عن وجهها ويفديها، فكانت تقول: لَهُ أنت قالون أي رجل جيد صالح فهربت منه، فقال فيها: [البسيط]

قَدْ كنتُ أَحسَبُني قــالونَ فانْطَلَقَــتْ   فَــاليَوم أَعلَــمُ أنّــي غَــيرُ قــالونَ

ومنهم الحسين بن علي بن أبي طالب (ﷺ). عشق الرباب الكلبية، وهي أم ولده سكينة وعبد الله الذي قتل معه بكربلاء وفيها يقول[1]: [الوافر]

لَعَمْــرُكَ إنــني لأُحـــبُّ أَرضــاً   تَحـــلُّ بِهـــا سُـــكينةُ والرَّبـــابُ

أُحِبُّهمـــا وأبـــذلُ جُـــلَّ مَـــالي   وَلَـــيْسَ للائِـــمِ عِنْـــدِي عِتَـــابُ

ومنهم الحسن بن عبد الله بن العباس (ﷺ) عشق عشقاً شديداً عايذا بنت عمرو بن سعيد بن عمرو بن العاص، وتزوجها، وكان بها مشغوفاً وفيها يقول: [الطويل]

أُعَايذُ مــا شمسُ النَّهــارِ إذا بَــدَتْ   بأحْسَنَ منْهــا بَــيْنَ عَيْنَيْــكَ عَابِــداً

وَمَـــا أَنــتِ إلا دميــةٌ في كَنيســةٍ   يُظِلُّ لهــا البَطْرِيــقُ بالليــلِ ســاجداً

ومنهم عبد الرحمن بن أبي عمار فقيه أهل الحجاز دخل النحاس فعلق فتاة واشتهر بها، حتَّى مشا إليه مجاهد وعطا وطاووس يعدلونه فأجابهم بأبيات منها: [البسيط]

يَلــومُني فيــكَ أَقْــوَامٌ أُجالسُــهم   فَما أُبالي أطَالَ اللَّــومُ أمْ وَقَعَــا [٩٥]

فاشتراها لَهُ عبد الله بن جعفر، وزينها ودخل إليه عبد الله بن أبي عمار في جملة النَّاس، فلما أراد النهوض استجلسه وسأله عن حبها، فقال في اللحم، والدم، والمخ، والعصب، والعظام، فأخرجها إليه وقال هي هذه؟ قال نعم: [البسيط]

هي، التي هَامَ قَلْــبي مَــنْ تَــذكُّرها   والنفسُ مشــغُولةٌ أيضــاً بــذكْراها

قال لَهُ فخذ بيدها فهي لك، وأمر لَهُ معها بماية ألف درهم، ومنهم عبد الله بن الحسين بن علي عليهم السلام، عشق هند بنت أبي عبيدة وفيها يقول:[مجزوء الكامل]

يـــا هنْـــدُ إنـــكِ لَـــوْ سَـــمعْـ   ـتِ بعَـــــــاذلَيْن تَتَابعــــــا

هنــــــدٌ أُحـــــبُّ لي مـــــنَ الـ   ـمـــالِي وأَهْلِـــي أجْمَعَـــا

فيهـــا أطَعْـــتُ عَـــوَاذلي   وأطَعْـــتُ قَلبــــاً مُوجَعــــاً

(١) لم يرد البيت في ديوان الحسين بن علي.

ومنهم عبد الله القس مَرَّ بسلاّمة فسمع غناءها فرآه مولاه فأدخله فشغف بها وجماله فيها: [الطويل]

أَلَمْ تَرَهَا لا يُبْعِدُ اللهُ دَارَهَا ... إذا طربَتْ في صوتها كَيفَ تَصْنَعُ

تَمُدُّ نِظَامَ الصَّوْتِ ثم تَرُدُّهُ ... إلى صَلْصَلٍ مِنْ صوتها يَترجعُ

ومنهم شريح القاضي كانت عنده زينب التميمية، وكان بها مشغوفاً ولها محباً وفيها يقول: [المتقارب]

إِذَا زَيْنَبُ زَارَهَا أَهْلُهَا ... حَسَدْتُ وأَكْرَمْتُ زُوَّارَهَا

وقَدْ روى أنْ عائشة بنت طلحة كانت من أجمل النَّاس، وأحسن النساء صورة، وكان سيئة الخُلق، فغضبت يوماً على زوجها، وخرجت إلى مسجد رسول الله (ﷺ) فرآها أبو هريرة، فقال سبحان الله ما أحسن ما غذاك أهلك! ما رأيت أحسن وجهاً منك.

وقد كان مغيث يحب زوجته بريدة، وكان عبداً، فلما عتقتها عائشة خيروها في المقام، أو الفرق، فاختارت فرق مغيث، فاشتد عليها وهام بها، حَتَّى كانت تطوف بالبيت، وهو وراءها يبكي ودموعه على خديه، حَتَّى قال النبي (ﷺ) لعمه العباس: **«يا عم ما نرى شدة حبه لها وبغضها له، ثم دعاها رسول الله (ﷺ) وكلمها في معناه أبأمرك يا رسول الله قال لا أنا شافع»**[1].

وقد قال ﷺ: [٩٦] **«ما خلفت على أمتي فتنة أشد من النساء»**[2].

وقد قال بعضهم: [السريع]

مَنْ كَانَ ذَا عِلْمٍ بِأَمْرِ الهَوَى ... فَهُوَ بِمَا أَلقَاهُ مِني عَلِيمُ

لَمْ آتِ في الحُبِّ بأُعْجُوبَةٍ ... الحُبُّ في العَالَمِ داءٌ قَدِيمُ

وقَدْ أنشد المأمون: [السريع]

داءٌ قَدِيمٌ في بَنِي آدمٍ ... صَبْوَةُ إنْسَانٍ بإنْسَانِ

وقَدْ تحاوز الأسود، والخاقاني لما عوتب في حبه فقال: [الخفيف]

وَيْكَ أَنْ المُلامَ يُعزِّي الملوما ... لَيْس جُرْمِي، كما زَعَمْتَ عظيما

(١) لم يرد الحديث بهذه الصيغة في الكتب المعتمدة.

(٢) ورد الحديث في كنز العمال للمتقي الهندي ٤٤٥٠٨.

إنْ أكُـــنْ عَاشِـــقاً فلـــم آتِ إلا   مـــا أَتَتْـــهُ الرجـــالُ قبلـــي قـــديماً
أنبيـــاءُ الهُـــدَى وخـــيرةُ خَلْـــقِ اللهِ   والأعْظَمُـــــونَ طَـــرًّا حلومـــــا
فَتَنَتْ صَاحِبَ الزبور مـــن المحْـــراب   إذْ ظَـــلَّ للصـــلاة مُقيمـــا
ذاتَ فَـــرعٍ بَـــدَتْ تحَلَّـــلُ مِنْهـــا   بَـــدَنًا نَاعِمـــاً وكَشْـــحاً هضـــيماً
وتـــراءتْ علـــى الـــوَلِيِّ فتـــاةٌ   فَتَنَـــــتْ بالجمـــــالِ إبْراهيمـــــاً
ولقـــدْ هـــمَّ يوسُـــفُ بالـــذي هـــم   وقـــدْ كـــانَ طـــاهراً معصُـــوماً
ولقـــد تيمـــتْ فـــؤادَ رســـول اللهِ   عـــــرسٌ بـــــن حـــــارث تتييمـــــا
أَحْمَدُ المُصْطَفى، فمـــن أنـــا حَتَّـــى   تُنكـــري أنْ أكـــونَ عَبْـــداً سَـــقِيماً
إنمـــا أكْثَـــري التَّعجُّـــبَ ممـــنْ   كـــانَ مـــن فِتْنَـــة النســـاء ســـليماً

ولآخر:

ولائم لامَـــني في الحُـــبِّ قُلْـــتُ لَـــهُ   يا أعظمَ النَّاس فيمـــا لامَـــني حُمُقَـــاً
أنَا شَرَعْتُ الهَوى وحْـــدي فَتَعـــذلُني   هَذا نَـــبيُّ الهُـــدى دَاوُد قَـــدْ عَشِـــقَا

كان يقال نعم حاجب الشهوات غض الأبصار. ونعم قرين المرء الصمت واستقلال الكبير يعرض للتعبير، قيل إنه أشير على أعرابية بالتزوج فأنشدت: [مجزوء الكامل]

لا تَـــأْمُرُوني بـــالرزال فـــإنَّني   أُريـــدُ كَـــرامَ القَـــوْمِ أوْ أتَبَتَّـــلُ
أُريدُ فـــتىً لاَ يَمْـــلأُ الهـــولُ صَـــدْرَهُ   يعودُ عَلَيْنا حلمُـــهُ حِـــينَ يَجْهَـــلُ

حكى أنه لقى الرشيد موسى بن جعفر بن محمد بن علي بالمدينة، وكان موسى على بغلة، فاستنكر ذلك الرشيد، وقال للفضل: قل لَهُ ما الذي دعاك أنْ تلتقي مع أمير المؤمنين بهذه الركبة؟ فقلت لَهُ كيف تلقيت أمير المؤمنين على هذه الدابة، التي أنْ طلبت عليها لم تلحق، وإنْ طلبت عليها لم تسبق [٩٧] قال لست بحيث أُطلب، ولا اطلب ولكنها دابة تنحط عن خُيلاء الخيل، وترتفع عن ذلة العَير، وخير الأمور أوسطها، وكان الفضل الرقاشي يؤثر ركوب الحمار.

فقيل له: إنك تؤثر ركوب الحمار، فقال هو أجمع الدواب تركب، ويتمهل، وهو أسهل الدواب مُرتقى، وأيسرها سقطة، وأهونها غيباً، وأيسرها دراء، يترافع به الجليل، ويتواضع به النَّاسك، فراكبه تارة كراكب الفرس، وتارة كالماشي، ويقوم به الإمامة اللكما، والعبد

الأحرق.

قال الأصمعي: رؤي عمرو بن العاص راكباً على بغلة قد شمط وجهها هرماً، فقيل له: لم تركب هذه، وأنت على فاخرة مصر؟ فقال: إنه لا مَلَلٌ عندي لدابتي ما حملت رحلي، ولا صديقي ما كتم سري، ولا لمرأتي ما أحسنت عشرتي، إن الملك من كواذب[1] الأخلاق.

كان لبعض الظرفاء امرأة كبيرة، تحبه، وتأتي إليه، وتمنعه من التفسح، والمداعبة مع النساء، وتظهر الغيرة عليه، فأضجرته، وأكثر عليه بذلك، فكتب إلى أبي الفتوح عبد الرحمن بن عبير الهيثم أنْ يعمل في ذلك شعراً، فقال: [الطويل]

ومنْ عَجَبِ الأيامِ شمطاءُ قاعدٌ ... تُحاولُ مني الوَصْلَ، وهي تَغارُ

إذا أنستني، أو حشتُ مَنْ أُحِبُّهُ ... في من ندايتها إلى نفارُ

وفي مِثْلِها يُهوى الجفا، وهو مظلمٌ ... ويُكْرَه ضوءُ الوصلِ، وهو نَهارُ

لبدر بن صدقة بن منصور بن دبيس بعد ما قتل أبوه وملكت دياره: [مجزوء الكامل]

يا غاديينِ من الشا ... م إلى العراق بشمالي

إنّ الأمانةَ لا تطي ... قُ لحَمْلِها صُمُّ الجبالِ

إنْ جئتمُ الحللَ الرِّحَا ... مَ ومركزَ الأملِ الطوالِ

ووقوفُ مُزْدحَمِ الوفو ... ود بباب أبلجَ كالهلالِ

قُولاَ لسَاكِنَها لمؤي ... د بالبشاشةُ والجمالِ

مَالي أرى السعدي من ... جْيش الفتى المصري خالي

والقبةُ البيضاءُ في ... نقضٍ وكانت في كمالِ

يا صدقُ لو صدقوا رجا ... لُكَ مِثْلَ صدقكَ في النزالِ

أو يحملونَ على اليمين كما ... حَمْلتَ على الشمال

دامَتْ لَهُم عربي ... ةٌ تبقى على مَرٍّ الليالي

لكنهمْ فروا وما ... كروُا فتياً للعبيد مع الموالي

سأرنو هل حطر وإلا ... ولا خَطَرُوا ببالي

(١) في الأصل: كوادب: البياص، اللسان: (كدب)، ووحدب أنْ المعى كوادب، ، والله أعلم.

قـــالُوا فقـــد قبلُـــوا فقُـــلْ ... تُ إلى الجحـــيم ولا أبـــالي

للقتْـــل يَصْـــلحُ كُـــلُّ مَـــنْ ... مـــا كـــان يَصْـــلحُ للقتـــال

قيل لبعضهم: ما العيش؟ فقال: إقبال الزمان وعز السلطان، [٩٨] ومعاشرة الكرام من الخلان.

كان ابن بسام ملقى من حجاب الوزراء، وكانوا يقصدونه بالحجاب، فحضروا يوماً باب القاسم بن عبد الله في أيام وزارته فحجب، فقال: [الكامل]

إنِّـــي أتيتـــكَ زائـــراً ومســـلِّماً ... ولكي أقـــومَ بـــبَعض حَـــقٍّ واجـــب

فـــإذا بِبابِـــكَ حاجـــبٌ مُسَـــبْطِرٌ[1] ... فَعمـــودُ بابـــكَ في حـــرمِ الحاجـــب

ولـــئنْ أرَيْتُـــكَ راضـــياً بفعَالـــه ... فتمـــامُ بابـــكَ في حَـــرمِ اصـــاحب

وله أيضاً في سعد حاجب الخاقاني الوزير، وكان أسوداً: [الكامل]

يَا سَعْدُ إنـــكَ قَـــدْ حَجَبْـــتَ ثَلاثَـــةً ... كلا قَتَلْـــتَ وفيـــكَ رســـمٌ لائـــحُ

وأتيـــتَ تحجـــبُ رابعـــاً لتُـــثيرَهُ ... فارفقْ بـــه فالشـــيْخُ شـــيْخٌ صـــالحٌ

يا حاجبَ الـــوزراء إنـــك عنْـــدَهمُ ... سعدٌ ولكـــنْ أنـــتَ ســـعدُ الـــذابحُ

وفيه يقول البحتري[2]: [المتقارب]

ولمـــا وقفنـــا ببـــاب الـــوزير ... وَقَـــدْ كشـــفَ الســـترَ أو جانبُـــهُ

ظللنـــا نُـــرجم فِيـــكَ الظُّنـــونَ ... أحاجمُـــهُ أنْـــتَ أمْ حاجبُـــهُ

قيل للأعْرابيّ: اتق الحساب، قال: ومن يحاسبني؟ قيل الله (ﷻ)قال: إنّ الكريم إذا حاسب تفضل، قدم رجل إلى بعض الولاة، فأراد ضربه فقال: تأنّ أيُّها الأمير، فإن التأني من الولاة صدقة. قيل أتي سليمان بن عبد الملك برجل قد عفا عنه مرة بعد مرة، فأمر بضرب عنقه، فقال الرجل: اللهُ، الله يا أمير المؤمنين، قال: أو ليس قد عفوتُ عنك مرة بعد مرة؟، فقال الرجل: أو ليس فداء لك مني مرة بعد مرة يا أمير المؤمنين؟ قال صدقت، وخلا سبيله.

قال الربيع بن أنس كنا في يوم عيد وقوفاً على رأس المنصور، والنّاس سماطان على مراتبهم، والمهدي جالس على وسادة، إذ أقبل صالح بن منصور، وهو الذي يدعى المسكين، وقد كان المنصور يرشحه لبعض الأمر، فقام بين السماطين، فسلم فأحسن السلم، ثم أستأذن في الكلام،

(١) المسبطر: الشديد ، والقاسي، اللسان: (سبطر).

(٢) ديوان البحتري ٣٢٩/١.

فإذن لَهُ المنصور، فأجاد، فمد المنصور إليه.

ثم، قال لَهُ يا بني: أدنُ مني، فلما أدناه اعتنقه، ثم أقعده بين يديه، ونظر إليه المنصور، ثم نظر في وجه من كان يحضرته من أهل بيته وغيرهم، هل منهم أحدٌ يثني على صالح ابنه لحسن كلامه وبلاغته نظامه، فكلهم هاب المهدي فقام عقال بن شبة بن عقال، فقال لله در خطيب قام آنفاً ما أفصح لسانه، وأحسن [٩٩] بيانه، وأمضى جنانه، وأبل ريقه، وأسهل طريقه، وحق لمن كان أمير المؤمنين أباه، والمهدي أخاهُ أنْ يكون، كما قال الشاعر: [البسيط]

هُوَ الجوادُ فــإنْ تَلْحــقِ بِشَــأْوِهِمَا عــلى تَكاليفــهِ مــنْ مثلــه لحقــا

أوْ يَسبقاهُ على ما كــانَ مــن مَهَــلٍ فمثلُ ما قــدما مــنْ صــالحٍ ســبقا

قال الربيع: فأقبل علي أبو عبيد الله وزير المنصور، وكان إلى جانبي وقال: ما رأيت مثل هذا الرجل، ولا سمعتُ أحسن من نظامه، إنه أرضى أمير المؤمنين، ومدح الغلام، وسلم من المهدي، ثم أقبل المنصور علي فقال: يا ربيع لا ينصرف التميمي إلا بثلاثين ألف درهم، فما انصرف، حتَّى حملت إليه معنا.

رأيت بخطِّ شيخنا شيخ الإسلام أبي الوفا علي بن عقيل رحمه الله، قال: ذكر أبو بكر الخطيب في تاريخه بإسناده، عن عمر بن الهياج بن سعيد، قال: أتت امرأة من ولد جرير بن عبد الله البجلي، صاحب رسول الله (ﷺ) إلى شريك القاضي، وهو بالكوفة، فقالت: أنا بالله، ثم بالقاضي، وذكرت نسبها ورددت الكلام، فقال لها: إيهاً عنك الآن من ظلمك؟ فقالت: الأمير موسى بن عيسى، وهو ابن أخي المنصور، كان لي بستان على شاطئ الفرات لي فيه نخل، ورثته عن آبائي، وقاسمت إخوتي، وبنيت بيني وبينهم حائطاً، وجعلت فيه غارساً يحفظ النخل، ويقوم ببستاني.

فاشترى الأمير موسى بن عيسى من اخوتي جميعاً وساومني، وأرغبني، فلم أبعه، فلما كان في هذه الليلة، بعث فاعل، فاقتلعوا الحائط، فأصبحت لا أعرف من نخلي شيئاً، واختلط بنخل أخوتي، فقال: شريك يا غلام، آتني بطينة وختم عليها، ثم قال لا أمضي إلى بابه، حتَّى يحضر معك، فجاءت الإمرأة بالطينة إلى بابه، فأخذها الحاجب ودخل على موسى، وقال: أعد شريك عيك.

فقال: ادع لي صاحب الشرطة، فدعاه، فقال امض إلى شريك، وقل يا سبحان الله ما رأيت أعجب من أمرك، امرأة ادعت دعوى لم تصح أدعيتها علي.

فقال لَهُ صاحب الشرطة: إن رأي الأمير أنْ يعفيني من لقائه فليفعل، فقال امض، ويلك فخرج، وأمر غلمانه أنْ يتقدموا إلى الحبس بفراش وغيره، فلما وقف بين يدي شريك، وأدى الرسالة، فقال يا غلام: خذ بيد هذا وضعه في [١٠٠] الحبس، فقال قد والله يا عبد الله عرفت أنك تفعل بي هذا، فقدمت عليه، وبلغ موسى الخبر فوجه بالحاجب إليه، وقال: قل لَهُ هذا من ذاك رسول أي شيء عليه، فلما أدى الرسالة، قال يا غلام ألحقه بصاحبه في الحبس.

فلما صلى الأمير العصر، بعث إلى الحسن بن الصباح الأشعثي وجماعة من وجوه الكوفة، وأصدقاء شريك من العلماء، والقراء، فقال لهم: امضوا إليه وبلغوه السلام، وأعلموه أنه قد استخف بي، وأني لست كالعامة فمضوا، وهو حالس في مسجده بعد العصر، فأبلغوه الرسالة.

فلما فرغوا قال لهم، فما لي إلا أراكم جئتم في غيره في النَّاس كلمتموني من هنا من فتيان الحي فيأخذ كل واحد منكم بيد رجل منهم، وأذهبوا بهم إلى السجن، لا، والله لا يتم إلا فيه، قالوا: أجاداً أنت حقاً؟ قال: نعم، حَتَّى لا تعودوا برسالة ظالم، فحبسهم، فركب الأمير موسى بن عيسى في الليل وفتح باب الحبس، وأخرجهم جميعاً، وجاء من الغد السجان إلى شريك في مجلس القضاء، فأخبره، فأمر بالقنطر[1] فختمها، ووجه بها إلى منزله.

وقال لغلامه: ألحقني بثقلي إلى بغداد، والله ما طلبنا هذا الأمر منهم ولكن أكرهونا عليه، ولقد ضمنوا لنا الإعزاء فيه إذا تقلدناه لهم، ومضى نحو قنطرة الكوفة يريد بغداد، فبلغ الخبر موسى بن عيسى فركب في موكبه فلحقه، وجعل يناشده الله، وقال يا أبا عبد الله، تثبت انظر إلى إخوانك تحبسهم دع أعواني قال نعم، لأنهم مشوا لك في أمر لم يجب عليهم المشي فيه، ولست ببارح، أو يردوا إلى الحبس، وإلا مضيت إلى أمير المؤمنين فاستعفيته مما جعله إلي فأمر بردهم إلى الحبس، وهو، والله واقف مكانه، حَتَّى جاء السجان فأخبره بذلك.

فقال لأعوانه خذوا بلجام بغلة الأمير فردوه بين يديه، حَتَّى أدخل المجلس وجلس. وقال أين الحويريه المتظلمة من هذا؟ فجاءت، قال هذا خصمك قالت نعم، قال قد حضر مجلس الحكم، ثم قال الأمير أولئك يخرجون قبل كل شيء من الحبس، فقال القاضي أما الآن فنعم، أخرجهم، ثم التفت إلى الأمير، فقال ما تقول فيما تدعيه هذه المرأة؟ قال: صدقت، قال فترد جميع ما أخذت منها، وتبني لها حيطها في وقت واحد سريعاً، كما هدم، قال: أفعل، قال ما بقي لك [١٠١] شيء؟ قالت بيت الفارس ومتاعه.

(١) القنطر: الساء المسد البيان، ونقصد بها السحر، اللسان: (قطر).

قال موسى يرد متاعه، ويبني بيته، بقي لك شيءٌ تدعيه؟ قالت لا وجزاك الله خيراً عن المسلمين، قال قومي لشأنك، ثم أخذ شريك بيد موسى بن عيسى فأجلسه في صدر المجلس، ثم قال السلام عليك أيُّهَا الأمير تأمر بشيء ليمتثل؟، قال لَهُ موسى: بأي شيء آمر وضحك وانصرف راضياً بفعل شريك، يقال: إن المروءة عشرة خصال: الحلمُ، والحياءُ، والصدقُ، والسخاء، وترك الغيبة، وحسن الخلق، والعفو عند المقدرة، وبذل المعروف، وإنجاز الوعد. وكتم السر.

حكي عن الحسن بن سهل أنه لما ودع المأمون فبلغ نهاية التشييع، فقال المأمون ألك حاجة يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين تحفظ علي من قلبك لا أستطيع حفظه إلا بك. كتب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر إلى موسى بن بُغَا معزياً لَهُ غير أخيه أبي نصر، ومهنئاً لَهُ بإحضار الخلافة إلى المعتمد على الله، لئن كانت الأيام أعزك الله، أساءت الرزية، لقد أحسنت العطية أو قاربت المنية، لقد بلغت الأمنية، فأعطت يكف وثنت كفاً، فلا زلت مشمولاً بالنعم مغموراً بالكرم.

حَتَّى يكون كل يوم من أيامك موفياً في الفضل على أمسه، مقصراً عن فضل غده، وأمسه كتب رجل إلى صديق له، قد كنت أستعيذك ظالماً، فتحكم لي، وقد أستعذيتك مظلوماً فضاق عني عدلك، وقد ذكرت، قول الشاعر: [الخفيف]

كنـــتُ مِـــنْ كُرْبَتِـــي أَفِـــرُّ إِلَيـــهِمْ فَهُـــمُ كُـــرْبَتِي فَـــأين الفِـــرَارُ؟

وكتب آخر إلى من وعده بوعد ومطله كفا بالتأويل موجباً للمأمول، فكيف بالموعو المطول. وكتب آخر إلى صديق لَهُ لا تستقل لنا براً فإنا لا نستكثر على قبوله شكراً. يقا إن الحمية أحدُ العلتين. هذه رقية للنار الفارسي، والنملة.

وهي مجربة متداولة: تعقد عند عاقولة[1] في يوم الأحد وتحفر على أصلها بحديدة، وتقول وأنت تحفر هذه الكلمات: تو ميد، الدوريدك، برذم، شرندم، هلميسة، وخشك، يانسو نوشفا، توشفا عن فلان بن فلانة، أو فلان بنت فلانة، وتقطع العاقولة، وتقل عليها، وتره [١٠٢] واكثر ما يُفعل ثلاثة آحاد فإنه يبرأ بإذن الله تعالى.

قال طاوس اليماني، رأيت علياً كرم الله وجهه على المنبر بالكوفة، وقد خطب خطبة بليغ قال فيها: معاشر النَّاس عشر خصال تقبح، قيل ما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: الغ

(١) العاقول: ست شوكي تأكله الإبل.

بالأشراف، والحدعة بالعلماء، والكبر في الأبرار، والشح بالملوك، والبخل بالأغنياء، والإزراء بالفقراء، والسفاهة بالشيوخ، والفجور بالقراء، والكذب بالقضاة، والعجلة في الأمراء.

قال الأمير عمر بن هبيرة لبعض عماله: اتخذ كاتباً، ولا تكونا نارين فتحرقا، ولا مائين فتغرقا، ولا تنفتحا، وكن ناراً وليكن ماء، وول عملك أهل البيوتات، فإن عدلوا، فذاك الظن بهم، وإنْ لم يفعلوا كان لك عذر في توليتهم، ويكن حاجبك طلق الوجه، ينزل النَّاس منازلهم.

فإنَّ حاجب الرجل وجهه قبل أنْ يُرى فليكن وجهك حسناً، ومُرْهُ أنْ يتلقى بالبشر، ومُرْهُ أنْ يستقبل مصافيك ومخالصيك جذلاً مسروراً، وأنْ يَقضي حوائجهم، ويقرب مجالسهم، بل يوجه من يكون ذلك طبعاً فيه، ولا يكون عليه مؤونة لَهُ من نفسه. يحكى أنْ رجلاً وقف بين يدي الوزير مسعدة، وقد ركب في موكبه، وأظهر من الكبرياء، والجبروت ما يخرج عن حد العادة فأنشد: [الوافر]

لا تناهَـــا فَـــوْقَ حالـــك حَـــالُ ... كَمُـــلَ الــــوزْنُ وامــــتلأَ المكْيـــالُ

مِثْلُ شَـمْسِ النـهار لمـا اسـتقتْ ... في ذُراهـــا فلـــيسَ إلا الـــزوال

وحكي عن بعض الكتاب أنه وقع إلى قاضي قم: أَيُّهَا القاضي بقم قد عزلناك فقم، فقال القاضي: والله ما أراد عزلي وإنما التطابق بالسجع حمله على ذلك، فما مضت أيام عدة، حَتَّى أعاده، يقال: من استطال عليك بصورته، وتخل عليك بفضله، ففي التصاوير مثله كثير أنشد ابن الأعرابيّ: [الطويل]

حَمَلْتُ جبالَ الحُــبِّ منْــك، وأنـــني ... لأَعْجَزُ عن حمل القمـــيص وأضـــعفُ

ومَا الحُبُّ مِنْ حُسْنٍ ولا مِنْ مَلاَحـــة ... ولكنـــهُ شـــيءٌ بــــه الـــروحُ تَكْلَـــفُ

قال بعض الحكماء: من فعل ما شاء لقي ما لا يشاء، وقال بعض الأدباء أوسع ما يكون الكريم مغفرة. إذا ضاقت بالمذنب المقدرة، ويقال: إن الاستطالة نذالة، قيل للأحنف بن قيس: هل رأيت أحداً أحكم بياناً منك؟

قال: أي والله من [١٠٣] تعلمت منه الحلم، قيل من هو؟ قال: قيس بن عاصم المنقري بينما هو مُحتَب بفناء بيته، أُدني بابن له، قيل قتله ابن عم لَهُ فو الله ما تغيّر لَهُ وجه، ولا حل حبوته، ولكنه أمر، بأَنْ يغسل، ويوارى، ثم أرسل إلى قاتله إنه لا يجوز أنْ تجري في الانتقام محارك في الاعتداء، فأقبل إلينا آمناً.

وأخبرونا بالسبب الذي هيجَّك على ما أحييت، ثم قال: يا غلام إذهب إلى أم القتيل بمائة من

الإبل، ليسكن عنها ما تداخلها من اللوعة، ثم أنشأ يقول: [الكامل]

إني امـرؤٌ لا يُطَّبى حَسَبي ... دَنَسٌ يُخالطُهُ، ولا أفْقُ
مِنْ مُنَفرٍ في بيتِ مَكْرُمةٍ ... والفَرْعُ يَبْنِيْ حَولَهُ الغُصُنُ
لا يَفْطُنُونَ لعَيْبِ جَارِهِمُ ... وهُمُ لعينِ عيوبِهِ فُطُنُ
خُطَباءُ حينَ يقولُ قائلُهم ... بِيضُ الوجوهِ أعفَّةٌ لُسُنُ

قيل لأمير المؤمنين، عمر بن الخطاب (ﷺ) من سيد قومك؟ قال: مَنْ أحوجهم الدهر إلي. يقال: من رغب في المكارم فليجتنب المحارم، ويقال: أنعم النّاس عيشاً من عاش غيره في ظله، وقد روي أنَّ كعب بن مالك، وهو أحد الثلاثة الذين خَلّفوا لما جاءه البشير بنزول توبته سجد، وألقى رداءه على البشير.

قال عمران بن محمد اليقطيني: رأيت يونس بن المختار، في دار المأمون، ومرتبته أعلى لمراتب. قاعداً على الأرض، فقال لَهُ الحاجب: ارتفع يا أبا المعلي إلى مرتبتك. فقال: قد رفعني أمير المؤمنين إليها وليس لي عمل بقي لها، فلم لا أكرمها عن القعود عليها إلى أنْ يتهيأ لي الشكر عليها، فبلغ ذلك المأمون، فقال هذا غاية الشكر وزاد في إكرامه، لمحمود الوراق[1]: [السريع]

يَـا أيُّهَا الظَّالم في فعلِه ... والظلم مردود على من ظلم
إلى متى أنت وحَتَّى متى ... تشكو المصيبات وتنسى النعم

أخذ هذا من تفسير الحسن لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦].

قال: يعود المصائب، وينسى النعم، ويروى عن النبي (ﷺ) أنه قال: «**مَن أنظر معسراً إلى ميسرة كان في ظل الله (ﷺ)**»[2].

وروي عنه عليه السلام أنه قال من شد على أخيه في التقاضي، إذا كان مُعسراً شد الله عليه [١٠٤] في قبره. قال أبو معاوية الأسود: إخواني كلهم خير مني، فقيل لَهُ كيف ذلك؟، فقال كلهم يرى الفضل على نفسه، ومن فضلني على نفسه فهو خير مني ــ لبعضهم: [الطويل]

فلا تَغترِرْ بالبِشرِ مِنْ وَجْهِ حاسدٍ ... فَبِردُ ابتسامِ الثَّغرِ من غلظةِ الحِقدِ

---

(١) لم يرد البيان في ديون الوراق المطبوع.

(٢) ورد الحديث بصيغ متعددة، مسند أحمد بن حنبل ٣٢٧/١، ٤٢٧/٣، ٣٥١/٥، مستدرك الحاكم ٢٨/٢، ٢٩، ٢٧/٤، المعجم الصغير للطبراني ٢١٠/١، بغوي ٣٠٢/١، مجمع الزوائد للهيثمي ١٣٤/٤، الدر المنثور للسيوطي ٣٦٩، تفسير ابن كثير ٤٩/١، وبصيغ أخرى.

وإن مشرَب السُّم لاشكَّ قاتلٌ وإنْ هو أحْنَى نفسهُ لذةُ الشَّهدِ

من (كتاب): النساء في عيون الأخبار

لابن قتيبة بإسناده عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: خير نسائكم العفيفة في فرجها، الغلمة لزوجها، وبإسناده عن الزبير قال: ما دفع أحد نفسه بعد الإيمان بالله، بمثل منكح صدق، ولا وضع نفسه بعد الكفر بالله، بمثل منكح سوء.

ثم قال لعن الله فلانة ألفتْ بني فلان بيضا طوالاً فجعلتهم سوداً قصارا، وقال رجل، لا أتزوج امرأة، حتَّى أنظر إلى ولدي منها، فقيل كيف ذلك؟ قال انظر إلى أبيها، وأخيها، فإنها تجيء بأحدهما.

وبإسناده عن عمر بن الخطاب (ﷺ) أنه قال ثلاث من الفواقر: جار إن رأى حسنة سترها، وإنْ رأى سيئة أذاعها ونشرها، وامرأة إن دخلت لسنتك، وإنْ غبت عنها، لم تأمنها وخانتك، وسلطان إن أحسنت لم يحمدك، وإنْ أسأت قتلك، قال خالد بن صفوان: من تزوج امرأة فليتزوجها عزيزة في قومها، ذليلة في نفسها، أدبها الغنى، وأذلها الفقر حصان من جاراها، ماجنة على زوجها.

وقال خالد بن صفوان: اطلب لي بكرا كثيِّب، أو ثيِّباً كبكر، لا ضرعاء صغيرة، ولا عجوزاً كبيرة، لم تنفر فتحنن، ولم تفتل فتمتحن، قد عاشت في نعمة، وأدركتها حاجة، فخلق النعمة معها، وذلك الحاجة فيها، وقال آخر يعني امرأة لا تؤهن دارا، ولا تؤنس جاراً، ولا تنفث ناراً، يريد بذلك أنْ لا تجعل لدارها آهلةً بدخول النَّاس عليها، ولا تؤنس الجيران بدخولها عليهم، ولا تُنمّ، وتُغري بين النَّاس، أنشد ابن الأعرابيّ: [الطويل]

إذا كُنْتَ تَبْغي أيِّماً بجَهَالَةٍ مِّن النَّاس فانظرْ مِنْ أبوهَا وخَالُهَا
فإنَّهما منها كما هي منهُمُ كقدك نغلاً أو أريدَ مثَالُها [١٠٥]
ولا تَطلبِ البَيْتَ الدَّنيَّ فَعَالُهُ وَلا يَدَعُ ذا عَقلٍ لرعناءَ مالَهَا
فإن الذي ترجوُ منَ المَالِ عنْدَهَا سَيأْتي عَلَيْهِ شُؤمُهَا وحيالُهَا

البكرُ كالبُرِّ تَطحنُها، وتعجنُها، وتخبزها، ثم تأكُلها، والثِّيبُ عجالةٌ كعجالة الرَّاكبِ تمر وسويق، ويقال إنَّ المرأة غلٌّ فانظر ماذا تضع في عنقك. وطلق أبو زياد امرأته حين وجدها لثغاء فخاف أنْ تجيئهُ بولد الثغ، وأنشد: [الكامل]

لثغاءُ تَأتي بَحليسَ الثَّغ يَميسُ في المُوشَّى والمُصَبَّغ

تزوج علي بن الحسين عليهما السلام أم ولد لبعض الأنصار، فلامه عبد الملك على ذلك، فكتب إليه، إن الله قد رفع بالإسلام الخسيسة، وأتم النقيصة، وأكرم به من اللوم، فلا عار على مسلم، هذا رسول الله (ﷺ) قد تزوج أمته وامرأة عبدة، قال عبد الملك بن مروان: علي بن الحسين يشرف من حَيْثُ يتضع النَّاس.

قال الأصمعي: كان أهل المدينة يكرهون اتخاذ أمهات الأولاد، حَتَّى نشأ فيهم علي بن الحسين، والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله فقاموا أهل المدينة فقها، وورعاً فرغب النَّاس في السراري... ولبعضهم: [البسيط]

لا تَشْتِمَنَّ امرءً في أَنْ يكون لَهُ ... أمٌّ من الرومِ، أو سوداء عجماءُ

فَإِنَّمَا أمهاتُ القومِ أوْعِيَةٌ ... مستودعات وللأحساب آباءُ

وَرُبَّ واضحةٍ لَيْسَتْ بمنجبةٍ ... وَرُبَّما أَنْجَبَتْ للفحلِ سوداءُ

وقال بعضهم لصديق له، وقد شاوره في التزويج، فقال: افعلْ وإياك، والجمال الفائق فإنه مرعي، فقال: ما نهيتني إلا عما أطلب، فقال سمعت، قول القائل: [البسيط]

وإن تُصادفُ مرعيٍّ مُمْرِعاً ... إلا وجَدْتَ به آثارَ مأكُولِ

روى عن النبي (ﷺ) أنه قال: «**إذا جاءكم من تَرْضون دينه وخلقه فزوجوه، فإنكم إنْ لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض، وفسادٌ كثير**»(١).

وقال عليه الصلاة، والسلام: «**الحسب المال، الكرم التقوى**».

وقالت: لَهُ أم حبيبة يا رسول الله، المرأة منا ما يكون لها زوجان في الدُّنْيَا فتموت لأيهم تكون في الآخرة؟ فقال: «**لأحسنهما خلقاً يا أم حبيبة، ذهب حسن الخلق بخير الدُّنْيَا والآخرة**».

وقال عمر بن الخطاب [١٠٦] (ﷺ): لا تُكرهوا فتياتكم على الرجل القبيح فإنهن يُحببنَ. كما تحبون. قبل لأعرابي، فلاناً يخطب فلانة، أمن يُسر من دين وعقل قالوا نعم، قال فزوجوه، أوصى الديّان بن قطن الحارثي ابنته، فقال: يا بنية لا يعلون صوتك على صوت زوجك، ولا يكون أمرك على أمره، واعلمي أنْ كرام النساء المغلوبات لا الغالبات، فإذ

(١) ورد الحديث: من ترضون دينه، أو خلقه في: سنن الترمذي ١٠٨٠، السنن الكبرى للبيهقي ٨٢/٧، مصنف عبد الرزاق ١٠٣٢٥، شرح السنة للبغوي ١٠/٩. كح ٢٦/٩، الكنى ، والأسماء للدولابي ٢٥/١، ٢٦/٢، كنز العمال للمتقي الهندي ٤٤٧٠١.

أعطاك يسيراً، فاستزيدي، ولا تحقري، وإنْ أكثر لك فاشكري، ولا تبطري، وإنْ ساءتك منه خليقة، فكوني به رفيقة، واعلمي أنْ جواداً معسراً خير من عشرة مياسر بخلاء.

كان عمر (ﷺ) لا يجيز نكاحاً عام سنة[1]، يقول: لعل الضيقة تحملهم على أنْ ينكحوا غير الأكفاء. خطب رجل، فلم يرضيه، وكان في عام جذب. فأنشأ يقول:

قُلْ للـــذينَ أَتَـــوا يبغـــوْنَ رُخصـــتَهَا ... ما أرخصَ الجوعُ عنْـــدي أُمَّ كُلْثُـــوم

الموتُ خيرٌ لهـــا مِـــنْ بعـــدِ منقصـــةٍ ... سِـــيقَتْ إِلَيـــه أبـــا ياجلـــة كـــوم

خطب خالد بن صفوان امرأة: فقال: أنا خالد بن صفوان، والحسب على ما قد علمت وكثرة المال على ما بَلغَكِ، وفي خصالٌ سأبينها لك، فتقدمي علي أودعي، قالت، وما هُن؟ قال: إن المرأة إذا دنت مني أملتني، وإنْ تباعدت عني أعلتني، لا سبيل إلى درهمي وديناري، وثاقي على ساعة من المال، لو أنَّ رأسي بيدي لنبذته، فقالت: قد فهمنا مقالتك، وعينا مـــا ذكـــرت، وفيك الحمد لله خصال ما يرضي بها لبنات إبليس فانصرف، أصلحك الله — وقـــال بعـــض العرب يخاطب امرأته: [المتقارب]

فإمَّـــا هَلَكْـــتَ فـــلا تَنكحـــي ... ظَلُـــومَ العشـــيرَةِ حُسَّـــادَهَا

يـــرى مَجْـــدَهُ ثَلْـــبَ أعراضـــها ... لَدَيْـــه ويـــنْقُصُ مـــن سَـــادَهَا

قال رجل للحسن: إن لي بنية، وإنها تخطب، فمن أزوجها، قال: من يتق الله، فإنه إن أحبـــها أكرمها، وإنْ أبغضها لم يظلمها. قال إبراهيم بن ميسرة قال لي طاوس لتنكحن، أو لأقـــولن لك ما قال عمر لأبي الزوايد ما يمنعك من النكاح إلا عجزاً وفجوراً. قالت عائشـــة (ﷺ): خطب رسول الله (ﷺ) امرأة كلب، فبعثني أنظر إليها، فقال: كيف رأيت؟ قلت: ما رأيـــت طائلاً، فقال: «**لقد رأيت طائلاً، ولقد رأيت خالاً بخدِّها، حتَّى اقشعرت كل شعرة منك على حدة**»[2][١٠٧]

فقلت: ما دونك ستر، ولا سرّ. قال عون بن عبد الله: كان يقال من كان في صورة حسنة، ومنصب لا يشينه، ووسع عليه في رزقه، وكان من خالصة الله تعالى ولبعضهم: [المتقارب]

تُخَبِّـــرُ مَـــنْ فـــيهمْ حَسَـــنَةٌ فتـــاةٌ ... وَحَـــقٌ لَـــهُ أنْ يتيهَـــا

رائـــي نفسَـــهُ ورائـــي غـــيرَهُ ... فَلَـــمْ يُـــر فيـــه لشـــيءٍ شَـــبِيهَا

---

(١) السنة، الجدب، اللسان: (سنا)، ومنه أسنت القوم.

(٢) ورد الحديث في الطبقات الكبرى لابن سعد ١١٥/٨.

وفي معناه: ولما رآك العاذلون حجتهم، بوجهك، حتَّى كلهم لي عاذر، قال الزبير بن بكار قال جميل بن معمر: ما رأيت مصعباً يحتال بالبلاط، إلا غرت على بثينة بالجناب وبينهما مسيرة ثلاث.

قال العتبي حدثنا أبو الغصن الأعرابيّ قال: خرجت حاجاً في بعض السنين، فلما مررت بقباء، تداعى أهله، وقالوا الصقيل، فنظرت فإذا جارية كأن وجهها سيف صقيل، فلما رميناها بالحدق، ألقت البرد على وجهها، فقلنا لها إنا سفر وقينا أجر فامتعينا بوجهك فانصاعت، وأنا أعرق الضحك في وجهها وعينها، وهي تقول: [الطويل]

وكُنتَ، متى أرسلْتَ طَرْفَكَ رائداً ... لقلْبِكَ يوماً أتعبتكَ المناظرُ

رأيتَ الذي لا كلّه أنتَ قادرٌ ... عليه ولا عن بعضه أنتَ صابرُ

ومر رجل فرأى فتاة من أحسن النساء، وأجملهن، فوقف ينظر إليها، فقالت لَهُ عجوز من ناحية ما يقيمك على العراك النجدي، ولاحظ لك فيه، فقالت الجارية دعيه، يا أمتاه يكن لقول ذي الرمة[1]: [الطويل]

وإنْ لم يكنْ إلا تَعَلُّلَ ساعةٍ ... عليَّ فإني نافعٌ لي قَليلُها

قال جعفر بن محمد بن الجمال: مرحوم، قال: الأصمعي، خاصم رجل على امرأته إلى زيا، فكأنه مال على الرجل، فقال لَهُ الرجل: أصلح اللهُ الأمير، إن خير نصفي بني الرجال آخرهم يذهب حجله، ويثوب حلمه، ويجتمع رأيه، وإنَّ شر نصفي بني الامرأة آخرهم يسوء خلقها ويحد لسانها، ويعقم رحمها، فقال: اسفع بيدها، وقد قال بعض الأعراب: [البسيط]

لا تَنكحَنَّ عَجُوزاً إنْ أتَوكَ بها ... وإن حَبَوْكَ على تزويجها الذَّهَبَا

فإنْ أتوكَ، وقالوا إنها نصفٌ ... فإن أطيبَ نصفيها الذي ذَهَبَا

ذكر بعض الأعراب امرأة فقال: خلوتُ بها، والقمر يرنيها، فلما غاب أرتنيه.

طلق أبو الخندق روجته، فقالت بعد صحبة خمسين سنة، فقال هذا ذنبك عندي لا غير [١٠٨] قال ابن الكلبي خطب دريد بن الصمة، خنساء بنت عمرو، فبعثت جاريتها إليه فقالت: انظري، إذ بال يقعر أم يعثر؟ قالت الجارية، بل يبعثر، فقالت لا حاجة لي فيه ولبعضهم هو أبو تمام[2]: [الكامل]

---

(١) ديوان ذي الرمة، ص٩١٣.

(٢) ديوان أبي تمام ١١٥/٢.

أحلى الرجال مِــنَ النســاء مَواقِعَــاً ... مَــنْ أَشْــبَهَهُمْ بِهِــنَّ خُــدودَا

آخر: [البسيط]

أَرى شَــيْبَ الرجــالِ مِــنَ الغَــواني ... بِمَوضِــعِ شَــيْبِهِنَّ مِــنَ الرِّجَــالِ

آخر:

كَفَى لِذي الشَّيْبِ ذَنْباً عِنــدَ غَانِيَــةٍ ... وبالشَّــبابِ شَــفيعاً أَيُّهَــا الرَّجُــلُ

وقيل كانت لبعض الأعراب امرأة تشاوره، وتؤذيه، وقال قد أسن وامتنع عن النكاح، فقال لَهُ صاحبه، أما نُصلح بينكما؟ قال لا، قال لَهُ: و لِمَ؟ قال: لأن الذي كان يصلح بيننا قد مــات. يعني ذكره، عوتب بعضهم على ترك لحيته بيضاء، فقال: [الوافر]

وقائِلَــةٍ لي اخْضُــبْ فــالغواني ... تَــوافُرُ عَــنْ ملاحظــةِ القَــتيرِ

فَقُلْــتُ لهــا القَــتيرُ نَــذيرُ عُمْــري ... وَلَسْــتُ مُسَــوِّدًا وَجْــهَ النَّــذيرِ

قال العتبي حدثني أبي عن الحكم بن صخر الثقفي قال: خرجت حاجاً متخفياً، فلما كنــت ببعض الطريق لقيتي جاريتان من بني عقيل لم أر أحسن منهما وجهاً، ولا أظرف ألسناً، ولا أكثر علماً فقصدت لهما يومي وكسوتهما، ثم حججت من قابل ومعي أهلي، وقد أصــابتني علة نصل حضابي[1]، فلما صرت إلى ذلك الموضع.

إذا أنا بإحداهما قد دخلت عليّ، فسألتني مسألة منكر، فقلت فلانة، فقالــت فــدَاكَ أبي، أو تعرفني، وأنكرك؟ فقلت: أنا الحكم بن صخر، قالت إنّي رأيتك عام أوَّل شاباً ســوقة، وأراك العام شيخاً ملكاً، وفي دون هذا ما ينكر المرءُ صاحبه. قلت: فما فعلــت أختــك، قالــت: تزوجها ابن عمّ لها وخرج بها إلى أضاح، فذلك حين أقول: [الطويل]

إذا مــا قَفَلْنَــا نحــو نجــدٍ وأهلــه ... فحسبي من الــدُّنْيا قَفَــولٌ إلى نَجْــدِ

فقلت لو أدركتها تزوجتها، قالت: فما يمنعك من شقيقتها في حسنها ونظرتها في جمالها، تعني نفسها، قلت بمعنى كثير[2]: [الطويل]

إذا وَصَــلَتْنَا خُلَّــةٌ لي يُزيلُنــا ... أَبَيْنَــا وقُلْنَــا الحاجبيــةُ أَولُ

قالت وكثير بيني وبينك أليس هو القائل[3]: [البسيط]

---

(١) نصل حضابي: الحصابي: القوس الذي لَهُ صوت، وهو من أجود الأقواس، اللسان: (حضب).

(٢) ديوان كثير، ص٢١٣.

(٣) ديوان كثير، ص١٩٧.

هَلْ وَصْـلُ عـزة إلاّ وَصْـلُ غانيـة ... في وَصْلِ غانية مِـن وصـلها خَلَـفُ

قال: فسكت عن جوابها. حكى الأصمعي عن بعض أشياخ أهل البصرة: أنَّ رجلاً وامرأتـه [١٠٩] اختصما إلى أمير من أمراء العراق، وكانت المرأة حسنة المنتقب، قبيحة المسفر، وكان لها إنسان فكأنّ الأمير مال معها، فقال يعمد أحدكم إلى المرأة الكريمة، فيتزوجها، ثم يسـيء إليها، فأهوى روحها، فألقى النقاب عن وجهها، فقال الأمير: لعنة الله كلام مظلوم، ووجـه مظلوم، وقال أعرابي يذم امرأة لها جسم برغوث وساق بعوضة، ووجه كوجه القرد، بل هو أقبح:

لها جسمُ بُرغـوث وسـاقُ بَعوضَـة ... وَوَجْهٌ كَوَجه القرد بـل هُـو أقْـبَحُ

تُـبرزقُ عَينَيْهَـا إذا مَـا رَأَيْتَهَـا ... وتَعْبسُ في وَجْـه الضَّـجيع وتكْلَـحُ

وتفتحُ لا كـانتْ، فمـا لَـوْ رَأَيْتَـهُ ... تَوَهمْتَـهُ بابـاً مِـن الـدرب يُفـتَحُ

وما ضحكتْ في القَـوْم إلا ظننتها ... أمـامَهُمْ كَلْبـاً يَهِـرُ ويسْـنَحُ

إذا عاينَ الشـيطانُ صـورةَ وجههـا ... تعوذَ منها حـينَ يُمسـي ويصْـبحُ

وقـدْ أعْجَبَتـها نَفْسُـها فتملحتْ ... بأي جَمـال لَيْـتَ شـعري تملـحُ

ورأى أعرابي امرأة في شارة وهيئة، فظن بها جمالاً، فلما أسفرت إذا هـي غـول، فقـال: [الطويل]

فأظْهرَهَـا ربي بمَـن وقُـدرة علـى ... وَلَـوْلاَ ذَاكَ مُـتُّ مِـنَ الكَـرْبِ

فَلَمَّا بَدَتْ شُحتْ مِنْ قُـبح وَجهِهَـا ... وقُلْتُ لها السَّاجورُ خيرٌ مِـنَ الكَلْـب

قال عبد الملك بن عمير: قدم علينا الأحنف بن قيس الكوفة مع مصعب بن الزبير، فما رأيت حلة تذم إلا ورأيتها فيه، كان أصلع الرأس متراكب الأسنان أشدق، مائل الذقن، ناتئ الجبهة، ماحق العين، خفيف العارضين، أحنف، ولكنه كان إذا تكلم جلا عن نفسه، وقال لَهُ رجـل يوماً (تسمع بالمعيدي خير من أنْ تره)[1].

فقال له: وما ذممت مني يا ابن أخي، الذمامة وقصر القامة، ثم قال له: لقد عبت عليَّ مـا لم أومر فيه. قيل لإياس بن معاوية بن قرة: فيك أربع خصال: دُمامة، وكثرة كلام، وإعجـاب بنفسك، وتعجيل بالقضاء، قال أما الدُّمامة، والأمر فيها إلى غيره لم يكن من صنعيَ، وأمـا

(١) ورد المثل في أمثال لضبي، ص٩، الفاخر ٦٥، فصل المقال ١٢١، الميداني ١/٨٦، المستقصى ١٤٨، اللسان: (معد).

كثرة الكلام فبصواب أتكلم أم بخطأ قالوا بصواب قال: فالإكثار من الصواب أمثـل، وأمـا إعجابي بنفسي أفيعجبكم ما ترون مني قالوا نعم قال: فإني أحق أنْ أعجب بنفسي.

وأما قولكم أنك تعجل بالقضية فكم هذه، وأشار إلى أصابعه قالوا خمسة قالوا أعجلـتم ألا قلتم إثنين وثلاثة، وأربعة وخمسة قالوا ما تعد شيئاً قد عرفناه، قال فكذلك لا أحبس شيئاً قد تبين لي [١١٠] لي فيه الحكم. في رواية الحاجب بن العلاف عن الحمَّاميّ بإسناده عن موسى ﷺ، قال يا رب دلني على عمل، فأوحى الله إليه: عليك باللطف، بالصبيان فإني جعلتـهم على فطرتي، وإنْ توفيتهم على رحمتي.

قال أبو الأسود الدؤلي لابنته إياك، والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق، وعليك بالزينة، والطيب، فإن أزين الزينة الكحل، وأطيب الطيب، إسباغ الوضوء، وكوني، كما قلت لأمك[(١)]: [الطويل]

خُذي العَفْوَ مني تَسـتديمي مَـودَّتي ... ولا تَنْطقي في سُورتي حـين أغضـبُ

ولا تُنقِّريـني نَقْـرَةَ الـدَّفِ مَـرَّةً ... فيـا بَـاكِ قَلْـبي، والقلـوبُ تقَلَّـبُ

فإني وَجَدتُ الحُبَّ في الصَّدْرِ، والأذى ... إذا اجتمعا لَمْ يَلْبَـثِ الحـبُ يَـذْهَبُ

وأي فتـــاة لا تُـــوقرُ بَعْلَهـــا ... وتكرمـهُ إلا، ويومـاً سُـتَعْطَبُ

ويروى عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «**المرأة خلقت من ضلع عوجاء فإن تحـرص علـى إقامتها تكسرها فدارها تعش بها**»[(٢)].

وأنشد ابن الأعرابيّ: [الطويل]

هيَ الضِّلْعُ العوجـاءُ لَسْـتَ تُقيِّمُهـا ... إلاّ أنْ تَقْـويْمَ الضـلُوعِ انكسَـارُهَا

أيجمعنَ ضَعْفاً واقتـداراً علـى الفـتى ... أَلَـيْسَ عجيبـاً ضـعْفُهَا واقتـدارُهَا

قال عمر (ﷺ) النساء عورة فاستروا عوراهن بالبيوت، وداووا ضعفهن بالسـكوت، وفي حديث آخر لعمر، لا تسكن نساءكم الغرف، ولا تعلموهن الكتابـة، واسـتعينوا علـيهن بالجوع، والعري فإنهن إذا جعن لا يمرحن، وإنْ عرين لم يتبرَّجن. في (كتاب): حلية الأولياء، عن يزيد الرقاشي عن أنس، قال: قال رسول الله (ﷺ): «**مَنْ لقم أخاه لقمة حلو صرف الله عنه مرارة الموقف يوم القيامة**»[(٣)]

---

(١) ديوان أبي الأسود ٣٨١ حَبْتُ ورد بيتان فقط، وقد اختلف في روايتها.

(٢) ورد الحديث في مستدرك الحاكم ١٧٤/٤، ٣٢٤.

(٣) ورد الحديث في الفوائد المجموعة للشوكاني ١٨٢، ٢٣٥، علل الحديث لابن أبي حاتم الرازي ٢٤٣٢، كشف الخفـاء

. وبإسناده أنَّ النبي (ﷺ) قال: «**من خدم مؤمناً، أو خف لَهُ في شيء من حوائجه كان حقاً على الله أنْ يخدمه وصيفاً في الجنة**»[1].

قَبَّل أبو العميثل يد طاهر بن عبد الله، فقال له: قد أذت خشونة شاربك يدي، قال إن شوك القنفذ لا تضر برثن الأسد. قال يحيى بن زياد لمطيع لا مرحباً بعيش أنفرد به عنك، ويـوم لا أكتحل فيه بك. حكى في الرئيس الأحل الكافي أبو دُلف محمد بن هبة الله ابن رهمويه قـال أهديت لبعض الصدور بطيخاً بعد أنْ بذلت الجهد في [١١١] انتقائه وانتخابه فـأخلف، و. يكن كظاهره فعاتبني في ذلك فكتب إليه: [الطويل]

لَكَ الخيرُ لَـمْ أُشْرِكْ مُرِيـداً لنـاظرٍ ... فخيَّرَ حُسـناً ظـاهراً عَـنْ مُغيـبِ

خُلقْنَ كأمْثالِ النِّسَـاءِ فكَـمْ تَـرَى ... جَمَالاً لَهُ ضـد القلـي، والتجنُّـبِ

وَمنْ مَنْظَـرٍ شَـيْنٍ وعنْـدَ مرابـه ... يُسيغُكَ في اللذات أعـذَبَ مَشْـرَبِ

ولَوْ أنَّـي أسْـتطيعُ فَـضَّ خِتامِهـا ... لحاكَ منْهَـا كُـلُّ عَنْقَـاءِ مُغْـرِبِ

قيل كان عند الحَجَّاج منجم، فأخذ الحَجَّاج حصيات بيده، قد عرف عددها، فقال للمنجم كم بيدي؟ فحسب فأصاب، ثم اعتقله الحَجَّاج، فأخذ حصيات لا يعرف عـددها، وقـا للمنجم، كم بيدي فحسب فأخطأ.

تم حسب فأخطأ، فقال: أيُّها الأمير أظنك لا تعرف عددها في يدك، قال لَهُ: الحَجَّاج، فمـ الفرق بينهما؟ قال إن ذاك أحصيته فخرج عن حد الغيب، وإنَّ هذا لا تعرف عدده فصـا غيباً، ولا يعلم الغيب إلا الله (ﷺ). [البسيط]

لاَ تـأْمَنَنَّ إلى هَـذَا الزَّمَـانِ ولاَ ... أبْنَائِـهِ أبَـداً واسْـتَعْمِلِ الحَـذَرَا

فَإنْ أبَيْـتَ فَجَـرِّبْ مَـنْ تُفَضِّلُـهُ ... حَتَّى يَقُولَ لكَ التَّجْرِيبُ كيـفَ تَـرا

قال ميمون بن مهران: كنت عند عمر بن عبد العزيز، فقال لآذنه انظر من بالبـاب، فقـا رجل قد أناخ قبيل رحل، قال سلْه من أين هو؟ قال ابن بلال مؤذن رسول الله (ﷺ) قـا أئذن له، فلما دخل قام عمر، وأخذ بيده، وأجلسه معه، وقال حدثني ما سمعته من أبيك وسمـ أبوك من النبي ﷺ، قال حدثني أبي قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**من ولي شيئاً مـ**

للعجلوني ١٤٧/٢، ٥٧٦، تنزيه الشريعة لابن عراق ١٢٤/٢، ٢٥٦.

(١) لم يرد الحديث في الكتب المعتمدة.

أمور الدُّنْيا للمسلمين، ثم حجب عنهم حجب الله (ﷺ) عنه يوم القيامة»[(١)].

فما رأى على بابه حاجب، حتَّى مات.

في القيام للزائر قال أنس: استأذن علي ﷺ على النبي (ﷺ) فلما دخل عليه قـام فـاعتنق ودخل يمسح وجهه بوجهه (ﷺ) وقال المنصور حدثني أبي قال ابن علي عن أبيه علي بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن العباس قال كنت أنا، وأبي العباس بن عبد المطلب [١١٢] جالسـين عند النبي (ﷺ) إذ دخل عليُّ بن أبي طالب ﷺ فسلم فرد عليه رسول الله (ﷺ) واستبشر به وقام إليه واعتنقه، وقبَّل بين عينيه، وأجلسه عن يمينه، فقال العباس: يا رسول الله أتحب هذا؟، فقال رسول الله (ﷺ): **«يا عم رسول الله، والله الله أشد حباً لَهُ مني، إن الله (ﷺ) جعـل ذرية كل نبي من صلبه، وجعل ذريتي من صلب هذا»**[(٢)].

قالت عائشة أم المؤمنين (ﷺ) ما رأيت أحداً أشبه كلاماً وحديثاً لرسول الله مـن فاطمـة، عليها السلام، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها، ورحب بها، وأخذ بيدها، فأجلسـها في مجلسه، وكان هو إذا دخل إليها قامت إليه فقبلته، وأخذت بيده فأجلسته، ورُوي عن النبي (ﷺ) أنه قال لما قدم عليه جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة، قام إليه النبي (ﷺ) وقبل بين عينيه. وقال أبو سعيد الخدري لما نزل أهل قُريظة، على حكم سعد بن معاذ أرسل النبي (ﷺ) **«قوموا إلى سيدكم»**[(٣)].

يعني الأنصار. وعن أبي أمامة قال رسول الله (ﷺ): **«يقوم الرجل لأخيه عن مقعده، إلا بني هاشم فإنهم لا تقوم لأحد»**[(٤)].

وقال أبو هريرة: كان النبي (ﷺ) إذا دخل منزله قمنا إليه، حتَّى يدخل. قال أبو هشام محمـد بن يزيد الرفاعي القاضي، قام وكيع بن الجراح، لسفيان الثوري فأنكر عليه قيامه له، فقـال وكيع أتستنكر علي قيامي لك، وأنت حدثتني عن عمرو بن دينار عن أنس بن مالك، قـال: قال رسول الله (ﷺ): **«إن من إجلال الله (ﷺ) إجلال ذي الشيبة المسلم»**[(٥)].

---

(١) ورد الحديث في المعجم الكبير للطبراني ٤٤٠/١٢.

(٢) لم يرد الحديث بهذه الصيغة في الكتب المعتمده.

(٣) ورد الحديث بعده صيغ متقاربة: مسند أحمد بن حنبل ٢٢/٣، ٧١، ش ٤٢٥/١٤، دلائل النبوة لسهقي ١٨/٤، فتح الباري لابن حجر ١٢٣/٧.

(٤) ورد الحديث في المعجم الكبير للطبراني ٢٨٩/٨، كنز العمال للمتقي الهندي ٣٣٩١٥.

(٥) ورد الحديث إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة/ لـ ٤٨٤٢، السنن الكبرى للبيهقي ١٦٣/٨ شرح السنة للبغـوي ٤٢/١٣، مشكاة المصابيح للتبريزي ٤٩٧٢، كنز العمال للمتقي الهندي ٤٣٢٧٤، إتحاف السادة المتقين للزبيدي ٣٠٩/٨،

فأخذ سفيان بيد وكيع فأجلسه إلى جنبه، قال الأعشى[1]: [الخفيف]

أَرْيَحِيٌّ صَلْتٌ يُظِلُّ لَــهُ النَّـا   س قِيامَـــاً قِيَـــامَهُمْ لِلْهِـــلاَلِ

وأخذ منه الفرزدق لما قال لسعيد بن العاص[2]:

ترى الغُرَّ الجحاجح من قريش   إذا ما الأمر بالحدثان عالا[١١٣]

قيامـاً ينظُرونَ إلى سَعيد   كأنَّهم يَرَوْنَ به الهلالا

فقال لَهُ مروان: لم ترض أنْ جلسنا قعوداً ننظر إليه، حَتَّى أقمتنا، قال: وأنك يا أبا عبد الملك منهم وقال ابن الجارود: [الكامل]

مَازِلْتَ تُحسِنُ، ثم تُحسِنُ عَائِـدَاً   فَـأَعُودُ شَـاكِرَ نعمـةٍ فتعـوُدُ

فَتَزِيـدُني نِعَمـاً فَأَشْكُرُ جَاهِـدَاً   فكـذاكَ نَحْـنُ تزيـدُني، وأزيـدُ

وتقـومُ لي كَرَمـاً إذا أَبْصَرْتَني   مُتَلَقِياً، والأميـونُ قُعُـودُ

حضر جماعة من الكبار، وأهل الفضل، بباب ثعلب النحوي، فلما خرج إليهم، قاموا، فأنكر ذلك، فلما جلس أنشدهم: [المتقارب]

فَلَمَّـا بَصُـرنا بِــه مُقْـبِلاً   حَلَلْنـا الحُبـا وابْتَـدَرْنا قِيَامَـا

فَـلاَ تُنكِـرونَ قِيَـامي لَــهُ   فَـإِنَّ الكَـريمَ يُجِلُّ الكِرَامَـا

آخر: [الوافر]

أَتَعْجَـبُ أَنْ أَقُـومَ إذا بَـدَا لي   لأكرمَـهُ، وأعظمـهُ هشَـامِ

فَـلاَ تَعجَـبْ لإسْـرَاعي إِلَيْـهِ   فَـإنَّ لِمِثْلِـهِ حَـقُّ القِيَـامِ

وللبحتري في عبيد الله بن يحيى[3]: [الكامل]

وَمُبَجَّلٍ وَسْطَ الرِّجالِ حُقُوقُهم   لِقِيامِـهِ وَقِيَامُهم لِقُعُـودِهِ

فَـاللهُ يكلَـؤُهُ لنـا ويحُوطُـهُ   ويُعِـزُّهُ ويزيـدُ فِي تَأْيِيـدِهِ

الترعيب ، والترهيب للمنذري ١ /١١٣، حج ٢/٢٤١/ ٢٤٦، ٢٤٧، تفسير ابن كثير ٤٨٥/٧، تلخيص الحبير لابن حجر ١١٨/٢، تنزيه الشريعة لابن عراق ٢٠٦/١، ٢٠٧، اللآلئ المصنوعة للسيوطي ٧٨/١، مجروحين ٩/٣، ميزان الاعتدال ٥٠٢٥، لسان الميزان لابن حجر ٤/٤، ٦، ١١٤.

(١) ديوان الأعشى، ص٤٥، البيت ٤٤.

(٢) ديوان الفرزدق، ص٣٦٦.

(٣) ديوان البحتري ٢١٥/٤.

وللبحتري أيضاً[(١)]: [الكامل]

نَفْسي فداؤكَ من عَميدِ رَعِيَّةٍ ... نَجَحَتْ نُجومُ العدلِ في أيامِهِ

مَلِكٌ تقومُ لَهُ الملوكُ إذا بَدَا ... وتَخِرُّ للأذقانِ عِنْدَ قيامِهِ

قال أبو أمامة خرج علينا رسول الله (ﷺ) وهو مُتَوَكِّئٌ على عصا، فقاموا إليه، فقال: **«لا تفعلوا، كما يفعل أهل فارس بعظمائهم»**[(٢)].

وقال عُبَادَة بن الصامت: خرج علينا رسول الله (ﷺ) فقال أبو بكر: قوموا نستغيث برسول الله من هذا المنافق، فقال رسول الله (ﷺ): **«لا يقام إلى أحد، إنما يقام لله (ﷻ)»**[(٣)].

روى معاوية قال: قال رسول الله (ﷺ) **«مَنْ أحب أنْ يستحكم بخادم قياماً وجبت لَهُ النار»**[(٤)][١١٤].

وقال عبد الله بن الزبير، قال: قال رسول الله (ﷺ):**«مَن أحب أنْ تَمْتَثِلَ لَهُ الرجال قياماً وليتبوأ مقعده من النار»**[(٥)].

قال أنس: ما كان أحب شخص إلينا من رسول الله (ﷺ) وكانوا إذا رأوه لا يقومون له، لما يعلمون من كراهيته لذلك (ﷺ)[(٦)].

اعتنق رسول الله (ﷺ) جعفراً، وأصحابه لما قدموا من الحبشة. وقبله بين عينيه. قال العباس بن أبي الفرج الرياشي، أول من عانق إبراهيم، خليل الرحمن (ﷺ) وذكر عن تميم الداري، أنه سأل رسول الله (ﷺ) عن معانقة الرجل للرجل إذا لقيهُ فقال. كانت تحية الأمم، وخالص وُدهم أنْ أول عانق إبراهيم، وقبل ذلك، كان السجود، هذا لهذا، ثم جاء الله بالصفاح مع الاسلام، لم يسجد، ولم يعانق، ولا تفرق الأصابع، حتَّى يغفر الله لكل مصافح، ولما قدم عمر الشام، تلقاه أبو عبيدة بن الجراح، (ﷺ) على حمار مخطوم بحبل من ليف، فنزل أبو عبيدة ونزل عمر، فقال عمر مرحباً برجل لم تضره الدُّنْيَا واعتنقه وجلسا يتباكيان، لابن أبي فنن[(٧)]:

---

(١) ديوان البحتري ٤/٢٦٢.

(٢) ورد الحديث في كنز العمال للمقي الهدى ٢٥٤٧٥.

(٣) ورد الحديث: لا يقام لي إنما يقام لله: مسند أحمد بن حنبل ٥/٣١٧؛ مجمع الزوائد للهيثمي ٨/٤٠، كنز العمال للمتقي الهدي ٢٥٤٧٧.

(٤) لم يرد الحديث في الكتب المعتمدة.

(٥) ورد الحديث في الكتب المعتمدة.

(٦) لم يرد الحديث في الكتب المعتمدة بهذه الصيغة

(٧) ديوان ابن أبي فنن، ص١٦، ضمن سلسلة شعراء عباسيون، مع اختلاف الرواية، ولم يرد إلا البيتين الأوليين.

[المتقارب]

خَلَـوْتُ فَعانَقْتَهـا لَيْلَـةً ... عَلَى مِثْلِـها يَحْسُدُ الحاسِدُ

كأنّا وَثَوبُ الدجى مُسْبَلٌ ... عَلَيْنا لمبصرنا وَاحِدُ

وَكَفِّي يَجُولُ عَلَى خَصْرِهَا ... وَخَدِّي عَلَى خدها رَاكِدُ

فَإِنْ هِيَ عَادَتْ إلى وَصْلِهَا ... فكنْ ضامناً أنني عَائِدُ

لابن أبي مُرَّة المكي: [الخفيف]

وليسَ عندي شَحَطُ النوى بَعظيمٍ ... فيه هَمِّي وفيه كَشْفُ هُمُومِي

مَنْ يَكُنْ يَكْرهُ الفراقَ فَإنّي ... أشتهيه لموضِعِ التَّسْلِيمِ

إنَّ فيه اعْتِنَاقَةً لِوَدَاعٍ ... وانتظارُ اعْتِنَاقَةٍ لقُدُومِ

وَلَكم قَبْلةٌ وَغُرَّتُه شَهْرٍ ... هُوَ خيرٌ مِنِ امْتِنَاعٍ مُقيمِ

للحسين بن الضحاك[1]: [المنسرح]

وَاحَهْني إذ بَدَا بُلوغُه لاَ ... وعاد مِن بَعدها إلى نَعَمِ [١١٥]

أَباحَني صَوْتَهُ ووسَّدَني ... إحْدَى يَدَيْهِ وَبَاتَ مُلْتَزِمِي

فَبِتُّ في لَيْلَةٍ نَعِمْتُ بها ... أَلْثُمُ دُرّاً مُفَلَّجاً بِفَمِ

في تقبيل اليد

أسامة بن شريك، قال: قمنا إلى رسول الله فقبلنا يده، وقال عمر: قبلنا يد رسول الله (ﷺ) وقال ابن عباس: صنع رسول الله (ﷺ) معروفاً إلى رجل فقبل يد رسول الله (ﷺ) خمس مرات.

وقال بريدة إن أعرابياً قال يا رسول الله إئذن لي فأقبل رأسك، ويدك فأذن لَهُ ففعل، وقال صفوان بن عسال: إن قوماً من اليهود، قبلوا يد النبي (ﷺ) وكعب بن مالك لما نزلت توبته، وقال أبو شوذب لما قدم أبو مسلم البصرة، قال: قد لقي أبو عبيدة وعمر بن الخطاب، فقبل يديه، فقيل أتشبهُ أبا مسلم بعمر بن الخطاب، فقال أتشبهوني أنا بأبي عبيدة.

وصلى زيد بن ثابت على أمه، ثم قدمت إليه دابته فأخذ ابن عباس بركابه، فقال زيد بدعة، فقال: هكذا أمرنا أَنْ نفعل بعلمائنا، فقال لَهُ زيد: أخرج يدك، فأخرجها ابن عباس فقبلها

(١) ديوان الحسين بن الضحاك ص٤٧ .

زيد وقال هكذا أمرنا أنْ نفعل بأهل بيت نبينا (ﷺ). وقال سليم بن عبد الحميد، رأيت يزيد بن المهلب، قبل يد الحسن، وأخذ لَهُ بالركاب وسوى لَهُ ثوبه،

قال سليم فذكرت ذلك لسوار بن عبد الله، فقال: تلك فضيلة ليزيد بن المهلب، ولما قدم المهلب بن أبي صفرة خراسان. جاءته عجوز من الأزد مُتوكئةً على عصا، فقالت: السلام عليك يا أبا سعيد إني نذرت إنْ رأيتك أنْ أقبل يدك، وأن تهب لي جارية، فناولها يده فقبلتها، ثم أمر لها بجارية، وقال يا عمة: إياك ومثل هذه النذر، فليس في كل حين تجدين من يبر نذرك.

وقال أبو بكر بن خلاد: رأيت الفضيل بن عياض، قبل يد حسين بن الجعفي يحيى، وقال: إن لَهُ حقاً علي علمني القرآن. وقيل: إنَّهُ دخل رجل من أهل الكوفة على بعض خلفاء بني أمية، فقال: يا أمير المؤمنين: يدك أحق بالتقبيل لعلوها في المكارم وطهورها من المآثم، فأنت تمني بقلة التثريب، وتؤثر الصفح عن الذنوب، فمن أرادك بأمر، رده بسوء فجعله الله حصيد سيفك وطريد خوفك. لابن الرومي في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر[1]: [١١٦]. [الطويل]

مُقَبَّلُ ظَهْرِ الكَــفِّ وهــابٌ بَطْنُهــا ... لَــهُ رَاحَــةٌ فيْهــا الحطــيمُ وَزَمْــزَمُ

فَظَاهِرُهــا للنَّــاسِ رُكْــنٌ مُقَبَّــلٌ ... وباطنُها عــيْنٌ مــن العــرقِ غَــيْلَمُ

لإبراهيم بن العباس الصولي في الفضل بن سهل:

لِفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يدٌ تقاصَرَ عَنْهَا المُثــلُ ... مُنْبَسطُها للغنَى وَسَــطْوتُها .للأجَــلِ

وَبَاطِنُها للندى وظَاهِرُها لِلْقُبل

ومنه أخذ ابن الرومي قوله[2]: [الكامل]

أصبحتُ بَــيْنَ خَصَاصَــةٍ، وَتجمُّــلِ ... والمــرءُ بينَهُمَــا يَمُــوتُ هَــزيلاً

فامْــدُدْ إليَّ يــداً تَعَــوَّدَ بطنُهــا ... بَــذْلَ النــوالِ وَظَهْرُهَــا التَّقْبِــيلا

وحكي أنه دخل عقال بن شبة على هشام بن عبد الملك، فأراد أنْ يقبل يده فمنعه، وقال: لا تفعل، فإنه لا يفعل هكذا من العرب إلا الهلوع، ومن العجم إلا الخنوع، وقال العتبي: استأذن رجل مروان الجعدي في تقبيل يده فأبى وقال إنها من العرب ذلة، ومن العجم خدعة، ولا حاجة لي أنْ تذل لي، أو تخدعني.

وقيل: إنَّهُ دخل عمران بن إبراهيم بن عبد الله بن مطيع العدوي، على أبي العباس في أول

---

(١) ديوان ابن الرومي ١١٥/٤.
(٢) ديوان ابن الرومي ١١٣/٣.

وفد، وفَدَ من المدينة، فأُمروا بتقبيل يده فتبادروها وعمران واقف، ثم حياه بالخلافة، وذكــر حَيَّهُ ونَسبهُ، ثم قال: يا أمير المؤمنين: إنها، والله لو كانت تزيدك رفعةً، وتزيدني من الوســيلة إليك ما سبقني بها أحد، وإنك وإني لغني عما لا أجر فيه، وعلينا فيه منعه، ثم جلس فوا الله ما نقص من حظ أصحابه في كراهية التقبيل: وقد كره مالك تقبيل اليدين، حَتَّى تقبيل العبد يد مولاه.

وقال سفيان بن عيينة رأيت أبا مسلم في حجته سنة إثنين وثلاثين ومائة، وقد قامت إليه امرأة فقالت: يا أمين آل محمد، إني أنذرت إنْ رأيتك أنْ أقبل يدك، فقال قبلي الحجر، فإنك تقضين نذراً تصيبين أجراً. وصاح به رجل يا قاتل الجائرين: فقال له: من هذا إنما ذلك الله، ثم تحفل في الحرم فتحفا النَّاس، فقبل لَهُ في ذلك، فقال: إني سمعت الله سبحانه يقــول لموســى ﷺ: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ﴾ [طه:١٢].

وهذا الوادي أكرم من ذلك الوادي:

في تقبيل الرأس

قال أبو رجاء العطاردي: دخلت المدينة في خلافة أبي بكر (ﷺ) فرأيت رجــلاً يقبــل رأس رجل، فسألت عنهما، فقيل: عمر يقبل رأس أبي بكر، ويصوِّبه في قتال [١١٧] أهل الــردة، وقد قَبَّل النبي (ﷺ) بين عيني جعفر بن أبي طالب لما قدم من الحبشة، وبــين عــيني العبــاس (ﷺ) وكان النبي عليه الصلاة، والتسليم لا ينام، حَتَّى يقبل عرض وجه فاطمة عليها السلام؛ ودخل أبو بكر الصديق على عائشة، وهي مضطجعة محمومة، فأكب عليها فقبــل خــدها. وقال: كيف تجدينك يا بنية. وقبل ﷺ الحسن بن علي، والأقرع بن حابس التميمي جالس. فقال إن لي عشرة من الولد ما قبلت أحداً منهم قط، فنظر إليه رسول الله (ﷺ) ثم قال: «**من لا يَرحمْ لا يُرحمْ**»(١).

وقبل عبد الله بن عمر سالماً، وهو شيخ، ويقول: شيخ يقبل شيخاً، قيل: لا تجــالس عــدوك فيحفظ عليك عيوبك، ويمار بك في صوابك ولبعضهم: [الكامل]

شَــرُّ العَــداوةِ مَــا أرتُــكَ مَحَبــةً ... وطَوَتْ عَلــى البَغْضــاءِ، والشــنآنِ

يأتيــكَ صَــاحِبُها لــيحفظَ زَلَّــةً ... وتَــراهُ زاد زيــادةَ الإخــوانِ

سمع أعْرَابيٌّ رجلاً ينادي على جارية لَهُ يريد بيعها: [الطويل]

(١) ورد الحديث في معظم كتب الحديث المعتمدة: صحيح البخاري ٩/٨، ١٢، مسند أحمد بن حنبل ٢٤١/٢.

هيَ الجمرُ حَرًّا إنْ أردْتَ حرارةً ... وأضيَقُ من سُمِّ الخِياطِ مضيقُها
وأَيْبَسُ من صُمِّ الجنادلِ مَهْبلاً ... وأَلْيَنُ من خزِّ العراق قليقُها
وأَظْهرُ منْ يمشي على الأرض غلمةً ... وأعذبُهم ريقاً إذا مُصَّ ريقُها

وقال بعض الأدباء الغربةُ ذِلَّة، فإن أردفتها قلة، وأعقبتها علّة، فهي نفس مضمحلة وقال آخر لا تنهض عن وكرك، فتنقصُكَ الغربة، وتضنيك الوحدة، ويقال إن الخالي عن مسقط رأسه كالعير الناشر عن موضعه الذي هو لكلّ سبع فريسة، ولكل كلب قنيصة، ولكل رام رمية لبعضهم: [الطويل]

وإنَّ اغترابَ المرءِ مِنْ غيرِ خُلَّةٍ ... ولا همةٍ تَسْمو لها لعجيبُ
وحَسْبُ الفتى ذُلاً وإنْ أَدركَ الغنى ... ونالَ ثَراءً أنْ يُقالَ غريبُ

قيل للعباس ابن عم النبي (ﷺ): أنت أكبر، أو رسول الله (ﷺ) فقال هو أكبر مني، وأنا ولدتُ قبله، وقال الحجّاج للمهلب أنا أطول منك أم أنت؟، فقال المهلب الأمير أطول مني، وأنا أبسط قامة. وقيل إنه وقف المهدي على امرأة من بني ثُعَل، فقال لها: ممن العجوز؟ قالت من طيِّ، قال ما منع طيّا، أنْ يكون فيها آخر مثل حاتم، قالت: الذي منع العرب [١١٨] أن يكون فيها مثلك، فأعجب بقولها، ووصلها. وقدم قوم من العراق على عمر بن عبد العزيز، فنظر فيهم إلى شاب يريد الكلام، فقال لَهُ عمر: الكبر الكبر تعني دع يتكلم أولو الأسنان، فقال الفتى: يا أمير المؤمنين، ليس الأمر بالسن، ولو كان كذلك تولى هذا الأمر من هو أسن منك، قال له: صدقت، تكلم بارك الله فيك.

فقال: إنّا وفد العراق، لم نأتك لرغبة، ولا رهبة، لأن الرغبة قد أحضيت من بلادنا، وحصلت لنا بفضلك، والرهبة، فقد أمناها بعد لك. قال: فما أنتم؟ قال: وفد الشكر، فقال: عمر لله أنت، فما أحسن منطقك، وأنشد عمر رحمة الله عليه: [الطويل]

تعلَّمْ فَلَيْسَ المرءُ يُولَدُ عالماً ... وَلَيْسَ أخا علْمٍ كَمَنْ هُو جاهلُ
وإنَّ كبيرَ القومِ لا علْمَ عنْدَهُ ... صَغيرٌ إذَا الْتَفَّتْ عَلَيْهِ المَحَافلُ

روي أنَّ مصعب بن الزبير أخذ رجلاً من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه، فقال أيُّها الأمير: ما أقبح بك أنْ أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة فأتعلق بأطرافك، وأقول يا رب سل مصعباً فيم قتلني؟ فقال: أطلقوه، فقال: أيُّها الأمير اجعل ما وهبت لي من عمري في حفظ، فقال أعطوه مائة ألف درهم، قال بأبي أنت، وأمي، أشهدك أنْ لابن قيس الرقيات

نصفها لقوله فيك[1]: [الخفيف]

إنَّما مُصْعبٌ شهابٌ من اللهِ تجلّتْ عن وَجْهِهِ الظّلْماءُ
مُلكُهُ مُلْكُ رأفةٍ ليس فيه جبروتٌ يُخْشى، ولا كبرياءُ
يتَّقي اللهَ في الأُمورِ، وقد أفلَحَ مَنْ كانَ شأنُهُ الاتقاءُ

فضحك مصعبٌ وقال: تلطفت، وإنَّ فيك لموضعاً للصنيعة، وأمر لَهُ بمائة ألف درهم أخرى، ولابن قيس الرقيات بخمسين ألفاً، دخل رجل على خالد بن عبد الله القَسْري، في دية، فقال خالد: يا غلام هات ألف دينار، فأحضرت في كيس، فقال بعض جلساء خالد، فو الله ما رأى حاتم مثلها، فقال الرجل، حاتم، والله أكرم من أنْ يجتمع عنده مثلها، قال ابن المقفع: وجدت المودة بين الكرام، بمنزله آنية الذهب، بطيء الانكسار، بطيء الانجبار. سُئل أفلاطون عن الأصدقاء، فقال: نفس واحدة في أجساد مفترقة. قال [١١٩] الإسكندر لأصحابه: أيما أفضل، العدل، أو الشجاعة؟ فقالوا: إذا استعمل العدل، استغني عن الشجاعة، دخل على الإسكندر بطارقته فقالوا: أيُّها الملك قد بسط الله ملكك، فأكثرْ من النساء، ليكثر ولدك، قال لا يحسن بمن يغلب الرجال أنْ تغلبه النساء، حكى الزبيريون أنَّ امرأة عرضت لكثير عزة فقالت: أنت القائل[2]: [الطويل]

فَمَا روضةٌ بالحَزْنِ طيّبةُ الثّرى تَمُجُّ النّدى جثجاثُها[3] وعرارُها
ما حَسَنٌ وَجْهاً أو مَا عَذْبُ ريقةٍ لِعَزَّةَ لَمَّا أُتحِفتْ بمرارِها

لبعضهم: [الرمل]

صاحِ إنَّ الدَّهْرَ لا تَعْرِفُهُ فَخُذِ الصفْوَ وَدَعْ عَنْكَ الكدر
كمْ خُطوبٍ قدْ تَصَوَّبْتَ لَهَا وَهْيَ مثلُ الثمارِ ترمي بالشررِ
خذلَ الإخوانُ فيها كلّهمُ وأعانَ اللهُ فيها ونَصَر

يروى أنْ علياً ﷺ، دخل على أبي بكر الصديق (ﷺ) بعد البيعة، فقال لَهُ أبو بكر: والله يا أبا الحسن، إن عصابة أنت فيها لمعصومة، وأمة أنت فيها لمرحومة، وإنا لنخافُ اللهَ إذا غضبت، ونرجوه إذا رضيت، ولقد حطَّ اللهُ عن كاهلك، ما أثقل به ظهري، ولولا أني

(١) ديوان عبد الله بن قيس الرقيات، ص٩٣.
(٢) ديوان كثير، ص١٣٦ .
(٣) الجثجاث: الدعاء للإبل للشرب، اللسان: (جأجأ).

جذبت لهذا الأمر، لما أجبت إليه، وإنا إليك لمحتاجون، وبفضلك عالمون، وعلى الله في أحوالنا متوكلون.

في ذكر المعاريض: ساوم رجلٌ رجلاً في ناقة له، فقال له: كيف لبنها؟ قال احلب في أيِّ إناء شئت، قال: وكيف سيرها؟ قال إذا رأيتها في الإبل عرفتها من غيرها، قال: كيف ظهرها؟ قال افرش ونم، فقال فكيف حملها؟ قال: علي أحمل الحائط ما شئت. فاشتراها، فلم يجد شيئاً من ذلك. فاستقاله فأقاله.

وسئل ابن شبرمة عن رجل، فقال له: بيت وقدم وشرف. يعني بيتاً يسكنُه، وقدماً يمشي عليه. وشرفه أدناه ومتكاه، لبعض الشعراء: [الطويل]

وَمَـا الحُلـي إلا زينـةٌ لنقيصَـة ... يتممُ حُسْناً حَيْثُ مـا الحسـنُ قَصَّـرا

فأمـا إذا كـانَ الجمـالُ مُـوَفَّراً ... لِحُسـنكَ لَـمْ يَحْـتَجْ إلى أنْ يُـزَوَّرَا

يروى أنه لما جاء إلى المهدي بالولاية، وهو جالس بين أصحابه سجدوا شكراً لله تعالى سبحانه، ما خلا عمارة بن حمزة بن ميمون: فقال لَهُ المهدي: ما بالك لا تسجد؟، فقال عمارة مقام شكر، وهو علي إن كنت معنا فطرت، وتركتنا، فقال فإن طرنا بك معنا، قال الآن طاب السجود وسجد.

قال المنصور لعمرو بن عبيد[1] قد [١٢٠] كثر ببابنا من يُمت بالنصيحة، ويسأل الاستخدام، فمال يا أمير المؤمنين إبتلهم بالهوان، والحرمان، فمن شكا الهوان دون الحرمان، فاستخدمه، من شكا الحرمان دون الهوان، فأعرض عنه، فإنّ من يكره الهوان، عزيز النفس، ومن صبر عليه فهو خسيس الهمة دنيءٌ ومثله يستخدم.

قال الرِّيَّاشي البخل قبيح من كل أحد، وهو من ثلاثة: من الشجاع لا يجود بنفسه فكيف يبخل بماله، ومن الشاعر فإنه يذّم البخل، ويعيش، ويكرم، ومن الملك فإنه لا يخاف الفقر.

سأل أبو عون الشاعر رجلاً شيئاً، فلم يعطه فألحّ عليه، فأعطاه، فلما أخذ قال: اللهم السائل، والمسؤول نسألهم إلحافا، ويعطونا كرهاً، فلا يُبارك لنا فيه، ولا يؤجرون عليه.

روي أنَّ رجلاً جاء إلى النبي (ﷺ).

فقال:يا رسول الله، تَلَّوتْ عني الدُّنْيا، وقلت ذات يدي، فقال رسول الله: «**فأين أنت عن**

---

(١) هو أحد كبار الزهاد العلماء عند المسلمين، وهو الوحيد من بين هذه الأمة من رثاه خليفة، وهو أبو جعفر المنصور، انظر أخباره في الفهرست للنديم وقصيدة أبي جعفر المنصور في رثائه.

صلاة الملائكة، وتسبيح الخلق، وبها يرزقون»[(١)].

فقلت وماذا يا رسول الله؟ فقال، قل: **«سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، استغفره مائة مرة، ما بين طلوع الفجر إلى أنْ تصلي الصبح، تأتيك الدُّنْيا راغمة صاغرة، ويخلق الله من كل كلمة ملكاً يسبح الله إلى يوم القيامة لك ثوابه»**...

لمهيار[(٢)]: [الوافر]

أخُــو وَجْهَــيْنِ تَخْبُــرُهُ وقاحــاً ... وَتُبْصِــرُ بظَــاهِرِهِ حَيِيَّــا

وهوبــاً ســالبا وأخــاً عــدُوا ... بفطْرَتِــهِ ومُنْقَــاداً أبيَّــا

فَطِنْــتُ لخلقِــهِ فزهــدْتُ فيْــهِ ... وَبَعْــضُ القَــوْمِ يَحْسَــبُنِي غَبِيَّــا

وقد روينا في (كتاب): حلية الأولياء، عن علي بن الحسين، قال: كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان، يتهدده، ويتواعده. ويحلف لَهُ ليحملن إليه مائة ألف في البرّ، ومائة ألف في البحر، أو يؤدي إليه الجزية، فسقط في درعه، فكتب إلى الحَجَّاج أنْ اكتب إلى محمد بن الحنفية، بكتاب شديد فتهدده، وتواعده، ثم أعلمني ما يرده عليك، فكتب الحَجَّاج ذلك، وشدد فيه، وتواعده بالقتل فكتب إليه ابن الحنيفة. إن لله (ﷻ) ثلاثمائة وستين لحظة إلى خلقه، وأنا أرجو أنْ ينظر الله (ﷻ) إليَّ نظرة واحدة، يمنعني بها منك، فبعث الحَجَّاج بكتابه إلى عبد الملك، فكتب عبد الملك إلى ملك الروم بنسخته، فقال ملك الروم ما هذا خرج منك، ولا أنت كتبته، ما خرج إلا من بيت نبوة.

قال علي بن الحسين [١٢١] عليهما السلام لبنيه: جالسوا أهل الدين، والمعرفة، فإن لم تقدروا عليهم فالوحدة أنس، فإن أبيتم إلا مجالسة النَّاس، فجالسوا أهل المروءات فأنهم لا يرفثون في مجالسهم. قال الصولي عشق المأمون جارية لامرأته، أم عيسى بنت موسى الهادي، فبلغها ذلك فغضبت عليه، ثم إنَّهما التقيا على غير موعد ورضى، فقال المأمون: [الوافر]

زَمَــانُ اللَّهْــوِ يَقْصُــرُ عَــنْ تجَــنٍ ... وأعــراضٍ تجــرُّ إلى صُــدودِ

ذَري عَتْــكِ الــذنوبَ إذا التقينــا ... تعــالَي لاَ أعــودُ، ولا تُعُــودي

قال علي بن الجهم، سألني أمير المؤمنين المأمون حاجة، وأراد بذلك فرحي فَسَرَّتْ علي فوقع

---

(١) لم يرد الحديث بهذه الصيغة في الكتب المعتمدة.

(٢) ديوان مهيار، ١٩٥/٤.

إلى(١): [السريع]

تعجيلُ جُودِ المرءِ وإكرامه ... يَنْشُرُ عنهُ طيبَ الذِّكْرِ
والحُرُّ لا يَمْطُلُ مَعْرُوفَهُ ... ولا يليقُ المطلُ بالحُرِ

قال محمد بن العباس الهاشمي: رأيت دعبل بن علي الشاعر واقفاً عند خشبة بابك الخرمي على برذون أشهب، يتأمل النَّاس في اليوم الذي مات فيه المعتصم، وجلس الواثق، فقلت، لَـهُ، ويحك، هذا موقف مثلك، امض إلى منزلك لا يصيبك هنّه، فتأتي عليك، فقال: ويحك يا هاشمي، أرأيت أعجب مما نحن فيه، ثم أنشأ يقول: رافعاً صوته(٢): [البسيط]

خليفةٌ ماتَ لَـمْ يَحـزَنْ لَـهُ أحدُ ... وآخرُ قامَ لَمْ يَفْرَحْ بهِ أَحَدُ
قَدْ مَرَّ ذاكَ وَمَرَّ الشُّؤْمُ يتبَعهُ ... وقامَ هذا فقامَ الشُّؤْمُ، والنَّكَدُ

قيل لأعرابي أي الروائح أطيب؟ قال بدن تحبه، وولد تربِّه، أنشد المبرد لمحمد بن زياد الحارثي: [الطويل]

تَخالُهُمُ صُمّاً عن الجهلِ، والخَنا ... وَخُرْساً عَنِ الفَحْشاءِ عِنْدَ التَّهاجُرِ
وَمَرْضَى إذَا لاَقَوْا حُيَّاً وَعِفَّةً ... وعندَ الحفاظِ كالليُوثِ الخَوادِرِ
لَهُمْ ذُلُّ إنصَافٍ وأنسٌ تَواضُعٍ ... بهم ولهم ذَلَّتْ رقابُ المَعَاشِرِ
كأنَّ بهِمْ وضماً يخافونَ عارَهُ ... وَمَا وَصْمُهُمْ إلا اتقاءُ المَعَائِرِ

قال العتبي يُقال إنَّ الرجل إذا مرض، ثم عوفي: و لم يحدث خيراً، ولم يكف عن شر. لقيت الملائكة، بعضهم بعضاً، فقالوا: فلان داويناه، فلم ينفعه الدواء، قال: حكي أنَّ أبا حنيفة قال لجعفر الصادق (ﷺ): لِمَ حرم الله سبحانه الخمر؟ قال: [١٢٢] لأنه ما يشربها أحد قط إلا استشعر الظلم، قال: فلم حرم الله الزنا؟ قال: لأنه ما زنا أحد قط، إلا سُلب الحياء، قال: فلم حرم الله أكل الميتة؟ قال: لأنه ما أكلها أحد قط إلا قسا قلبه، قال: فلم حرم الله الدم؟ قال: لأنه يورث الجذام.

قال: فلم حرم الله تعالى لحم الخنزير؟ قال: لأنه يورث البرص، قال: فلم حرم الله الربا؟ قال: لئلا يتدافع النَّاس المعروف. قال محمد بن مسعر كنت جالساً مع حمّاد بن زيد، فمر بنا عمرو

(١) ديوان علي بن الجهم.
(٢) ديوان دعبل، ص١١٥.

بن بانة المغني، فقلت له: قل لنا شيئاً فرفع صوته وغنى: [الخفيف]

مَا جَرَتْ خَطْرَةٌ عَلَى القلبِ مِنْ ... إلاّ اسْتَتَرَتْ مِنْ أصْحَابِي

مِنْ دُمُوعٍ تَجْرِي فإنْ كُنْتُ وَحْدِي ... خالياً اسْتَعَدْتُ دَمْعِي انْتِحَابِي

فبكى حمّاد، وقال هذا شوق مخلوق آدمي إلى آدمي مثله فكيف الشوق إلى الحور العين، وما وصفهن الله به. كان الحسن يقول: لا تحمل على هم يومك هم غدك. فحسب كل يوم همّه.

قال كسرى أنوشروان: إنه لا يَصلح الملك إلا لرجل صدوق، شجاع، حليم، جواد، لأن الملك إذا كان كذوباً لم يطمع فيه وليه. إذا أطعمه، و لم يغدوه، إذا أخافه، وإذا كان جباناً لم يدفع عن بيضة ملكه، وإذا لم يكن حليماً استنفره الشيء اليسير، ثم يذمُ عليه، وإذا كان شحيحاً لم يكن مناصحاً.

قال أبو مسلم صاحب الدولة إذا طلب المذنب العفو، وضمن التوبة، فمعاقبة في عقوبة ألأم منه في معصيته.

حكي عن أمير المؤمنين علي ﷺ أنه قال: في الطيب ثلاث خصال، علمها من علمها، وجهلها من جهلها، ما مسّ رجلٌ طيباً إلا زاد في عقله، ولا حضر مجلساً إلا ورفع لَهُ عن صدره، وسمعوا قوله، ولا مر في طريق إلا قال النّاس من مرّ في الطريق. يُروى عن رسول الله (ﷺ). خرج يوماً على أصحابه، وقد أعلنوا بمفاخرهم في الجاهلية، فقال لعلي ﷺ: **«قم فاذكر مفخرك في الإسلام»**[1].

فقام، فقال شعراً[2]: [الوافر]

مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ أَخِي وَصِهْرِيْ ... وَحَمْزَةُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عَمِّي

وَجَعْفَرُ الَّذِي يُضْحِي ويمسي ... يَطِيرُ مَعَ المَلائِكَةِ ابْنُ أُمِّي

وَبِنْتُ مُحَمَّدٍ سَكَنِي وعِرْسِي ... مَنُوطٌ لحمُهَا بِدَمِي وَلَحْمِي

وَسِبْطَا أَحْمَدَ ابنَايَ مِنْهَا ... فَمَنْ هَذَا لَهُ سَهْمٌ كَسَهْمِي [١٢٣]

سَبَقْتُكُمْ إِلَى الإِسْلامِ طُرّاً ... غُلامَاً مَا بَلَغْتُ أَوَانَ حِلْمِي

قال النبي (ﷺ): **«صدقت يا أبا الحسن»**[3].

(١) لم يرد الحديث في لكتب المعتمدة بهذه الصيغة.

(٢) ديوان علي بن أبي طالب، ص١٤٦.

(٣) لم يرد الحديث في الكتب المعتمدة بهذه الصيغة.

جاء في الخبر عن النبي (ﷺ): **«من أراد أنْ يؤمنه الله من الفاقة، والفقر، فليقل: لا حـــول، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»**[(١)].

لبعضهم:

لَمْ أَنْسَ إذ قَالَــتْ غَــداةَ النَّــوَى	وَدَمْعُهَـــا مُنْحَـــدِرٌ واكِـــفُ
لأَنْتَ أَحْلَى مِـــنْ لَذِيــذِ الكَــرَى	وَمِـــنْ أَمَـــانٍ قَالَـــهُ خَـــائِفُ

قال جعفر بن محمد الصادق ﷺ: ثلاث القليل منهن كثير: الفقر منه كثير، والمــرض منــه كثير، والعداوة منها كثير.

ودَّع العتابيّ رجلاً يريد بغداد، فقال له: إنك تأتي بلداً قد اصطلح أهله على سقم الســّريرة، وزور العلانية، كلهم يعدك كله، ويمنعك أهون شيء عليه، قال الجمَّار: قالت لي امرأتي، وقد أصبحنا في يوم مطير ليس بطيِّب اليوم هلقت لها: الطلاق فسكتت عني، قال بعضهم: كان في جوارنا فتىً مس عُذره يهوى ابنة عم له، فبلغه أنّ عبداً أسوداً كان يأتيها لمرتبه فغمّه ذلك، فمرّ بباها يوماً، فقال ورفع عقيرته: [البسيط]

شَابَتْ أَعَالِي فَرْوَتِي وامْتَحَا شَـعَرِي	فِيمَا أُحَــدِّثُ عَــنْ قَمَرِيَّــةِ الــوادِي
نُبِّئْتُ أَنْ غُرابــاً بــاتَ مُحْتَضِــناً	قَمَرِيَّـــةً بَـــيْنَ أَغْصَـــانٍ، وأَعْـــوَادِي

قال فسمعت شعره فخرجت إليه تقول مجيبه له: [البسيط]

حاشا لِقَمَرية بـــالطَّلْحِ مَسْـــكَنُها	إنْ سُـــبِّيتُمْ إلى الغربـــان في الـــوَادِيْ
لاَ تَقْبَلَنَّ مِنَ الوَاشِـــي فَـــإِنَّ لَـــهُ	قَوْلاً يُفَـــرِّقُ بَـــيْنَ المَـــاءِ، والصَّـــادِيْ

قال الحسن البصري: لا يخرج العبد من الدُّنْيَا إلا بثلاث حسرات: حسرة أنه لم يدرك ما أمل، وأخرى أنه لم يشبع بما جمع، وأنه لم يحسن الزاد فيما يقدم عليه.

قال محمد بن داود الأصفهاني: الهجر على أربعة أضرب: هجر ملال، وهجر دلال، وهجـــر مكافأة على الذنوب، وهجر البغض الطبيعي المتمكن في القلب، فأما الهجر الملال فيبطله مرور الأيام، والليالي، وأما هجر الدلال فهو من كثر الوصال، وأما الهجر الذي يتولد عن الـــذنب فالتوبة تخرجه عن القلب، وأما الهجر الذي يوجبه البغض [١٢٤] الطبيعي، فهو الذي لا دواء لَهُ إلا الموت الحقيقي.

---

(١) لم يرد الحديث في الكتب المعتمدة.

قال إبراهيم بن المدبر اختصم رجلان إلى القاضي قد قدَّم أحدهما هدية، وأراد أنْ يقضي عليه بحق وجب، فدنا منه، فسارّه، وقال له: قد وجهت إلى دارك شبابيط دجليه وفراريج كسرويه وجُبنة دينورية وحنطة بلدية وشهدة رومية، فقال له: قم، وصاح عليه ما هذا تشاورني فيه، وتساررني به يا جاهل، إن كانت لك بَيِّنةٌ، انتظرناها، وأخرنا الحكم، وصيرنا لك أجلاً، فقال الخصم: [الوافر]

إِذَا مَا صُبَّ فِي القِنْدِيلِ زَيْتٌ ... تَحَوَّلَتِ القَضِيَّةُ لِلْمُقَنْدِلْ

وَعِنْدَ قُضَاتِنَا حُكْمٌ وَعِلْمٌ ... وَزَرْعٌ حِيْنَ تَرْشُوهُمْ يُسَنْبِلْ

قيل للإسكندر ما بلغ من شجاعة أصحابك؟ قال: رأيت تسألون أين العدو، ولا تسألون كم العدو. وقال بعض الحكماء: ينبغي للعاقل أنْ يظهر من نعمة الله، ما لا يُحتقر معه، ويستر منها ما يخاف أنْ يعاد بسببه.

ذكر أبو عبيدة أنه لما ولَّى أبو بكر يزيد بن أبي سفيان الشام، أوصاه بتقوى الله، ثم قال له: إنك نشأت بخير، وذُكرت بخير، وذلك الشيء خلوت به من نفسك، وقد أردت أستخرجك من قومك، وأنظر كيف خبرتك وعملك، فإن أحسنت زدتك، وإنَّ أسأت رفضتك، عليك بتقوى الله، فإنه يَرى من باطنك ما يَرى في ظاهرك، فإنَّ أطوع النَّاس لله أشدهم بغضاً لمعصيته، وإنَّ أولى النَّاس بالله أشدهم تولياً، وقد ولّيتك عمل خالد بن سعيد، فإياك وغيبة الجاهلية، فإنَّ الله أبغضها.

وأخرج النَّاس منها، فإذا أنت قدمت على أهل عملك فابدأهم بالخير وَعِدهم، وإذا وعدتهم فأنجز لهم، ولا تكثر عليهم، فإن كثير القول ينسي بعضه بعضه، وإنما لك ما وعي عنك، وأصلح نفسك يصلح النَّاس، فإن الوالي قدوة يعمل أهل عمله بعمله، وإذا قدم رسل عدوّك، فأكرم منزلتهم، وأقلل حبسهم.

حتّى يخرجوا من عندك جاهلين بعسكرك، ولا تريهم حيشك، فيروا خللك، وأنزلهم في ثروة عسكرك، وامنع من قبلك محادثَهم، وكن أنت الذي تلي كلامهم، ولا تجعل سرَّكَ مع علانيَتك، فيمزج أمرك، وإذا استشرت فاصدق الخبر تصدقك المشورة، ولا تكتم المستشار خبراً فتوتناً من قبل نفسك، وإذا [١٢٥] بلغك عن العدو عورة فاكتمها، حتّى تواتيها.

واستمر في عسكرك تأتك الأخبار، وأكثر مفاجأة حرسك بغير علمهم، فمن أغفل محرسه فعاقبه واجعلهم نوباً بالليل، والنهار، ولا تتخذ حشماً تخصهم دون غيرهم فيطعن النَّاس

عليك، ويستحلوا معصيتك، ولا تلجئَّ في عقوبة فإنَّ أدناها وجع، ولا تسرع إليها، وأنــت مكتفي بغيرها واصدق الله تعالى إذا لقيت، ولا تجبن فيجبن النَّاس، ولا تقدم في الغلول فإنــه تورث وَسْطِي[١] النصر.

قال بعض الحكماء: وجدت لذيذ العيش في ثلاث: صديق تأمن منه في صداقته ما يرصدك به في عداوته، وامرأة تسرك إذا دخلت إليها، وتحفظك إذا غبت عنها، ومملوك باقي على مـــا في نفسك من خدمتك كأنه مطلع على غيبك عالماً بإرادتك.

كان مقاتل بن سليمان يقسم أنه من دعا بهذا الدعاء لم يرد، هو أنْ يقول بعد أنْ يصلي الغداة (بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم مائة مرة، ثم يقول بعــد ذلك يا قديم يا دايم يا فرد يا وتر يا أحد يا صمد يا سند يا من إليه المستند يا من لم يلد، و لم يولد، و لم يكن لَهُ كفواً أحد صل على محمد على آل محمد).

ثم يسأل حاجته من دنياه، وأخراه إلا أجاب الله دعاءه، و لم يردّه، وكان مقاتل يقول: من دعا بهذا الدعاء، فلم يستجب لَهُ فليلعن مقاتل، قال بعض الحكماء لرجل: أعلمك بيتين خير لك من ألف درهم، فقال: وما هما فقال: [الخفيف]

اخْفِضِ الصَّــوْتَ إنْ نَطَقْــتَ بلَيْــلٍ ... والتَفِــتْ بالنَّهَــارِ قَبْــلَ لمَقَــالِ

ليسَ المَقُــولُ رَجْعَــةً حِــينَ يَبْــدُو ... بِقَبِــيحٍ يكُــونُ أو بجمـــالِ

أنشدني الشيخ أبو زكريا التبريزي اللغوي: [مخلع البسيط]

لَمَّــا رَأَيْــتُ الزَّمَــانَ نَكْسَــاً ... وَلَــيْسَ في الخِدْمَــةِ انتفـــاعُ

كُـــلُّ رَئِـــيسٍ بِـــهِ مَـــلالٌ ... وَكُـــلُّ رَأسٍ بِـــهِ صُـــدَاعُ

لَزِمْــتُ بَيْــتِي وَصُــنْتُ عِرْضَــاً ... بِـــهِ عَـــنِ الذِّلَّــةِ امتنَـــاعُ

أَشْــرَبُ مِمَّــا اقْتَنَيْــتُ رَاحَــاً ... بهَـــا إلى رَاحَــتِي شُـــعَاعُ

لِــي مِـــنْ قَوَارِيرِهَـــا نـــدَامَى ... ومِـــنْ قَرَاقِيرِهَـــا سَـــمَاعُ

وَأجْتَنِـــي مِـــنْ عُقُـــولِ قَـــوْمٍ ... قَدْ أقْفَــرَتْ مِــنْهُمُ البِقَـــاعُ [١٢٦]

دخل أعرابيٌّ على بعض ملوك الإسلام. قال: مما يُطمعني في بَقَاء النعمة عليكَ، ويزيدني بصيرةً في العلم بدوامها إليك، إنك أخذتها بحقِّها واستوجبتها بما في حقِّها منْ أسباهِا، ومـــن شـــأن الأشكال أنْ تقاوم، والأجناس أنْ تتواصل، والمشي يتغلغل إلى معدنه، ويحنُّ إلى عنصره فـــإذا

---

(١) وَسْطِي: مُعرق، اللسان: (وسط)، ، والكلمة من الأضداد.

صادق منبته ضرب بعرقه وبسق بفرعه، وتمكَّن تَمكّنَ الإقامة وثبتَ ثباتَ الطبيعة.

قال أمير المؤمنين عليّ ﷺ: لا تطيعوا النِّساء على حال، ولا تأمنوهنَّ، ولا تذروهنَّ إلا لتدبير العيال، إنْ تُركن، وما يُردْن أردنَ المهالك، وأزلْنَ الممالك، ولا دَيْن لَهُنَّ، ولا ورَعَ لهنَّ عند شهوتهنَّ، ينسينَ الخيرَ، ويحفظنَ الشرّ، يتهافتنَ بالبهتان، ويتمادينَ بالطغيان، ويتصدَّيْنَ للشيطان.

قال الإسكندر:ما نلتُ من الملك شيئاً هو أحبُّ إليَّ من أنِّي قَدَرتُ عليَّ المكافآت بالإساءَة، فلم أفعل.

خرج عمر (ﷺ) في سرية ومعه العباس عم النبي (ﷺ) فتأخر العباس فوقف عمر واستوقف الجيش، حتَّى لحقه العباس، فقال له: ما كان لَهُ أنْ يتقدمكم، فقال العباس: قد تقدمتنا أنت و صاحبك، فقال عمر: ما كان ذلك لفضل رأيناه عليكم، لكن خشينا ضعفائكم، عن هذا الأمر، فقال العباس: باللهِ العجب ننهض بالنبوة، ولا نعجز، ونضعف عند الخلافة. قال معاوية: إني لا أضع سوطي في موضع منعني عنه لساني، ولا سيفي في موضع منعني عنه سوطي، ولو أنَّ بيني وبين أحد شعرة لما قطعتها. إذا مدَّها أرسلتها، وإذا أرسلها مددتها.

قال أعرابيٌّ لقبيلة أراد أنْ يصلح بينهم: هل لكم في الحق، أو فيما هو خير لكم من الحق. قالوا: وما خير من الحقِّ. قال: العفو، قال الله تعالى: ﴿**وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى، وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ**﴾ [البقرة:٢٣٧].

قيل للشعبيّ: كيف أصبحتَ. قال: بين نعمتين، خيرٌ منشور، وشرٌّ مستور.

قال بعضهم لرجل: أراك كلمت، فلم تطل! قال: نعم، كان معي حيرة الداخل، وفكر صاحب الحاجة، وذلّ المسألة، وخوف الردّ مع شدة الطمع، أنشدنا أبو الحسن بن الدهّان المرتب، قال أنشدني ابن الشِّبل لنفسه: [مجزوء الوافر]

إذا مَا شَحَّ ذُو المَالِ سَخَا الدَّهْرُ بِإنْهائه
إذا لَمْ يُثْمِرِ الغُصْنُ فَقَطْعُ الغُصْنِ أَوْلَى بِهِ

خطب المنصور بعد مقتل أبي مسلم الخراساني صاحب الدولة فقال: أَيُّهَا النَّاس لا تخرجوا من أُنس الطاعة إلى وُحْشَة المعصية، ولا تمشوا في ظلمة الباطل بعد سعيكم في ضياء الحقِّ. إنَّ أبا مسلم أحسن مبتدئاً، وأساء مغضياً.

فأخذ من النَّاس أكثر مما أعطى، ورجح قبح [١٢٧] باطنه على حسن ظاهره، وما علمناه من

حَيْثُ سريرته وفساد نيته، ما لو علم اللّئام لنا فيه، لعذرنا في قتله، وعنفنا في مهاله، وما زال يُنقِض بيعته، ويحقّر ذمته، حَتَّى أحلَّ لنا عقوبته، وأباحنا ذمته، فحكمنا فيه حكمه في غـيـره، و لم يمنعني من الحق إمضاء الحق فيه، وما أحسن ما قال النابغة(١):[البسيط]

وَمَــنْ أَطَــاعَ فأعقبــه بطاعتــه كَمَا أطاعَــكَ وادلُلْــهُ علــى الرُّشَــد
وَمَــنْ عَصَــاكَ فَعَاقِبْــهُ مُعاقبــةً تَنْهيَ الظَّلومَ ولا تقعُــدْ عَلَــى ضَــمد

وقف بعض الصالحين على قبر بعض الملوك، فقال: كم قتلتها لتستريح منها، وهي اليوم أكبر أشغالك؟

دخل المنكدر على عائشة (رضي الله عنها) فقال: يا أمَّ المؤمنين أعينيني، فقد أصابتني خصاصةٌ، فلم يكن عندها شيء، فلما خرج جاءها عشرة آلاف درهم من خالد بن أُسيد ما أوشك ما ابتليت، وأرسلتها إليه، فاشترى بها جارية بألفي درهم، فولدت ثلاثة بنين، كانوا عُبَّاد المدينة، محمد، وأبو بكر وعمرو بني المنكدر.

كان مسلمة بن عبد الملك إذا كثُر عليه الحوائج وخاف الضَّجر قال لآذنه: ائذن لجلسائي، ثم يفيض، ويفيضون، فيما ذكر الأكارم فيطر، ويأذن في قضاء حوائج النّاس.

رأى أسماء بن خارجة بباب داره رجلاً جالساً، فقال: ما يجلسك ها هنا، وألحَّ عليه. فقـال: جئتُ سائلاً فخرجت فتاة من هذه الدار فاختطفت قلبي فلعلعي، فقال: على رسلك وعــرض عليه جميع الجواد، ثم أخرجها، وقد اشتراها من ابنته بثلاثة آلاف درهم،فدفعها إليه فأخــذها الرجل، فغدا، وهو يقول: [الوافر]

إذا ما ماتَ خارجــةُ بــنُ حُصــنٍ فَــلا قَطَــرَتْ عَلَــى الأَرْضِ السَّــماءُ
ولاَ جَــاءَ البَشِــيرُ بِغُــنْمِ جَــيْشٍ وَلاَ حَمَلَــتْ عَلَــى الظَّهْــرِ النّسَــاءُ

دخل أحمد بن داوود على الواثق، فقال له: يا أحمد كان ابن الزيَّات ها هنا وذكــرك بكــل قبيح. فقال: يا أمير المؤمنين الحمد لله الذي أحوجه إلى الكذب من كتم عن، قول الحق فيه، يقال: من كتم السلطان نصحه، والأطباء مرضه، والإخوان بثه، فقد خان نفسه.

كتب الشيخ الإمام العالم الحبر الورع المتَّبع مهذَّب الدين بقية السّلف شيخ العارفين أبو الحسن سعد الله [١٢٨] جامع هذا الكتاب، بارك الله في أنفاسه، وأمتع المسلمين بطيب إيناســه، إلى

---

(١) ديوان النابغة الذبياني، القصيدة الدالية البيت ٢٥،٢٤، وفي شرح المعلقات التسع لاس النحاس، ص٧٥٢، وورد، ولا تقعد.

صديق له، فيما يقتضيه بشيء من الكافور، كان عوّده أنْ ينفذه إليه، فقال: [المنسرح]

ابْعَثْ بِشَـيءٍ كَتَأْثيرِ نَـرْدِكَ في ... لَـوْنٍ نَقِـيٍّ كَعَصْـرِكَ الصَّـافي

أَكْسَـبْتُهُ مِنْـكَ طِيـبَ رائِحَـةٍ ... وَمِـنْ مَعَانيـكَ أنَّـهُ شَـافي

عَوَّدْتَنيـهِ في ذا الأوَانِ مَجِـدٌ ... فَـدَيْتُكَ مِـنْ مُـنْعِمٍ، ومِـنْ وَافي

كَفَـاني اللهُ مَـا أُحَـاذِرُهُ ... فيـكَ فَـنِعْمَ الوَكيـلُ الكَـافي

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: إن هذه الأخبار، والمُلح مروءة، فانظروا أين تضعوها. وقال الخيل بن أحمد: أجمل ما في كتبك، كثر، أو ما تحفظه للنفقة، وقال بعضهم يـذمُّ قومـاً: [الطويل]

تَوَاصَوْا عَطْلَ الوَعْـدِ، ثم تَحَاسَـرُوا ... عَلَى اللَّوْمِ، حَتَّى جانَبُوا الوَعْدَ، والمُطْلا

ألا رُبَّمَـا أرقـي اللَّئـيمَ فَيَنْثَنـي ... وَأعضَلَني مَنْ يَجْمَـعُ اللُّـؤْمَ، والجَهْـلا

لآخر: [الوافر]

تساوى أَهْلُ دهْـرِكَ في المسـاوي ... فَمَـا يَسْتَحْسِـنُونَ سِـوَى القُـبْحِ

وَصَـارَ الجُـودُ عِنْـدَهُمُو جُنُونَـاً ... فَمَـا يَسْـتَعْقِلُونَ سِـوَى الشَّـحيحِ

وَكَانُوا يَغْضَـبُونَ مِـنَ التَّهَـاجي ... فَصَـارُوا يَغْضَـبُونَ مِـنَ المَـديحِ

في الخبر عن النبي (ﷺ) أنه قال: «**أول من يُدعى إلى الجنة يوم القيامة: الذين يحمـدون الله على البأساء، والضَّرَّاء**»(١).

يقال إنَّ همَّتك لا تسع كل شيء، ففرِّغها للمهم، ومالك، ما يعني كل أحد، فخصَّ به ذوي الحاجة، ومروءتك لا تطيق كل أحد، فأعن أهل الفضل.

قال أفلاطون: إذا درأ الملك حداً عن إنسان فيقضي ملكه، أم يجعل عيشه في حفظ.

ومما حكي أنَّ بعض الملوك كان منزله على ساحل البحر، فكسر مركب بإنسان، فـأمر باستنقاذه، فلما مُثِّلَ بين يديه، سأله عن حاله، فقال: أنا رجلٌ بليت بكثرة عيال، وقلة حال، فحملت نفسي في الركوب في البحر لإحدى حالتين، إمّا أنْ أهلك، أو أسـتريح، وأرجـع بعائدة وفائدة، وقد كنت حاصلاً بعرقي هذا إحدى الحالتين، فإنْ كنت أنقذتني لتـردني إلى أهلي، فالذي أخرجتني منه، أحبُّ إليَّ مما تردني إليهم، فأعطاه مالاً جـزيلاً، وقـال بعـض

---

(١) ورد الحديث في مشكاة المصابيح للتبريزي ٢٣٠٨، إتحاف السادة المتقين للزبيدي ٤٨/٩.

الفضلاء: [مجزوء الوافر]

عَـــلامَ أعُـــومُ في الشَّـــبه ... وَحَـــالي غـــيرُ مُشْـــتَبَه

أرُوحُ وأغْـــــدي طَمعـــــاً ... أُكَثِّـــرُ مِـــنْ أَقَـــلَ بِـــه

بِفَضْـــلِ غِيْـــرِ ذِي سَـــنَةٍ ... وَجَـــدُّ غَيْـــرِ مشْـــتَبَه

جاء في الآثار ونقل الأخبار: أنْ بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (ﷺ) يَعسُّ في سكك المدينة، فسمع إمرأة[1] تقول: [البسيط]

هَلْ مِنْ سَبيلٍ إلَـى خَمْـرٍ فَأَشْـرَبُها ... أمْ هَلْ سَبيلٌ إلى نَصْـرِ بـنِ حَجَّـاجِ

إلى فَـتىً ماجـدٍ خُلْـوٍ شَـمَائِلُهُ ... سَـهْلِ المُحَيَّـا كَـريمٍ غَيْـرِ هَيَّـاجِ

تُنْميه أعْـرَاقُ صِـدْقٍ حِـينَ تَنْسُـبُهُ ... أَخي الْفِراجِ عَـنْ الإخْـوَانِ فَـرَّاجِ

سَاجِيَ النَّوَاظِرِ مَـنْ يَعْدِلْـه يقـضِ ... لَهُ تُضيءُ صُورَتُهُ في المُظلـمِ الـدَّاجي

نِعْمَ الفَتَى في سَـوَادِ اللَّيْـلِ تَطْرُقُـهُ ... لِبَـائِسٍ وَلِمَلْهُـوفٍ وَمُحْتَـاجِ

فصفق عمر على يديه، وقال: ما أرى بالمصر رجلاً تمتف به العواتق في خـدورهنَّ، فلما أصبح، قال عليِّ بنصر بن الحَجَّاج، فأُتِي به، فإذا هو أحسن النَّاس، فأمره فاعتم، فافتتنَّ النساء بعينيه، فأمره فجزَّ شعره، فخرجت لَهُ وجنتان كأنهما قمر، فقال لَهُ عمر: لا تساكنِّي في بلد، فأمر به، فسيَّره إلى البصرة. وجلست ذلك من عمر، فدست إليه أبياتاً: [البسيط]

قُلْ للإمَامِ الـذي يُخشـى بَـوادِرَهُ ... مَالي، ولِلخمرِ، أو نَصْرِ بـنِ حَجَّـاجِ

يَا مُنْيَـةً لَـمْ أطَـأْ فِيهَـا نَضَـائِرَهُ ... والنَّاسُ مِنْ هالكٍ فيها ومِـن نَـاجِي

لا تَجْعَـلِ الظَّـنَّ حَقَّـاً، أو تَبَيَّـهُ ... إنَّ السبيلَ سَـبيلُ الخـائفِ الرَّاجـي

إنِّي رَضِيتُ أبـا حَفْـصٍ بِغَيْرِهِمـا ... شُرْبَ الحَليبِ وطَرْفٍ فـاترٍ سَـاجِي

إنَّ الهَـوَى رِمـةُ التَّقْـوى فَحَبَسُـهُ ... حَتَّـى أُهَـمَّ بالجـامِ وإسْـرَاجِ

فأضرب عمر عنها، وأطال على أم نصر غيبته، فجلست لعمر، حَتَّى خـرج إلى الصـلاة، فقالت: والله يا أمير المؤمنين، لأحاسبنَّك بين يدي الله، تبيِّتُ بين عبد الله وعاصم، وبيني وبين ابني، المفاوز، والفيافي.

فقال عمر: إنَّ عبد الله وعاصم لم تمتف بهما العواتق في خدورهن، وأبرد عمر إلى البصرة إلى

---

(١) الأبيات وردت في معظم كتب الأدب وتنسب إلى أم الحجاج.

عتبة بن غزوان، ناد إلى مَنْ كان لَهُ حاجة إلى أمير المؤمنين، أو إلى المدينة، فليكتب، فإن بريد المسلمين خارج فكتب نصر بن حجّاج: [١٣٠] [الطويل]

لَعَمْـري لأنْ سَـيَّرْتَني وحَـرَمْتَني ... وَمَا نِلْتَ مِنْ عِرْضي عَلَيْـكَ حَـرَامُ

فأصْبَحتُ مَنْفِيّـاً عَلَـى غَيْـرِ رِيبَـةٍ ... وَقَـدْ كَـانَ في الحُسْـنِ مُقَـامُ

أإنْ غُنيتُ للـدَّلْفاء يومـاً بِمَنِيَّـةٍ ... وَبَعْـضُ إِمَـامي في النِّسَـاءِ غَـرَامُ

ظَنَنْتَ الظَّـنَّ الـذي لَـيْسَ بَعْـدَهُ ... تقـاءٌ، فمـا لي في البـذيء كَـلامُ

وَيَمْنَعُني مِمَّـا تَقُـول تَكَرُّمـي ... وآبـاءُ صِـدْقٍ سَـالِفُونَ كِـرَامُ

وَيَمْنَعُهـا مِمَّـا تَقُـولُ صَـلاتُهَا ... وَحَالاتُهَـا في قَوْمِهـا وَصِـيامُ

فهاتانِ حَالانا فهـلْ أنـتَ راجعـي ... فَقَدْ جُـبَّ مِنِّـي كَاهِـلٌ وَسَـنَامُ

فقال عمر أمّا ولي سلطان، فلا، ثم بعث إلى البصرة، فأقطعه ما يقيم به، فلما استشهد عمر ركب راحسه وعاد، ويروى بعد ذلك، أنَّ نصر بن حجاج دخل على مجاشع بن مسعو السلمي بعد وفاة عمر بمدة.

وقد شاب يعود مجاشعاً، فكتبت إليه زوجته: مجاشع على الأرض، والله إني لأحبّكَ حبّاً لو كان على السماء، لأظلّكَ، أو على الأرض لأقلّكَ، فمحاه وكتب: وأنا فانظر زوجها إلى ذلك، فكفا عليه إناء فقرأه بعض عوّاده، فإذا هو أنا، فقال لزوجته ما كتبت لنصر بن حجّاج؟ كنت أقول كم حلبت ناقتكم، فقال ليس الجواب لذلك، وأنا، ولم يزل يبحث حتّى علم فطلّقها، فكان (ﷺ) كما قال الشاعر: [السريع]

تزيـدُ الأيـامُ إنْ سـاعدَتْ ... شِـدَّةُ عِلْـمٍ بتَصَـاريفها

كأنّهـا في حـالِ إسْـعَافِها ... تُسْـمِعُهُ صَـيحةَ تَخْويفِهـا

وكما قال لآخر: [الطويل]

بَصِـيرٌ بأعْقَـابِ الأُمـورِ كأنّمَـا ... يَرَى بِصَحيحِ الرَّأيِ مـا في العَوَاقِـبِ

لأنه (ﷺ) توسم فيه فتنة النساء.

قال ابن مسعود بن بشر: قيل لابن هبيرة، وكان يباكر الغداء، أصلح الله الأمير، إنَّ الأمـرا لغَدائهم وقت، وأنت تباكره، فقال: إنَّ فيه ثلاث خصال: ينشف المرَّة، ويطيب النفس، ويقل الشهوة. وقال محمد بن سالم: غدوت على عامر الشعبي، فرأيته يتخلل، فقلت: يا أبا عمـر

باكرت الغداء، فقال: نعم باكرته، قبل أنْ يسخن الماء، ويظهر الزمان، ويأتيني ثقيل مثلك.

قال بعضهم: العقل عقلان، عقل مستفاد يستفيده الإنسان بأدبه، وتجربته، وعقل تفـرَّد الله صنعه [١٣١]، ولا سبيل إلى العقل المستفاد إلا بصحة العقل المركب في الجسد، فإذا اجتمعا قَوِّى كل واحد منهما صاحبه.

قال محمد بن جعفر بن محمد الصادق عليه، وعلى آبائه السلام، تعرف محبَّة الرجـل لأخيـه بجودة أكله في بيته. قال الفضيل بن عيّاض: مَنْ أوقف نفسه موقف ذلّ، لطلب احلال تحاتت ذنوبه، ولو كانت بعدد القطر.

قال مروان بن أبي حفصة: كان معن بن زائدة، قد أبلى في حرب يزيد بن عمر بـن هـبيرة بالاحتياء، فغاظ ذلك المنصور، وجدَّ في طلب معن، وجعل لِمَنْ جاء به مالاً جـزيلاً، فـقال مروان، فحدثني معن باليمن أنه اضطره في شدة الطلب إلى أنْ أقام في الشمس، حَتَّى شحب لونه، وخف عارضه ولحيته، ولَبِسَ جبَّة صوف غليظ، وركب جملاً من الثمالـة، وخـرج يمضي البادية.

قال معن: فلما خرجت من باب حرب، تبعني أسود متقلد بسيف، حَتَّى إذا غبت عن الحرس، قبض على خطام الجمل، فأناخه وقبض عليَّ، فقلت: مالك؟ فقال: أنت طَلَبَةُ أمير المـؤمنين، فقلت: ومن أنا، حَتَّى يطلبني أمير المؤمنين؟ قال: معن بن زائدة، فقلت: اتق الله، وأين أنا من معن؟

فقال: ادع عنك هذا، فأنا أعرف بك من ذلك، فقلت له: وإنْ كانت الصفة، كما تقـول، فهذا جوهر حملته معي بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاء بي، فخذه، ولا تسفك دمي، فـقال هاته، فأخرجته فأخذه ونظر فيه ساعةً وقال: صدقت في قيمته ولست بقابله، حَتَّى أسـألك عن شيء، فإنْ صدقتني أطلقتك.

فقال: إنَّ النَّاس قد وصفوك بالجود، فأخبرني هل وهبت مالك كله؟ قلت: لا، قال فنصـفه؟ قالت: لا، قال: فثلثه؟ قالت؟ لا، فلم يزل، حَتَّى العشر، فاستحييت وقلت: أظن أني قد فعلت ذلك، فقال: ما أراك فعلته، وأنا، والله رجلٌ راجل رزقي من أبي جعفر عشرون درهماً، وهذا الجوهر قيمته ألوف من الدنانير، وقد وهبته لك، ووهبتك لنفسك، ولجودك المأثور بين النَّاس. لتعلم أنَّ في الدُّنْيَا من هو أجود منك، ولتحقر بعد هذا كل شيء فعلته، وتفعله، ولا تقـف على مكرمة، ثم رمى بالعقد في مجرى مع خطام البعير وانصرف.

فقلت: يا هذا قد، والله فضحتني، ولسفك دمي أهون عليَّ مما فعلت، فخذ ما دفعته إليـك،

فانتحى عنه فضحك، ثم قال أردت أنْ تكذبني في مقام واحد، والله لا آخذه، ولا آخذ على معروف لي ثمناً ومضى، فوالله طلبته بعدما أمنت وبذلت [١٣٢] لمن جاءني ما شـاء، فمـا عرفت لَهُ خبراً، وكان الأرض ابتلعته.

وكان سبب رضى المنصور عني أنّي لم أزل مستتراً، فلما كان يوم الهاشمية، ووثب القوم على المنصور وكادوا يقتلونه، وثب معنٌ، وهو متلثم، وانتضى سيفه، وقاتل القوم عنه، ثم جـاء، والمنصور راكب على بغلة لجامها في يد الربيع فقال: تنحَّ فإني أحق بلجامها منـك في هـذا الوقت، وأعظم عناء منك، قال المنصور صدق، ادفع إليه اللجام، فأخذه، و لم يـزل يقاتـل، حتّى انكشفت تلك الحال، فقال المنصور من أنت لله أبوك؟ فقال: أنا معنٌ بن زائدة، طلبتك يا أمير المؤمنين، فقال أنت آمن على نفسك ومالك، ومثلك يصطنع، ثم أخذه معـه وحبـاه وخلع عليه، دعاه يوماً.

فقال: إني قد أهّلتك لأمر عظيم فكيف تكون فيه؟، فقال، كما يحبُّ أمير المـؤمنين، فقـال وليتك اليمن، قلت: أبلغ من ذلك ما تحب علي. قال ذلك على المنصور، فقال له: بعد كلام طويل، وقد بلغ أمير المؤمنين شيئاً، لولا مكانك عنده ورأيه فيك لقبض عليك، فقال: ومـا داك يا أمير المؤمنين، فوالله ما تعرضت لذمّك قال مى ذلك عطاؤك الذي تعطيه لمروان بن أبي حفصة لقوله فيك[١]: [الكامل]

مَعْنُ بنُ زائدةَ الَّــذي زِيـدَتْ بِــهِ ... شَرَفاً علـى شَـرَفٍ بَنُـو شَـيْبَانِ

إنْ عُــدَّ أَيَّــامُ الفخـارِ فَإِنَّمَــا ... يَوْمَـاهُ يَـوْمُ نَـدى ويَـوْمُ طِعَـانِ

فقال يا أمير المؤمنين، ما أعطيته ما بلغك لهذا وإنما لقوله: [الكامل]

مـا زِلْـتَ يَـومَ الهَاشِـمِيَّةِ مُعْلِنـاً ... بالسَّـيْفِ دُونَ خَليفَـةِ الـرَّحْمَنِ

فمنعـتَ حورتَـهُ وكنـتَ وقـاءَهُ ... مِـنْ حـدِّ كُـلِّ مهنَّـدٍ وسِـنانِ

قال: فاستحيا المنصور، وقال: إنما أعطيته لهذا؟ فقال: نعم، والله لولا مخافة الشنعة لأمكنته من مفاتيح أبواب بيوت الخزائن، الذي فيها المال، وأبحته إياها، فقال المنصور: لله درك من أعرابي، ما أهون عليه ما يغر على النَّاس.

قيل للعتابي: إنَّ فلاناً قد مات، فقال نحن الأموات لفقده، وهو الحيُّ بمجده، يقـال: إنَّ بَينـةً لصاحب سلطان أحب إليه من دولة، لأنه بمنزلة بيان بين صديقه من عدوه، أنشـد ناصـح

---

(١) ديوان مروان بن أبي حفصة، ص١٠٦.

الإسلام أبو الخطابي الكلوذاني لنفسه: [الوافر]

لـئن جَـارَ الزَّمـانُ علـيَّ حتَّـى رَماني مِنْهُ في ضَـنْكٍ وضِـيقِ[١٣٣]

فـإنِّي قـدْ حَمِـدْتُ لَـهُ صُـرُوفاً عَرَفْتُ بهـا عَـدُوِّي مِـنْ صَـدِيقي

للمرتضى[1]: [البسيط]

يَبْغي الرِّئاسَةَ قَـومٌ لاَ خَـلاقَ لَهُـمْ وَمُدَّعيها أُنـاسٌ مَـا بهـا وُسِـمُوا

لاَ يَنْزِلُـون مِـنَ العَلْيَـاءِ مَنْزِلَـةً وَلاَ لَهُـمْ قَـدَمٌ فيهـا ولا قِـدَمُ

وَآفَـةُ المَجْـدِ أنْ تُبْلَـى بِمُنْتَحِـلٍ لا يَهْتَـدي كَيْـفَ يَبْنِيـهِ فَيَنْهَـدِمُ

قال هشام الأوقص: رأيت الحسن البصري يأكل من دكان بقال زبيبةً، وتارة تينةً وقسبة ونحوها، فقلت لَهُ ما في الورع يا أبا سعيد، فقال: يالكع إتْلُ آية الأكل، فتلوت، حتَّى بلغت، أو صديقكم، فقلت: ومن الصديق؟ فقال: الحسن الذي تستريح معه النفس، ويطمئن إليه القلب، فإذا كان كذلك، فلا إذن في ماله.

قدم عبد الملك رجلاً ليضرب عنقه، فدخل ولد لعبد الملك، يبكي من تأديب المعلم له، فجعل عبد الملك يسكنه، فقال الرجل: دعه يبكي، فإنه أنفع لعينيه، وأفتح لذهنه، فقال عبد الملك: إنك لفي شغل عن ذلك، فقال الرجل: إنَّ المسلم لا يشغله عن الحق شيء، فأمر بإطلاقه.

افتتح الإسكندر مظهر من نسائه على جمال أثر في أصحابه، فقال: إنَّ من أقبح القبائح أنْ تغلب رجل قوم، وتغلبنا نساؤهم.

سُئل الأصمعيُّ عن فصاحته فقال: حفظت لأصلع قريش ثلاثمائة خطبة، فغاصت، ثم غاصت، ما أحسن ما قال ابن الدمينة[2]:

أَبِيتُ خَمِيصَ البَطْنِ غَرْثَـانَ جَائِعـاً وَأُوثِرُ بِـالزَّادِ الرَّفِيـقَ عَلَـى نَفْسِـي

وَأُفْرِشُـهُ فَرْشِـي وَأَفْتَـرِشُ الثَّـرَى وَأَجْعَلُ مَسَّ الأرضِ من دونـه عَيْشِـي

حَـذارِ أَحَادِيـثَ المحافـلِ فِي غَـدٍ إذَا ضَمَّنِي يَوْمَـاً إلى صَـدْرِهِ رَمْسِـي

قال سري بن المغلس السقطي رحمه الله: من يعلم عذره إلا الله (ﷺ) فهـو معـذَّب. قـال بعضهم: احذر النَّاس، فلن يسلم منهم إلا من لم يظهر منه خير فيحسدونه، أو شر فيهتكونه.

(١) لم ترد الأبيات في ديوان المرتضى.

(٢) ديوان ابن الدمينة، ص١١٨، مع اختلاف الرواية في البيت الثالث.

وقال آخر: إذا ولي أخوك ولاية فثبت على نصف مودّتك فهو كثير. من سماعنا على الشريف أبي المهدي رحمه الله، عن النبي (ﷺ) أنه قال: «**لا تزال الملائكة تصلي على أحدكم ما دامت مائدته منصوبة، أو موضوعة بين يديه، حتّى ترفع في خير**»[١]

آخر عنه ﷺ أنه قال: «**مَن أكل مع مغفورٍ له، غُفر له، ومن صلّى على مغفورٍ له، غُفر له**»[٢].

قال عليٌّ ﷺ: شر الأصدقاء مَنْ [١٣٤] يتكلف له، أو أحوجك إلى مداراة، أو، وألجأك إلى اعتذار. قال جعفر بن محمد ﷺ: إذا قعدتم على المائدة مع الإخوان فأطيلوا، فإنها ساعة لا تُحسب من أعماركم.

قال الشيخ الرئيس أبو القسم علي بن عيسى بن داوود بن الجرّاح الوزير: دخلت على أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد، وهو مريض، وعنده جماعة قد أطالوا، فقال: يا أبا القاسم عيادة، ثم ماذا فصرفت مَن حضر وهممت بالانصراف، فأمرني بالرجوع إليه، ثم أنشدني عن محمد بن الجهم: [البسيط]

لاَ تَضْجرَنَّ مَريضاً أنتَ عَائِدُهُ ... إنَّ العيَادَةَ يَومٌ إِثْرَ يَوْمَين
بَلْ سَلْهُ عَنْ حالهِ وادْعُ الإلَهَ لَهُ ... كَفَدْرِ بَيْنَ حلْبَيْنِ
مَنْ زَادَ غبّاً أخاً دَامَتْ مَوَدَّتُهُ ... وَكَانَ ذَاكَ صَلاَحاً للْخَلِيلَيْنِ

قيل عن المهدي إنه قال: أنه ما توسل إلى أحد توسيله، ولا تذرع بذريعة هي أقرب من تذكيره يداً سَلَفت مني إليه أتبعها أختها فالحسن، وبها فإن منع الأواخر يقطع شكر الأوائل هذا البيت يجمع حروف المعجم أوّله كله لا ينقط وآخره كله بنقط، وهو هذا:

مسطحٌ أصْدرَ عكلاً لَهُ ... ضَغْثٌ تَسْتَجدُّ فيظنُّ فخرُ

قال الأوقص قاضي للمدينة، وكان قبيح المنظر قالت لي أمي يا بني خلقت خلقة لا تصلح معها مشاهدة القيان، ولا منادمة الفتيان، وإنَّ جلست مجلساً لم ترمقك العيون فيه، ولم تمل نحوك القلوب، فلو ملتَ إلى العلم الذي ترفع به الخسيسة، وتتم به بالنقيصة، فقبلت قولها فنفعني الله به.

قال عليّ بن عوف كنت يوماً أتغذى مع المأمون فالتفت إليَّ وقال لي: خلال قبيحة عنا

---

(١) ورد الحديث في إتحاف السادة المتقين للزبيدي ٢٣١/٥.

(٢) لم يرد الحديث في لكتب المعتمدة.

الجلوس على المائدة، منها كثرة مسح اليد، ومسح اللحية، والإكباب على المائدة، وكثر أكل البقل، يقال ثمانية إن أُهينوا، فلا يلوموا إلا أنفسهم: الآتي إلى مائدة لم يُدْعَ إليها، والمتأمِّر على رب البيت في بيته، وطالب الخير من أعدائه، وطالب الرفد من اللئام، والدّاخل بين إثـنـين في حديث لم يدخلاه فيه، والمستخف بالسلطان، والجالس في مجلس ليس هو لَهُ بأهل، والمقبـل بحديثه على من لم يسمعه.

دخل أبو علي البصير على عبيد الله بن سليمان، فسأله حاجة كان مطله بها، ثم قام، فأنشـده في مجلسه: [البسيط]

إنَّ الزَّمَانَ الَّذِي يُضْحِي الفَتَـى وَلَـهُ ... فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ فيـه خَـيرُ أَزْمَانـه
فلا تضـيقُ بمعـروفٍ وجـدتَ لَـهُ ... وَجْهاً وَبَادِرْ به فِي وَقْـتِ إِبَانـه[١٣٥]
فَرُبَّمَا انْقَبَضَتْ مِنْ بَعْدِ ما انبَسَـطَتْ ... كَفٌّ وأعْـوَزَنِي مِـنْ بَعْـدِ إِمْكَانـه

فما قرأها في وقت سئل حاجة إلا قضاها، كان مُطَرِّف بن عبد الله يقول لأصحابه: إذا كان لأحدكم حاجة، فلا يواجهني بها، وليقلها لي في رقعة، فإني أكره أنْ أرى عليه ذل السـؤال، ويتمثل بهذه الأبيات:

يَـا أَيُّهَـا المُعْتَـنِي بِـذُلِّ السُّـؤَالِ ... وَطَالبُ الحاجاتِ مِـنْ ذِي النَّـوالِ
لَا تَحْسَـبَنَّ المَـوْتَ مَـوْتَ البَلَـى ... وإِنَّمَـا المَـوْتُ سُـؤَالُ الرِّجَـالِ
كِلاهُمَــا مَــوْتٌ وَلَكِــنَّ ذا ... أَحْسَنُ مِـنْ ذاكَ عَلَـى كُـلِّ حَـالِ

فقال خمسة أشياء تُقبح في خمسة أصناف من النَّاس: الشَّرَهُ في الشيوخ، والحرص في القـرى، والبخل في ذوي الأموال وقلة الحياء في ذوي الأحساب، والحِدَّة في السلاطين. يقال إنَّ أحزم النَّاس، وأصبرهم من لا يفشي سرَّه إلى صديقه، مخافة أنْ يصير عدوَّه. هذا بيـت شـعـر لا يتحرك به اللسان:

إنَّ هَمِّـي، وهـم أحبـائي همهـمُ ... مَـا بِهِـمْ وهَمِّـي مَـا بِي

هذه أبيات كتبها مهذب الدين المصنف هذه المجموعة، يستهدي حلاوة نصف رمضان من لَهُ بينهما مباسط: [الطويل]

بَلَغْتُ المُنَى شَهْرَ الصِّيَامِ قَدْ انْتَصَـفْ ... وحُلْمٌ فَاسْـتَوفَى القَضِـيَّةَ والنَّصَـفْ
وَفِيـه معـانٍ لِلْكِـرامِ طَرِيقَـةٌ ... وَسُنَّتُهُ فَضْلٌ سَـنَّهَا سَـادَةُ السَّـلَف

لما حبس كسرى بُزُرْجُمهَر، أمره أنْ يختار لنفسه غداء لا يتغير، ولباساً لا يتغيَّر، ولا يطلب سواه، فاختار اللبن لغذائه، والأدم للباسه، ومكث برهة في الحبس، فلما رضي عنه، وأخرجه، رأى لونه طرياً وبدنه عتياً.

فقال له: أخبرني كيف اخترت اللبن، والأدم، فقال: أما اللبن فإنه الغذاء الأول، يقوَّم به الأود، وأستغني به عن تكلف أمر النجْو[1] وأمَّا الأدم، فلا يحتاج إلى لغسل كل وقت، ولا يقمل، ولظاهره بردٌ في الحرِّ ولباطنه دفء الشتاء.

فقال من كانت هذه حالته، كيف كان عيشه؟ فقال: أيُّها الملك اعلمْ أني اخترت لنفسي جوارشاً[2] من خمسة أخلاط الأول الثقة بالله سبحانه، والثاني كل مقدور كائن، والثالث [١٣٦] الصبرمطية الفرج، الرابع أنْ أصبر ما أصنع، الخامس لعل ما أنا فيه خير من غيره.

شاعر:

لأنْ سَاءني دَهْرٌ لَقَدْ سَرَّني دَهْرُ ... وَإنْ مَسَّني عُسْرٌ لَقَدْ مَسَّني يُسْرُ

لِكُلٍّ مِنَ الأَيَّامِ عِنْدي عَادَةٌ ... فَإنْ سَاءني صَبْرٌ، وإنْ سَرَّني شُكْرُ

قال الأصمعي: رأيتُ شيخاً في جامع البصرة، فتفرَّستُ فيه، أنه شاعر، أو منجِّم، فقال كلاهما، فقلت: أنشدني شيئاً من أشعارك، فقال تركت الشعر، فقلت أنشدني شيئاً في تركك إياه...فأنشدني: [الكامل]

قَالُوا تَغَيَّرَ حَالُهُ، أو عَقْلُهُ ... والهَمُّ يَمْنَعُنِي مِنَ الأَشْعَارِ

أَمَّا الهِجَاءُ فَفِي مَشِيبِي وَاعِظٌ ... والمَدْحُ قَلَّ لِقِلَّةِ الأحْرَارِ

قال عبد الله بن بُريدة: ينبغي للمؤمن أنْ يتعاهد من نفسه ثلاثة أشياء، لا يدعُ الأكلَ فإنَّ منعه يضيق، ولا يدع المشي فإنه يحتاج إليه، فلا يقدر أنْ يمشي، ولا يدع الجماع فإنَّ البئر إذا لم يترح ذهب ماؤها.

أنشدني الشيخ أبو بكر المعروف بابن الشبل المقريء من ساكني درب يعقوب من شارع الرقيق رحمه الله لجدِّه أبي علي بن الشبل: [البسيط]

الحَمْدُ للهِ لا حراماً أفاوضهُ بنيّ ... فَبِالقولِ دُونَ المَالِ يَسْلِبُنِي

أَخْفَى الأَصَادِقُ فِي جِسْمي سِهَامَهُمُ ... فَلَيْسَ أَدْرِي عَدُوِّي أَيْنَ يَرْمِينِي

---

(١) النجو: ما يخرج من الإنسان من الفضلات، اللسان: (نجو).

(٢) الجوارش: تطلق على الأدوية المركبة.

ما أخطأتني مـن الأنبار راميـةٌ ... فكُـلُّ رامٍ بحمـد الله يرميـني

امْتحي ليَ السِّجْنَ سكناً والأسى سكناً ... والهمُّ كأسي وأحزاني تغنّيني

حتّى تخلّصتُ مـن آبـاق كيدهمُ ... تخلُّصَ الرُّخِّ مـن عُقْـد الفرازين[1]

وأنشد الظهير أبو إسحاق إبراهيم بن الفرّاء الآمديّ لابن الرومي[2]: [الوافر]

غُمُوصَ الحـقِّ حـين تـذُبُّ عَنْهُ ... تُقَلِّـلُ نَاصِـرَ القَـوْلِ المُحِـقِّ

تَـدُقُّ عَـنِ الصَّـوابِ فَهُـومُ قَـوْمٍ ... فَيَقْضِـي لِلْمُحِـلِّ عَلَـى المُـدِقِّ

كان رجلٌ من أهل الأدب، لا من ذوي الحسب نجا بأدبه، وتخلص بسببه، كما حكي أنَّ الحَجّاج خرج في عَسيسَةٍ، فلقي سكراناً، فلما أحضره للعقوبة، قال له: اصدقني ابنُ مَنْ أنتَ؟ فقال: [الطويل]

أنا ابنُ الذي لَمْ يُنْـزِلِ الـدَّهْرُ قِـدْرَهُ ... وَإنْ نَزَلَتْ يَوْماً فَسَوْفَ تَعُـودُ[١٣٧]

تَرَى النَّاس أفْوَاجاً عَلَى ضَوْءِ نَـارِهِ ... فَمِـنْهُم قِيَـامٌ تَـارَةً وقُعُـودُ

فقال: أطلقوه، فيوشك أنْ يكون من أولاد الملوك، فلما أطلقوه، سأل عنه، فقيل أيُّها الأمير، هذا ابن فلان الباقلاني، فقال: لقد صدقنا في نسبه، وأحسن في كنايته، وأنشأ يقول: [المنسرح]

كُنْ ابنَ مَنْ شِـئْتَ واكْتَسِـبْ أدَبـاً ... يُغْنِيـكَ مَضْـمُونُهُ عَـنِ النَّسَـبِ

لبعض مخاليع الأعراب: [الوافر]

أنَـا شَـيْخٌ وَامْرَأتِـي عَجُـوزٌ ... تُطَـالِبُنِي بِـأمْرٍ لا يَجُـوزُ

تُرِيـدُ جِمَاعَهَـا فِـي كُـلِّ يَـوْمٍ ... وذَلِـكَ عِنْـدَ أمْثَـالِي عَزِيـزُ

وَقَالَـتْ رَقَّ أيـرُكَ مُـذْ كَبِرنَـا ... فَقُلْـتُ لَهَـا بَـلِ اتَّسَـعَ القَفِيـرُ

كتب أبو صامد الشاعر إلى أبي القاسم عثمان الغَنَوي: [البسيط]

رَأيْتُ فِي النَّوْمِ أنِّـي مَالِـكٌ فَرَسـاً ... وَلِي وَصِـيفٌ وفي كَفِّـي دَنَـانِيرُ

فقـال قـومٌ لهُـمْ فَهْـمٌ وتجْرِبـةٌ ... خَيْـراً رَأيْـتَ والفَتْـكَ التَّبَاشِـيرُ

فَاقْصُصْ مَنَامَكَ عِنْـدَ الأمِـيرِ تجـدْ ... تفسـيرَ داكَ وللأحْلامِ تفْسِـيرُ

---

(١) الفرازين: لعبة التطريح، اللسان (فرزن)

(٢) ديوان ابن الرومي ١٧٠/٣.

فوقع في جوابه أضغاث أحلام، وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين.

قال منقذ العطار: بينما أنا أسير في أبيات شيبان، وإذا أنا بأعرابية تقول: في غليمها، ويـدها على صبيّ، والأخرى على صبيّة: [البسيط]

مَنْ سَرَّهُ أنْ يَـرَى شَمْسَـاً يُقَابِلُهَـا   بَدْرٌ وقـد طَلَعَـا مِـنْ بَـيْنِ أَزْرارِي

فَلْيَأْتِ بيتِي يَرَى شَـمْسَ النَّهَـارِ بِـهِ   سَلْمَى وَبَدْرُ الدُّجَى سَعْدُ بْـنُ سَـيَّار

فقمت أبادر لأنظر إلى هذه الشمس، والبدر، فلما دنوت، فإذا أنا بظبي وظبية كأنهما بعيران، أو عودان محرقان، فذكرت، قول الأول، كل فتاة بها معجبة.

قال الحسن بن شُيُظم: حججت في بعض السنين، فكنت في بعض المنازل، فإذا بصبيّة كاملة الجمال، بارعة السن.

قد رفعت يدها إلى الله سبحانه، وتعالى، وهي تقول: اللهم ها أنا أَمَتُكَ الغريبـة، وسـائلتك الفقيرة، بحيث يرى مكاني، ولا يخفى عليك سوءُ حالي، وقد هتكـت الحاجـة حجـابي، وكشفت الفاقة نقابي، وقد بذلت لهما وجهاً كريماً عن المسألة، ضعيفاً البذلة، طال ما سـتره الحياء وصانه الغناء، وقد حمت عني أكف المخلوقين، وضاقت دوني أنفس المرزوقين، فمـن [١٣٨]، فمن حرمني لم أُلُمْهُ، ومن وصلني وكلته إلى رحمتك يا أرحم الراحمين، فمررت بهـ وقلت يا جارية من أين أنت؟ فأنشأت تقول:

بَعْـضُ النِّسَـاءِ أَبرزَهَـا   الـدَّهْرُ إلى مـا تَـرى، وأَحْوَجَهَـا

أَخْرَجَهـا مِـنْ حِجَـابِ نَعْمَتِهَـا   وابتَزَّهَـا مُلْكَهَـا، وأَزْعَجَهَـا

وَطَـالَ مَـا كَانَـتِ العُيُـونُ إذا   مَـا بَـرزَتْ تَسْتَشِيفُ هَوْدَجَهَا

أَلعَزْمِهَـا مُقْبِـلٌ بِصَـفْحَتِه   مُـتَّهَمٌ قَـدْ أَقَـامَ مَنْـهَجَهَا

إنْ كَـانَ قَـدْ سَـاءَهَا وأَحْوَجَهَـا   فَطَـالَ مَـا سَـرَّهَا وأَبْهَجَهَـا

والحَمْـدُ للهِ رُبَّ دَاهِيَـةٍ   قَـدْ ضَـمِنَ اللهُ أَنْ يُفَرِّجَهَـا

قيل لما ملك أردشير بابك البلاد، وحصل في قبضته السبعة أقاليم استدعى صاحب إيوان شهر، وقال له: أخبرني بما كان لصاحبك من العجائب، فقال كان لَهُ ستة أشياء: أحدها بركة عظيمة كبيرة، كان يجلس عليها لمشرب، وكان ندماؤه تحضره كل واحد منهم شرابه مر داره، فيطرحه في تلك البركة، فتختلط الأشربة على تغير ألوانها مطعومها، وأجناسها، فإذ

غرفوا، خرج في قدح كل واحد منهم شرابه إلى جهته غير مختلط بشراب سواه.

الثاني: كان لَهُ طائر من النحاس على قُبَّته في داره، فكان إذا دخل المدينة غَريبٌ صفر ذلك الطائر صفيراً يسمع كل من في المدينة، فيعلمون بدخول الغريب فيؤخذ، ويحضر بين يدي الملك، فيسخِّره لأي شيء ورد فيعلم ذلك.

الثالث: كان لَهُ طبل إذا غاب رجل، وأبطأ، خبَّره ضرب ذلك الطبل، فإذا كان حيّاً جاء للطَّبْل صوت.

والرابع: كان لَهُ مرآة فإذا أراد الإنسان يعلم على أي حبال غائبة فيرى فيها خيراً، أو شراً، نظر فيرى الغائب على الحالة، التي هو عليها.

الخامس: كان لَهُ سروة يقف تحتها الفارس، والاثنين إلى الألف فتظلهم، فإذا زاد عن الألف واحد زال الظل عن الكل، وصاروا في الشمس.

السادس كان كبشين عظيمين من حديد على لوح من حديد، بينهما غدير ماء، فإذا اختصم اثنان، أتيا إلى الكبشين فيحمل أحدهما على الظالم، فينطحه فيرمى به إلى الماء فكتب ابن مسرة إلى أبي الفضائل هذه الأبيات: [١٣٩] [الكامل]

أَسفي عَلَيْكَ، وقـد أَرَقْـتَ صَبَابَةً ... مِنْ مَاءِ وَجْهِكَ في سُـؤَالِ بَخيـلِ

وَوَجَدْتَ طَعْمَ سُؤَالِهِ مِـنْ لَوْمِـهِ ... مُـراً كَطَعْـمِ الحَنْظَـلِ المَبْلُـولِ

وَلَقِيـتَ دُونَ طَعَامِـهِ وَشَـرَابِهِ ... رَدّاً كَحَـدِّ الصَّـارِمِ المَسْـلُولِ

أَقْبَلْتَ تُنْشِدُهُ، وأطْـرَقَ مُعْرِضَـاً ... إِطْـرَاقَ دَمْ بِـذُحُولِ

حَتَّى ظَنَنْتُـكَ قَـائِلاً وَظَنَنْتُـهُ ... مِـنْ فَـرْطِ نَخْوَتِـهِ وَلّـى قَتِيـلِ

وَكَفِلْتَ لي عنـهُ بِكُـلِّ كَرِيمَـةٍ ... ثُـمَّ انْثَنَيْتَ وأَنْتَ شَرُّ كَفِيـلِ

وَأَتَـتْ عَلَيْـكَ خَلَائِقُ حُورِيَّـةٍ ... تَـأْتي إذا مَـا فَاتَهَـا بِجَمِيـلِ

هَلاَّ سَأَلْتَ عَـنِ الصِّنَاعَةِ أَهْلَهَـا ... فَيُخْبِـرُوكَ بِصَـنْعَةِ التَّطْفِيـلِ

القَـوْمُ لا يَعشُـونَ إلاَّ مَنْـزِلاً ... يَغْشَى العُيُونَ دُخَانُهُ مِـنْ مَيْـلِ[١٤٠]

قل لطفيلي: ما بال لونك أصفر؟ فقال: من الفتوة بين العضارتين[1] أخاف أنْ يكون قد في الطعام، فيذهب دمي فأصفر.

---

(١) العضارتان:

قال الأصمعيّ: رأيتُ شيخاً من الأعراب متعلقاً بأستار الكعبة، وهو يقول: [الطويل]

أَمَا تَسْتَحِي يَـا رَازِقَ الخَلْـقِ كُلِّهُـمْ ... أُنَاجِيـكَ عَرْيَانـاً وأَنْـتَ كَـرِيمُ

أَتَرْزُقُ أَوْلَادَ المَجُـوسِ، وقَـد عَتَـوْا ... وَتَتْـرُكُ شَـيْخَاً مِـنْ سَـرَاةِ تَمـيِمِ

فألقيتُ القميص، والأُزُر، والمناديل من كل جانب، فجعل يأخذها، ويقـول الشـكر لمـن أخاطبه لا لكم.

قال نصر الجهني: كان لي جار طفيلي، وكان إذا دُعيت إلى مدعاة، أو حضرت ملاكاً، ركب معي، وجلس حَيْثُ أجلس، فيأكل، وينصرف، وكان نظيفاً عطراً، حسنَ اللباس، والمركب، وكنت لا أعرف إلا ظاهره، فاتفق لجعفر بن القاسم الهاشمي حتى دعاه إليـه أشـراف أهـل البصرة وكبارها.

وكان الأمير، فقلت: إن تبعني هذا لرجل لأخزينه، فلما حضرت تبعني ودخل لدخولي وارتفع إلى حَيْثُ أجلستُ، فلما حضر الطعام، قلت: حدثنا درست عن ابى زياد عن أبان بن طارق عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ﷺ) **«من دخل دار قوم بغير إذنهم، فكأنما دخل سارقاً،وخرج مُغَيِّراً، وكمن دُعي، فلم يجب، فقد عصى الله ورسوله»**[1].

وطننت أني قد أسرفت على الرجل وهرت من لسانه، فأقبل عليَّ قال أعيذك بالله يا أبا عمر من هذا الكلام في دار الأمير وعليّ [١٤١]مائدته فإنَّ الأشراف لا يحتملون التعريض بـاللُّوم، وقد حضَّ الدين التعريض وعزّر عليه عمر بن الخطاب، ووليمة الأمير دُعاة لأهل مصره، فإنه سليل أهل السقاية، والرفادة، والمطعمين، والأفضلين، الذين هشموا الثريد، وأبرزوا الجفان.

فمن غدا إليها وراح، ثم لا يُوزع، وأنت في بيت العلم، معروف بالحديث عن درست بـن زياد، وهو ضعيف جداً عن أبّان بن طارق، وهو متروك الحديث، بحُكم يرفعـه، إلى النـبي (ﷺ) والمسلمون على خلاف لأن حكم السَّارق القطع، والمغيّر يرى على ما يـراه الإمـام وهذان حكمان لا ينفذان على داخل دار، في مجمع فيتناول لقماً من فضل الله، الـذي أنـا أهلها، ثم لا يحدث حدثاً، حتّى يخرج عنها، وقد قال عليه الصلاة، والسلام، **«طعام الواحـد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة»**[2].

حدثنا بذلك عاصم النبيل عن أبي جريج عن أبي هريرة عن جابر عن النبي (ﷺ) ويعلّم فـأين

(١) لم يرد الحديث في الكتب المعتمدة.

(٢) لم يرد الحديث في الكتب المعتمدة.

أنت من هذا الحديث الصحيح الإسناد، والمتن.

قال نصر فأصابتني حجلة شديدة، فأمسكت، فلما رأى الرجلُ ما بي، أكل ونهض قبلي، فلما خرجت وجدته واقفاً بالباب على دابته، فلما رآني تبعني، ولم يكلّمني، ولا كلّمته، إلّا أنّي سمعته يتمثل: [المتقارب]

وَمَــنْ ظَــنَّ أَنْ سَــيُلاقِي الحُــرُوبَ وَأَنْ لا يُصَــابَ فقــد ظَــنَّ عَجــزَا

لبعضهم يهجو طفيلياً: [الكامل]

كَمْ لَطْمَةٍ فِي حُــرِّ وَجْهِــكَ صَــلْبَةٍ مِنْ كَــفِّ بَــوَّابٍ شَــدِيدٍ ضَــابِطِ

وَكَــانَ ذَاكَ، وكــلُّ مَــا لَاقَيْتَــهُ لَمَّا أَكَلْتَ أَصَــابَ عُــرْضَ الحَــائِطِ

قال عبد الملك بن مروان لجلسائه يوماً: أي المناديل أفضل؟، فقال بعضهم: اليمنية، التي كأنها نور الربيع، وقال بعضهم: المصرية، التي كأنها غرقئ[1] البيض، فقال عبد الملك: ما صنعتم شيئاً، ولا قلتم شيئاً، أفضلها مناديل عبدة بن الطبيب، حَيْثُ يقول: [البسيط]

ثُــمَّ انثَنَيْنَــا إلى جُــرْدٍ مُسَــوَّمَةٍ أَعْــرَافُهُنَّ لأَيــدِينَا مَنَادِيــــلُ

وكقول امرئ القيس[2]: [الطويل]

نَمُــشُّ بِــأَعْرَافِ الجِيَــادِ أَكُفَّنَــا إِذَا نَحْنُ قُمْنَا عَــن شِــواءٍ مُضَــهَّبِ

المَشّ: مسح اليد بما يُقشّر عنها الدَّسم، ويقال: المنديل مشوش.

قيل لأعرابيٍّ كان يحبُّ امرأة، فزُوجت بابن عمٍّ لها، وعزم أهلها أنْ يهدوها إلى بعلها، أيسرُّك أنْ يظفر الليلة بها، فقال نعم، والذي أمتعني بحبها، وأشقاني بطلبها، قيل: فما كنت صانعاً؟ قال: [١٤٢] كنت أطيع الحب في لثمها، وأعصي الشيطان في إثمها، ولا أفسد عشق سنين بما يبقى ذميماً عاره، وينشر قبيحة أخباره في ساعة تنفد لذتها، وتبقى تبعتها إني إذاً للئيم، ولم يغذني أصل كريم.

قال مالك بن دينار: بينما أنا أطوف بالبيت، وإذا بجارية متعبدة، متعلقة بأستار الكعبة، وهي تقول: يا رب كم شهوة ذهبت لذتها، وبقيت تبعتها، أيا رب ما كان لك أدب إلا بالنــار، وهي تبكي، فما زال ذلك مقامها، حتَّى طلع الفجر، فلما رأيت ذلك، وضعت يدي علــى

(١) غرقئ البيض: القشر الرقيق، كقشر البيض، اللسان: (غرقأ)، وقد ذكر هذا اللفظ أوس بن حجر في بيت شعر، انظر الديوان، ص٩٧، البيت ٢٢.

(٢) ديوان امرئ القيس، ص٥٤.

رأسي صارخاً، وأقول ثكلت مالكاً أمه، وعدمته جويرية، منذ الليلة، وقد بطلته، وأنشد بني الحسين في معناه: [الطويل]

وَطَائِفَـةٍ بِاللَّيْـلِ، واللَّيْـلُ مُظْلِـمُ تقـولُ ومِنْهَـا دَمْعُهَـا يَسْـجُمُ

أيا رَبِّ كَمْ مِنْ شَـهْوَةٍ قَـدْ رُزِيْتُهَـا وَلَـذَّةِ عَـيْشٍ حَبْلُهَـا مُتَصَـرِّمُ

أَمْ كَـانَ رَبِّـي لِلْعِبَـادِ عُقُوبَـةً وَلا أدبٌ إلا الجَحِـيمُ المُضَـرَّمُ

فَشَبَّكْتُ مِنِّي الكَفَّ أَهْتِـفُ صَـارِخاً عَلَى الرَّأْسِ أُبْدِي بَعْضَ ما كُنتُ أَكْتُمُ

وَقُلْتُ لِنفسـي إذ تَطَـاوَلَ مَـا بِهَـا وَأَعْيَـا عَلَيْهَـا وَرْدُهَـا المُتَـنَعِّمُ

أَلاَ ثَكِلَتْـكَ اليَـومَ أُمُّـكَ مَالِكَـاً جُوَيْرِيَّـةً أَلْهَـاكَ عَنْهَـا التَّكَلُّمُ

فَمَـا زِلْـتُ بِطَالاَتِهَـا طُـولَ لَيْلَـةٍ يُنالُ بِهَـا حُظًّـا جَسِـيمٍ، وتَـنَعُّمُ

يروى أنه تزوج رجلٌ من همدان إلى ابنة عمٍّ له، فلم يلبث أنْ ضُرب عليه البعث إلى آذربيجان، فأصاب بها خيراً واستفاد جارية حسناء وفرساً جواداً فسمَّى الجارية حبابة، وسمَّى الفرس الورد، وأقام بالثغر، فقال له: ابن عمه، ما يمنعك من القفول إلى منزلك؟، فقال أخشى من ابنة عمي أنْ تحول بيني وبين الجارية، وقد هويتها، ثم أنشأ يقول[1]: [الطويل]

أَلاَ لاَ أُبَالِي اليومَ مَـا صَـنَعَتْ هِنْـدٌ إذَا بَقِيَـتْ عِنْـدِي حُبَابَـةُ والـوَرْدُ

شَـدِيدُ نِيـاطُ المُنْكَـبَيْنِ إذَا جَـرَى وبيضُها مثـلُ الـرِّيْمِ زَيَّنَهَـا العِقْـدُ

فَهَــذَا لأَيَّــامِ الهِيَــاجِ وَهَــذِهِ بِمَوضِعِ حَاجَاتِي إِذَا انْصَرَفَ الجُنْـدُ

فبلغها الأبيات فكتبت إليه تقول: [الطويل]

لَعَمْرِي لَـئِنْ شَـطَّتْ بِعُثمَـانَ دَارُهُ وَأَضْـحَى بالحُبَابَـةِ والـورد

أَلاَ فاقرئهُ مـنِي السَّـلام وَقُـلْ لَـهُ غَنَيْنَا بفِتْيَـانٍ غَطَارِفَـةٍ مُـرْدِ[١٤٢]

إذا شاء منـهم ناشـئاً مَـدَّ كَفَّـهُ إلى كَفَـلٍ رَيَّـانَ أو كَعْثَـبٍ نَهْـدِ

إذا رَجَعَ الجُنْدُ الـذي أَنْـتَ فـيهمُ فزادك ربُّ النَّاسِ بُعْـداً علـى بُعْـدِ

فلما وصلته أبياتها باع الجارية، وأقبل مسرعاً، فوجدها معتكفة في محرابها فقال: يا هند فعلت ما فعلت، فقالت: أجلّ في عيني، وأعظم عندي أنْ أرتكب مأثماً، ولكن كيف وجدت طعم الغيرة، وأنك أغضبتني فأغضبتك.

(١) الابيات وردت في معجم البلدان.

يروى أنْ رجلاً لقي يعقوب بن داوود ومعه قصة فدفعها إليه، فيها مكتوب: [البسيط]

يَا الّذي لَمْ تَزَلْ يُمْنَاهُ مُذْ خُلِقَتْ فِيهَا البَاعُ نَوالِ العَلِّ، والنَّهَلُ

إنْ كُنْتَ مُسْدِي معروفاً إلَى رجلٍ لفَضْلِ وُدٍ فَإنِّي ذَلِكَ الرَّجُلُ

فَأمْنُنْ عليَّ بِفَضْلٍ مِنْكَ يُجْبِرُنِي فَإنِّي شَاكِرٌ لِلْعُرْفِ مُحْتَمِلُ

فأمر لَهُ بعشرة آلاف درهم. قال أحمد بن محمد بن المدبِّر: كنت مع أحمد بى خالد بفلسطين، فجاءه رسول، إنّ صُنَّاعك قد أمر بقبضها، فقال لي الفضْل بن مروان، والي العسكر في هذا، فكتب وهيأ رسولاً وتحفاً، فلما قرأ الكتاب، قال: أنفذ منها حرفاً واحداً، أصير رسولي إلى الله تعالى.

ثم أبطل تلك الكتب، وأخذ منها ما يريد إنفاذه، فتصدق به، فما مضى خامس عشر، حتّى جاء رسول: بأنّ السّاعي بك وبضياعك، فتبيَّن أمره، فوجدناه كذّاباً مبطلاً، فعلنا به، وفعلنا به، وأمرنا بإطلاق ضياعك، وأن لا يتعرض بها، ولا بشيء منها، فشكرت الله تعالى، وتبين حسن معاملته وحسن متاجرته.

خرج الإسكندر ليلةً فجعل منجّمه يسيِّرُ لَهُ الكواكب، فعثر المنجِّمُ فكادت تندقّ عنقه، فقال لَهُ مضحك الإسكندر: مَن تعاطى علم ما فوق رأسه أتت به البلية من تحت قدميه.

دخل رجلٌ من بني هاشم على المنصور، فسأله عن وفاة أبيه.

فقال: مرض (ﷺ) يوم كذا ومات (ﷺ) يوم كذا، وترك (ﷺ) من المال كذا، فانتهره الربيع، وقال بين يدي أمير المؤمنين، توالي الدعاء لأبيك، فقال الرجل: لا ألومك لأنك لم تعرف حلاوة الآباء.

دخل سعيد بن مسلم الباهليّ على الرشيد فأومأ إليه بعد السلام فجلس [١٤٤] وقال يا أمير المؤمنين: أعرابي من باهلة، وقد ورد عليك، وما رأيت قط أشعر منه، فقال له: أما أنت فإنك قد استجبتَ هذين فهي لها أحجارك.

وكان عنده العماني ومنصور النمري، فقال هيأني لك يا أمير المؤمنين، ثم أذن للأعْرَابيّ، فدخل وعليه جُبَّة حبر ورداء يماني، قد شدَّ وسطه وثناه على عاتقه، وعمامة قد عصبتها على حدرية، وأرخى لها عذبة، وألقيت الكراسي فجلس الكسائي، والمفضل الضبي وابن سَلْم، والفضل بن الربيع.

فقال ابن سلم للأعرابيّ: خذ في شرف أمير المؤمنين، فاندفع الأعرابيّ في شعره، فقال الرشيد:

ما أحسنك في هذا الكلام، وأنا أسمعك مستحسناً لك، متهماً عليك، فإن يكن هذا الشعر لك، وأنت قلته من نفسك فقل لنا في هذين بيتين، يعني الأمين، والمأمون.

فقال: يا أمير المؤمنين حملتني على العذر غير الجدّ روعة الخلافة وبَهْرُ بديهة ونُفور القوافي عن الرُّواة! فأمهلني يا أمير المؤمنين، حتَّى يتآلف لي هراها، ويسكن روعي، فقال: أمهلتك يا أعْرابيّ وجعلت اعتذارك بدلاً من امتحانك، فقال: يا أمير المؤمنين، نفّست الخناق، وسهّلت ميدان السباق، وأنشد يقول:

بَنَيْتَ بِعَبْدِ اللهِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... ذُرَى قُبَّةِ الإسْلاَمِ فاخضَرَّ عُودُهَا

هُمَا طُنُبَاهَا بَارَكَ اللهُ فيهِمَا ... وأنْتَ أميرُ المُؤمنينَ عَمُودُهَا

فقال الرشيد: وأنت يا أعرابيّ، فبارك الله لك فيك، فاسألنا، ولاتكُ مسألتك دون إحسانك، فقالت الهنيدة(١): يا أمير المؤمنين، فتبسم. فقالت امرأتي: طلقتني يا أبا الجوزاء، فقلت: من أين لك هذا؟ قالت: حدثتني جارتي الأنصارية، قلت: ومن أين لها؟ قالت: ذكرت، أو زوجها خبَّرها بذلك، قال فغدوت على ابن عباس فقصصت عليه القصة، فقال لي: أما علمت أنْ وساوس الرجل تحدث وساوس، فمن ها هنا يفشو السرّ.

قال أبو نعيم: فكان في نفسي من هذا الحديث شيء، حتَّى حدثني حمزة بن حبيب الزيات، قال خرجت سنة من السنين أريد مكة، فلما صرت إلى بعض الطريق ضلَّت راحلتي، فخرجت أطلبها، فإذا أنا باثنين قد قبضا عليّ، أحس جسمهما، ولا أرى شخصهما، بل أسمع كلامهما فأخذاني إلى شيخ قاعد على تلة من الأرض، وهو حسن الشيبة، فسلمت عليه فرد السلام، فأفرخ روعي، ثم قال لي: من أين أنت؟ وإلى أين؟ قلت: من الكوفة إلى مكة.

قال: و لم تخلّفت عن أصحابك؟ قلت ضلّت براحلتي، فجئتُ أطلبها، فرفع رأسه إلى قوم عنده وقال أنخ راحلته، فأنيخت [١٤٦] بين يدي، ثم قال: أتقرأ القرآن قلت نعم. قال: فاقرأ فقرأتُ حم الأحقاف، حتَّى انتهيت إلى. ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾ [الأحقاف:٢٩].

فقال مكانك، أتدري كم كانوا؟ قلت: لا، قال: كنا أربعة، وكنت أنا المخاطب عن النبي (ﷺ) لهم، فقلت: **«يا قومنا أجيبوا داعي الله، ثم قال: أتقول الشعر؟ قلت: لا، قال**

(١) الهنيدة: المائة من الإبل، اللسان: (هند).

فترويه؟ قلت: نعم، قال: هاته»[1].

فأنشدته قصيدة زهير بن أبي سُلمى[2]: [الطويل]

أَمِــنْ أُمِّ أَوْفَــى دِمْنَــةٌ لَــمْ تَكَلَّــمِ بِحَوْمَانَــةِ الــدَّرَّاجِ فَــالْمُتَثَلَّمِ

، فقال لمن هذه؟ قلت: لزهير بن أبي سُلمى، قال: لجنيّ، قلت: لا، بل لإنسيّ، ثم رفع رأسه إلى قوم عنده، فقال: ائتوني بزهير فأُتِي بشيخ كأنه قطعة لحم فألقي بين يديه، فقال له: يا زهير، قال لبيك، أمن أُمّ أوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تكلّم، لمن هي قال لي، قال حمزة الزيات يذكر أنه لزهير بن أبي سُلمى، قال: صدق وصدقت، قال: وكيف هذا؟ قال هو العي من الإنس، وأنا تابعه من الجن أقول الشيء فألقيه إليه في فهم، ويقول النسيء فآخذه عنه، فأنا قائلها في الجن. وهو قائلها في الإنس، قال أبو نعيم فصدق عندي هذا الحديث، حديث إلى الجزاء أنّ وساوس الرجل تحدث وساوس، فمن هنا تفشوا الأسرار، فاستفرغ المتوكل ضحكاً، وقال إليَّ إليَّ يا فتح قضت عليه خلعة، وحمله على فرس، وأمر لَهُ بمال، وأمر لي بدون ما أمر له، فانصرفت إلى منزلي، وقد شاطرني الفتح ما أخذ فصار لي الأكثر، والأقل للفتح.

قال أبو عبيدة وقف حاجب بن زرارة على باب كسرى يستأذن عليه، فقال كسرى: قولوا لَهُ من أنت؟ قال: سيِّد العرب، فقال كسرى: أما زعمت أنك رجل منهم؟ فكيف تكون سيدهم؟ فقال: أيُّهَا الملك، وقفت ببابك، وأنا رجلٌ غير متقدم عليهم، فلما وصلت إلى الملك سُدتهم، فقال كسرى: أحسنت احشوا فاهُ دراً.

قيل لأعرابيّ: ما السيِّد فيكم؟ قال: من أفشى سلامه، وملك كلامه، وبذل طعامه.

قالت الخنساء لعمر كان لله لديك نعم قد أنعم بها عليك وإحسان قد أحسن به إليك، ثم وصّاك وعهد إليك أنْ تغيث الملهوف إذا وفد عليك، فإن كان قد انتزع منك تلك العطية، فقد أباحك ترك الوصية، وإنْ كانت نعمة لديك نامية فوصيته لك لازمة، وها أنا قائمة بين يديك، ورقيباك شاهدان عليك إن أحسنت إليَّ محسناً سخيّاً ﴿**وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِه فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الحشر: ٩].

وإن رددتني كتبتاك مسيئاً بخيلاً ﴿**ومن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِه، واللهُ الْغَنِـيُّ، وأنْـتُمْ الْفُقَرَاءُ**﴾ [محمد: ٣٨].

---

(١) لم يرد الحديث بهذه الصيغة في الكتب المعتمدة.

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٤.

ثم ولت منصرفة فاستعدادها وردها وقال [١٤٧] لا والله ما أرتجع تلك العطية، ولا أناحني ترك الوصية، بل نعمة لدي نامية، ووصيته لي لازمة، فأعطاها ما أمكنه واعتذر.

قال أبو العباس: اختلف النَّاس في الجمائر الثلاثة ما هي، فقال قوم إن العرب كانت توقد النار في الشتاء للاصطلاء في كل يوم ثلاث مرات في حُفَر فالأولى وقت الغـــداة فيُبقـــي جمرتهم يصطلون بها إلى قريب الظهر، ثم تصير رماداً، فيعودون فيوقدونها ثانياً في الحفرة مـــن وقـــت الظهر فتبقى جمرته، يصطلون بها إلى وقت المغرب.

ثم تنطفي، وتصير رماداً، فيعودون، ويوقدون الثالثة من وقت المغرب، فيصطلون بها، حتَّــى يناموا، فإذا كان اليوم السابع من شباط حَميت الشمس، وانكسر البرد، فأســقطوا جمــرة وهي، التي تكون وقت الظهر وسط النهار، فلم يوقدوا، وإذا مضى منه أربعة عشر يوماً نزلت لشمس الحوت واشتدَّ حرُّها، أسقطوا الجمرة، التي تكون آخر النهار، فإذا جاء يوم الحادي والعشرين أسقطوا جمرة الغداة، ولم يوقدوا شيئاً.

وقال قوم إنَّ النار إذا اصطلى بها إنسان، في أيام شباط حمي كبده، فلهذا يقال سقطت جمرة ولا خلاف إنها تكون في اليوم السابع إلا في ليلته، وما اختلف المنجمون به لا يطلع به لــذلك كوكب، ولا تغيب الكواكب، لأن الكواكب لا يختص طلوعها يوم سابع، ولا سادس، لأ قد يطلع في هذا العام في يوم السابع، واليوم الثاني، أما في السادس، أو في الثـــامن، أو غــ ذلك، فبان صحة قولنا. قال لما كَبِرَ المرتضى، وأسنَّ أخذ العكاز يتوكأ عليهـــا، وأنشـــد[1]

[البسيط]

أَهْدَى لِيَ الشَّيْبُ مِنْهُ رِجْــلاً ثَالِثَــةً ... وَكُنْتُ مِــنْ قَبْلِهَــا أَمْشِــي بِــرِجْلَيْنِ

هَدِيَّــةً كُنْــتُ آبَاهَــا فَصَــيَّرَهَا ... إِلَــيَّ بِــالرَّغْمِ مِنِّــي قُــرَّةَ العَــيْنِ

أَمْشِي بِهَا، وهي تَمْشِي لِي مُعَاوِنَــةً ... مَا كَانَ أَحْسَــنَنِي أَمْشِــي بِــلَا عَــوْنِ

بَانَ الشَّبَابُ وَظَلَّ الشَّيْبُ يَصْــحَبُهُ ... وَلَيْتَهَــا صُــحْبَةٌ تَبْقَــى بِلَــا عَــوْنِ

كان أعرابيٌّ يجالس الشعبيَّ، فيطيل الصمت، فقال له: ألا تتكلم؟، فقـــال أســـمع، وأعلـــ وأسكت فأسلم.

دخل سابق على عامر بن عبد الله بن الزبير، فنظر إلى ابن لَهُ صغير يلعب في الدار، فقال لــ أتحبه؟ قال نعم، قال فأشكله بجميل من أدبك قبل أنْ يُشكِّل نفسه بما تكره، فتريد تحويله،

---

(١) لم ترد الأبيات في ديوان المرتضى.

تستطيع؟

قال ابن سبرة: ما رأيتُ على رجلٍ لباساً أحسنَ من فصاحة، ولا على امرأة لباساً أحسن من شحم. وقال آخر: حلية النساء الذهب وحلية الرجال الأدب.

كتب صاحب البريد من الخيل إلى المعتصم يخبِرُهُ بكثرة [١٤٨] الكلأ وحصب السنة، فقال لوزيره ما الكلأ؟ قال: لا أدري، قال المعتصم: إنا لله خليفة أُمِّيّ، ووزير عامي.

قال كان ليحيى بن خالد البرمكي كاتب يختص بخدمته، فعزم على ختان ولده، فاحتفل النَّاس لَهُ وهاداه الأكابر وحمل عليه الأعيان الظرائف، وكان لَهُ صديق قد اختلف حاله وعجز عما يريده لذلك، وكان من لظرفاء، واللطفاء.

فعمد إلى كيسين كبيرين فملأ أحدهما ملحاً مطيباً، والآخر أشناناً مكوفراً وكتب معهما رقعة يقول فيها، لو تمَّت الإرادة لأسعفت بالعادة، ولو ساعدت المكنة على بلوغ الهمة لأتعبت السابقين إلى برِّك.

وتقدمت المجتهدين في كرامتك، ولكن قعدت القدرة عن البغية وقصرت جِدَّة عن مباراة أهل النعمة، وخفنان تطوي صحائف البرِّ، وليس لي فيها ذكر، فأنفذت بالمبتدأ بيمنه وبركته، والمختتم بطيبه ونظافته، صابراً على ألم التقصير، ومتجرعاً غصص الاقتصار على اليسير، فأما ما لم أجد إليه سبيلاً في قضاء حقك، فالقائم فيه بعذري، قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ، وَلا عَلَى الْمَرْضَى، وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ [التوبة: ٩١].

ثم حضر يحيى بن خالد الوليمة، وعرض عليه صاحبه جميع ما حُمل إليه، ومن جملتها ذلك الملح، والأشنان، والرقعة فاستظرف الهدية، وأعجب بالرقعة، وأمر خازنه أنْ يملأ الكيسين عيناً، وينفد بهما إلى الرجل،وكان مبلغ ذلك أربعة آلاف دينار.

ورد أعرابيّ البصرة فحضر يوم الجمعة، والمؤذنون على المارة، ولم يكن عَهِدَ بالأذان، والمنارة، فقال ما هذا؟، فقال لَهُ بعض المُجَّان: من كان في قلبه حاجة يصعد إلى هذه العلية، ويذكرها ظاهراً فيعطى مناه، فقال: فإني، والله أصعد، وأذكر حاجتي، فقال الماجنُ لنقيب المؤذنين هذا الأعرابيّ حسن الصوت بالأذان، فدعه ليؤذن، فصعد، وتنحنح، ثم اندفع يقول: [الطويل]

جَزَى اللهُ عنَّا ذاتَ بَعْلٍ تَصَدَّقَتْ … على عَزَبٍ حَتَّى يكونَ لَهُ أَهْلُ

فإنَّا نُجازيها لما فَعَلَتْ بِنا … إذا ما تَزَوَّجْنا وَلَيْسَ لها بَعْلُ

أفيضوا على غربائكم من نسائكم … فما في كتاب الله أنْ يُحْرَمُ الفضلُ

فتسارع النَّاس إليه، وطرحوه عن المنارة فمات، فقال بعض نساء أهل البصرة رحـم الله ذاك المؤذن، فما كان أطيب صوته، وأذانه.

قال عليّ بن الجهم: دخلتُ على المأمون فرأيته مضطجعاً وعنده تفاحة معضوضة، بعث بها إليه بعض جواريه مكتوب [١٤٩] عليها بالذهب: [السريع]

لا بـارَكَ الـرَّحْمَنُ في عاشـقٍ ... ياكُـلُ تُفَّـاحَ مُحِبِّيـه

فقال لِيَ المأمون: يا علي قل في هذه التفاحة ثلاثة أبيات ولك بكل بيت ألف دينار، فقلت(١) [البسيط]

تُفَّاحَةٌ جُرِحَـتْ بالـدُّرِّ مِـنْ فيهَـا ... أَشْهَى إليَّ مِـنَ الـدُّنْيَا ومـا فيهَـا

جَاءَتْ بِهَا طَيِّبَـةٌ مِـنْ عِنْـدِ غَانِيَـةٍ ... نَفْسي مِنَ السُّوءِ، والآفَـاتِ تَفْـدِيهَا

لَوْ كُنْـتُ مَيْتـاً وَنَـادَتْني بِنَغْمَتِهـا ... إِذَنْ لأَسْرَعْتُ مِـنْ لَحْـدِي أُلَبِّيهَـا

فقال هات قلت: [البسيط]

بَيضَـاءَ في حُمْـرَةٍ عَلَـتْ بغَالِيَـةٍ ... كَأَنَّهَا قُطِفَـتْ مِـنْ خَـدِّ مُهْـدِيهَا

فأمر لي بأربعة آلاف دينار، فأخذهما وخرجت.

قال أبو الفضل جعفر بن الفرات الوزير، هذا الكلام مجرّب لكل علّة، بسم الله، ويضع يـده على الأرض، ويمسحها على موضع الوجع، ويقرأ: ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَـابٍ بِـهِ لَقَـادِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨]

سبع مرات فإنه يزول بإذن الله، سبحانه، وتعالى، لابن حجّاج: [الطويل]

أَقُـولُ لِحَمْـأَةٍ وقـد طَـالَ أَمْرُهَـا ... أَرَدْتِ وما بي اللهُ أَنْ تَكْسِفي البَـدْرَا

فَقَالَـتْ مَعَـاذَ اللهِ لَكِـنْ أُنَبِّئُـهُ ... لأَمْرَيْنِ قَدْ أَوْضَـحْتُ بَيْنَهُـا القَـدرا

أُبَشِّـرُهُ بَعْـدي بطُـولِ حَيَاتِـهِ ... صحيحاً كما أَهْوَى وأَكْسِـبُهُ أَجـراً

سأل الوليد بن عبد الملك شراعة الشاعر عن طيب المجالس فقال: لـولا أنَّ المطـر يغـرق والشمس تحرق، لما كان في الدُّنْيَا أحسن من شرب على وجه السماء وضوء المـاء، وصـفو الهوى، وخضرة الكلأ، وسعة الفضاء.

دعا رجلٌ قوماً فيهم أبو نواس، فجلسوا، وطالوا وجاعوا، والرجل يخرج، ويدخل، فقال

(١) لم ترد الأبيات في ديوان علي بن الجهم المطبوع.

أبو نواس[1]: [السريع]

يَــــا ذَاهِبـــــاً فِي دَارِه جَائِيَــــــا ... مِــنْ غَيْــرِ مَــا مَعْنًــى ولا فَائِــدَة

قَدْ جُــنَّ أَضْــيَافُكَ مِــنْ جُــوعِهِمْ ... فَاتْــلُ عَلَــيْهِمْ سُــورَةَ المَائِــدَة

قال دعبل دعاني صديق لي مع جماعة من إخوانه، فوضع بين أيدينا عَصيدَة قد حفر وسطها، وجعل فيه سمناً كثيراً فأخذ أحدهم منها قطعة [١٥٠] وغمسها في السمن، وقال: ﴿**فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ، وَالغَاوُونَ**﴾ [الشعراء: ٩٤].

وجرَّ السَّمنَ إليه، فقال آخر: ﴿**أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا**﴾ [الكهف: ٧١] وجرَّ السَّمنَ إليه، فقال الآخر: ﴿**فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ**﴾ [فاطر: ٩].

وجرَّ السَّمنَ إليه، فلم يتكلم أحد. فقلت أنا: ﴿**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ، ويا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ**﴾ [هود: ٤٤].

وخلطت السمن بما بقي فأكلته.

رُوي: أُخذ نصراني مع مسلمة قد فجر بها في انقضاء صومهم، وأول شهر رمضان، فضرب خمسمائة سوط. فأسلم، وألزموه مهر مثلها، وكان مهرها أربعة آلاف درهم، فوزنها، ثم شرع في صوم رمضان، وألزموه بالختان فختن، فلقيه رجلٌ من العدو قال له، كيف أصبحت، فقال أصبحت بأعظم مصيبة ابن آدم خرجت من ديني ودين آبائي، وقطع ثلثي ذكري، ووزنت أربعة آلاف درهم، وضربت خمسمائة سوط، وأصوم تمام ثمانين يوماً وحصل في بيتي قَحْبَة.

قيل إنَّ أعرابياً بعث إلى امرأته بنِحْيٍ[2] سمن وثلاثين شاة، فأخذ الرسول بعض ما في النحــي، وأخذ من الغنم شاة، فقالت المرأة للرسول أبلغه السلام، وقل له، إنا جرينا الأسود الذي كان يطالعنا أتانا مَن بها، وإنَّ هلالنا كان محاقاً، فلما أدى إليه الرسالة، قال يا عدو الله أخذت شاة من الغنم ونقصت النِّحْي، و لم يفارقه، حَتَّى استرد منه ما أخذ.

ذكر ابن السمعانيّ في التذييل: بينما الشافعيّ رحمة الله عليه ببغـــداد في حلقـــة المنـــاظرة إذا طرحت بين يديه رقعة، فقرأها علينا وفيها مكتوب: [الطويل]

عَفَا اللهُ عَــنْ عَبْــدٍ أَعَــانَ بِــدَعْوَةٍ ... خَلِيلَيْنِ كَانَــا دَائِمَــيْنِ عَلَــى الــوُدِّ

إلى أَنْ وَشَى وَاشِــيَ الهَــوَى بِنَمِيمَــةٍ ... إِلى ذَاكَ مِنْ هَذَا فَحَالَــا عَــن العَهْــدِ

---

(١) ديوان أبي نواس ٢١٥.

(٢) النحي: وعاء السمن، وهو من جلد، اللسان: (نحا).

قال الشيخ الإمام العالم مهذّب الدين، بقية السلف، شيخ العراقَين أبو الحسن سعد الله بن نصر بن الدجاجي، مصنِّف هذا المجموع، رأيت رقعة ملصقة في محْرَاب مسجدي، المختارة من بغداد وفيها مكتوب: [الطويل]

شكَوْنا إلى ذي العَرْشِ لَمَّا تَقَاصَـرَتْ ... عن المُبْتَغَـى أَيـدي العبـادِ جَميعَـاً

فَكُنْ مُسْعدي يَا ابْنَ الدَّجاجيِّ بِـدَعْوَةٍ ... عَسَى يا ابنَ نَصْرٍ أَنْ تُجَـابَ سَـرِيعَاً

وَأَنْ يَلْتَقِـي هَـذا الغَرِيـبُ بأَهْلِـهِ ... فيطفي جـوىً، أو أَنْ يَلَـذَّ هجُوعَـاً

فقد مزَّقت أيدي النَّوى ثـوبَ صَبْـرِهِ ... وَمَلَّ فـأَذْرَى أَدْمُعَـاً وَنَحِيعَـاً[١٥١]

فكتبت تحته: [الطويل]

أعادَكَ يَـا هَـذا الغَريـبُ مُسَـلَّماً ... إِلَى جمْعِ شَمْلٍ عَـادَ فيـكَ قَطِيعَـاً

وَسَـرَّكَ باللقيَـا لَقَـومٍ تُحِـبُّهُمُ ... وضَمَّكُمُوا ربـع الوصَـال سـريعا

جاء سائل إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله يطلب شيئاً ما. حضر عنده، ثم أنشأ يقول: [البسيط]

يَا لَهْفَ نفسـي علـى مـالٍ أُفَرِّقُـهُ ... على المُقِلِّيـنَ مِـنْ أَهْـلِ المـروءاتِ

إنَّ اعتذاري لمنْ قـدْ جـاء يسـأَلُني ... مَا لَيْسَ عندي لَمِنْ إحْدَى المُصِيبـاتِ

قال أحمد بن معاوية بن بكر، كانت أم هشام بنت منظور بن زبان عند عبد الله بن الزبـان، فلما قتله الحَجَّاج من قبل عبد الملك بن مروان، بعث إليها عبد الملك بن مروان مَنْ يخطبـها عليه، فلما بلغها الخبر.

قالت يقتل بعلي بالأمس، وأتزوجه اليوم، ثم خافت إن ردته تضر بأهلها، وهـا في نقيهـا، وكانت من أجمل النساء، وأحسنهن ثغراً، فدعت بفهر[1] يعني حجراً، فحطمت بـه فاهـا، فكسرت ثناياها، وبعد أيام، تلثمت، وأذنت لرسوله، فلما أبلغها الرسالة قالت: مـا لأمـره مردّ، ولا وراءه مذهب، ثم كشفت عن فيها وقالت، ما أحسب لأمير المؤمنين في حاجة، بعد ما ترى، وحسرت عن فيها، فلما رأى رسوله ذلك انصرف إليه، فأخبره، وأمسك عنها.

وقال ابن عائشة حدثني أبي قال: كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل عند عبد الله بـن أبي بكر الصديق، فزاد حبه لها، حتَّى شغلته عن سوقه وصنعته، فقال أبوه يا بني قد شـغلتك

(١) الفهر: الحجر الذي يدق به العطر، اللسان (فهر).

هذه عن صنعتك وسوقك، فطلقها واحدة، ثم اشتد وجـ ده عليها فجا لأبيه على طريقـه، وأنشده، وهو يبكي: [الطويل]

وَلَمْ أَرَ مثلي طَلَّـقَ اليومَ مِثْلَهَـا ... ولا مِثْلَهَا ـن غَيْـرِ ذنـبٍ تُطلَّـقُ

فرق لَهُ أبوه، وأمره بمراجعتها، فلم تزل عنده، حَتَّى ضي ـن السهم الذي أصابه في الطائف، ومات عنها، فرثته وقالت:

فُجِعْتُ بخير النَّـاسِ بعـد ـبِـيِّهِمْ ... وبَعْدَ أبي بكـرٍ ومـا كَـانَ قَصَّـرَا

فآليـتُ لا تنفـكُّ عـيني سَـخِينَةً ... عَلَيْـكَ ولا يَنْفَـكُّ جِلْـدِي أغْبَـرَا

مدى الدهر مَا غَنَّـتْ حَمَامَـةُ أ ـكـةٍ ... ومَـا طَـرَدَ الليـلُ النـهارَ المُنَـوَّرَا

فللـهِ عينـاً مَـنْ رَأَى مثلَ ـهُ فَـتًى ... أكَدَّ، وأَحْمى في الهياج، وأَصْبَرَا [١٥٢]

ومنها:

إذا شَرَعَتْ فيـه الأَسِـنَّةُ خَاضَـها ... إِلَى المَوْتِ حَتَّى يَتْرُكَ المَـوْتَ أَحْمَـرَا

قال ابن عائشة فقلت لأبي أنشد ما قدمته، قال إنه كان قدم الإسلام، وكان يختلف إلى النبي (ﷺ) وإلى أبي بكر وهما بثور، يعني جبلاً اسمه ثور بالطعام.

قال محمد بن عمر: فلما هلك عبد الله بن أبي بكر خلف عليها عمر بن الخطاب، قال حماد بن سلمة، وقد كان عبد الله بن أبي بكر أعطاها أربعة آلاف درهم، وقال ابعثي بهـا إلى أبي بكر؛ فإن هذا لا يصلح، قال فأولم عليها عمر، ثم دعاه أصحاب رسول الله (ﷺ) فجاء الزبير يجلس قريباً من المخدر وقال:

فآليـتُ لا تنفـكُّ عـيني سـخية ... عليـك ولا ينفـكُّ جلـدي أغـبرا

فقال عمر ما أردت بذلك، قال أردت أنْ أذكرها العهد، قال: وكانت تحضر الصلاة، وكانت جميلة، وكان عمر غيوراً، وكان يقول لها لو أنك صليت في بيتك، فتقول لا، والله، أو تنهاني لا، والله، لا أنهاك، وقد سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: **«لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»**(٢).

---

(١) ضي: مرض، (اللسان: (ضي).

(٢) ورد الحديث في صحيح البخاري ٧/٢، سنن أبي داود ٥٦٥، ٥٦٦، مسند أحمد بن حنبل ١٦/٢، ٣٦، ٤٣٨، ٤٧٥، ٦٩/٦، ١٣٢، ١٣٤، ٢٢٤/٥، صحيح ابن خزيمة ١٦٧٩، مجمع الزوائد للـهيثمي ٣٣/٢، المعجـم الكـبير للطـبراني ٣٦٣/١٢، مسند الحميدي ٩٧٨، مصنف عبد الرزاق ٥١٢١، كنز العمال للمتقي الهندي ٤٣٢٣٢، تلخيص الحبير لابـن

فلم تزل عنده، حتّى قتل رحمه الله عليه ورضي عنه فرثته وقالت: [الخفيف]

فَجَعَتْنِي المنونُ بالفارسِ المُعَلّمِ يومَ الهياجِ والتلبيبِ
عصمةُ النَّاسِ والمُجيرُ على الدهرِ وغيثُ المكروبِ والمحروبِ
قلْ لأهل الضَّرَّاءِ والبُؤْسِ مُوتُوا قدْ سقَتْهُ المنونُ كأسَ شعوبِ

قال فخلف عليها بعد الزبير، وكان يقول لها، لو صليت في بيتك فتقول مثل مقالها لعمر، قال حماد بن مسلمة، فخرجت يوماً مغلسة وخرج الزبير في أثرها متنكراً، فدنا منها فضرب بيده على أوراكها، فلما رجعت لزمت بيتها، ولم تخرج فكان يقول لها لم تركت الصلاة في المسجد فتقول هيهات فسد النَّاس يا أبا عبد الله، فقتل عنها فرثته، وقالت: شعراً: [الكامل]

غدرَ ابنُ جرموزَ بفارسِ بهمَّةٍ يومَ اللقاءِ، وكانَ غيرَ معرِدِ
يا عمروُ لَوْ نبَّهتهُ لوجدتهُ لا طائشاً رَعِشَ السِّنَانِ، ولا اليَدِ
سَأَلْتُ عَيْنيكَ إنْ قتلتَ لمسلماً حَلَّتْ عَلَيْكَ عُقُوبةُ المُتَعَمِّدِ

فخلف عليها محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر، فلم تزل عنده، حتّى قتل عنها ومثلوا [١٥٣] به، فإنهم أدخلوه جوف حمار، ثم حرقوه، فقالت: [الطويل]

فإنْ تقتلُوا أو تُمثِّلُوا بمُحَمَّدٍ فَمَا كَانَ مِنْ أحْلِ النِّساءِ ولا الخَمْرِ

قال أبو الحسن المدائني، فكان ابن عمر بعد ذلك يقول: من أراد الشهادة فلتزوج عاتكة بنت زيد.

قارع الزبير بن العوّام عثمان بن عفان (ﷺ) فقال الزبير مفتخراً، أنا ابن صفيَّة، قال: هي أذيتك من الظل، ولولاها لكنت صاحباً.

ذكر أنَّ أبا نواس: استأذن على الأمين، وعنده بعض جلسائه، فقال يا أمير المؤمنين: ائذن لي في تحريك أبي نواس، إذا دخل، فقال له: أخاف عليك جواباً مسكتّاً، فقال قد أمّنتك الله ذلك، قال فدونك، وهو، فلما دخل واستقر به المجلس، قال لَهُ: البشري: يا أبا نواس، قال على ماذا قال قد ولاك أمير المؤمنين الرئاسة على القردة، فقال لَهُ فاسمعْ إذن، وأطع، فإنك من الرعية فضحك الأمين وقال للمعرض نميتك، فلم تنته فَذُقْ.

بعض العباد رفسته دابة فكسرت رجله، فأتاه من يعوده، فقال لولا مصائب الدُّنْيَا، لوردنا

حجر ٨١/٢، حلية الأولياء لأبي نعيم ١٣٧/٧.

الآخرة، ونحن مفاليس.

قال محمد بن علي إن الله سبحانه خدع المؤمنين بعضهم من بعض، سبحانه أوليس قد استغفرت لَهُ فيقول يا رب متي؟ فيقول في اليوم الفلاني، قلت اللهم اغفر لي، وللمؤمنين، والمؤمنات، فإن شئت قبلتها منك، وهي أحدهم، وإنْ شئت رددتها عيك، وأنت أحدهم، فيقول قد شئت أنْ تقبلها مني فتزول المظلمة منذ ذلك، فخدع الله المؤمنين بذلك. للمعري في تأديب الولد الصغير:

اضربْ وليدكَ، وأدِّبْهُ عَلَى رَشَدِ ... وَلاَ تَقُلْ هُوَ طفلٌ غيرُ مُحْتَلِمِ

فَرُبَّ شَقَّ بِرَأْسٍ خَيْرُ منفعةٍ ... وَقِسْ عَلَى نَفْعِ الرَّأْسِ بالقَلَمِ

حكى الأصمعي قال: كنت ببعض البوادي، فمررت بشيخ وبين يديه صبي وصبية، وهو يرقص الصبية، وينشد: [المنسرح]

بُنَيَّتِي رَيْحَانَتِي أَشُمُّهَا ... يُعْجِبُنِي التزامُهَا وَضَمُّهَا

فَدَيْتُ بِنْتِي ... وَفَدَيْتُ أُمَّهَا

فقلت لَهُ أما لهذا الصَّبِيّ فيما أنت فيه حظ؟، فقال بلى قد أخذ حظ، فقلت ما اسم الصبي؟ فقال: حكيم، قلت فهل قلت فيه شيئاً قال نعم، وأنشد [١٥٤] [الطويل]

يَقِرُّ بِعَيْنِي، وهو يَنْقُصُ مُدَّتِي ... مُرورُ الليالي إنْ يَشُبَّ حكيمُ

مخافةَ أنْ يغتالني الموتُ دونهُ ... فَيغشَى بُيُوتَ الحَيِّ، وهو يتيمُ

ثم فارقته برهة من الدهر، وغدوت، وإذا بالشيخ جالس، وقد كبر فدنوتُ منه وسلمت عليه، وسألته عن ولده حكيم، فقال هو سيدّ أهل الحي اليوم فقلت كيف هو معك مما كنت معه في صغره فأنشد: [المتقارب]

فَدَيْتُكَ مِنْ رايحٍ يَغْتَدِي ... إذَا مَا البُيُوتُ اكتَسَيْنَ الجَلِيدَا

كفيتُ الَّذِي كُنْتُ أكْفِيْتَهُ ... فَصِرْتُ أُبَالِي وَصِرْتُ الوَلِيدَا

غبتُ عنه مدة، وعدتُ، وإذا به خارج بين يديه جنازةٌ، فقلت يا شيخ ما صنع حكيم، فقال مات حكيم: [الطويل]

لَقَدْ كُنْتُ أرجُو مِنْ حكيمٍ إيابهُ ... عَلَيَّ إذَا مَا النعشُ، ولا تَدَانيا

فَعَجَّلَ قَبْلِي يومُهُ فارتديْتُهُ ... فياشؤمَ نفسي مِنْ رداءٍ عدانيا

ثم أنشد: [الكامل]

يَا مُؤْنِساً سَكَنَ الثَّرَى وبقيتُ   لو كنتُ أنصفُ إذ فَنِيتَ فُنِيتُ

احيٌّ بكذبُ لا صديقَ لمَيِّتٍ   لو كان ذاكَ يُميتُ كنتُ أموتُ

قيل إنهُ مر سليمان بن وهب بقبر عبد الله بن يحيى بن خاقان قرب موته، فأنشد شعر مهلهل(١): [الكامل]

ذَهَبَ الخيارُ مِنَ المَعَاشرِ كُلهمُ   واستَبَّ بعدَكَ يا كُليبُ المجلسُ

وتنازعُوا في كُلِّ أمرٍ مُلِمَّةً   لَوْ كُنْتَ ثم شَهدتَهم لم ينبسُوا

قال المنصور الخالدي كنت ليلة عند القاضي في ضيافته فأغفا إغفاءة فخرجت منه ريح فضحك بعض القوم، فانتبه لضحكته، ففطن، ثم مكث هنيهةً، ثم قال: [الطويل]

إذَا نَامَتِ الفِتْيَانُ مِنْ متيقظ   تراحتْ بلا شكٍ تَسَابيحُ فقحتهِ

فَمَنْ كانَ ذا عقلٍ فيعذرُ نائماً   ومن كانَ ذا جَهْلٍ ففي جَوفِ لحيتهِ

دخل عبيد الله بن زيد بن ضبيان على عبد الملك بن مروان، وفي خفه مهماز مكسور، فما وضع رجله على شيء من فرشه إلا أحرقه، فاغتاظ منه، إلى أنْ وصل إلى جنبه، فقال لَهُ عبد الملك: يا عبيد الله بلغني أنك لا تشبه أباك.

قال، والله إني لأشبه بأبي من الماء بالماء، والبيضة بالبيضة، والغراب بالغراب، والتمرة بالتمرة، وإنما الشنان(٢) [١٥٥] فيمن لا تنضجه الأرحام، ولم يولد لتمام، ولم يشبه الأخوال، والأعمام، وكان عبد الملك قد ولد لستة أشهر، فقال عبد الملك، ومن ذاك، فقال سويدُ بن منجوف.

وكان سويدٌ أميراً جالساً بين يديه، ثم خرج عبيد الله وجلس على سرجه، ينتظر سويداً، فلما خرج، ابتدره سويدٌ، فقال، والله ما ساءني ما جرى بعد لقيته لهذا الجبار بما لقيته، وكان هذ عبيد الله قد مات أبوه، وخلفه ابن ست سنين.

وقال لَهُ يا بني إلى من تحب أنْ أوصي بك.؟ فقال يا أبت، إذا لم يكن للحي إلا وصيَّة الميت، فالحي هو الميت، فقال لَهُ أبوه أنت، والله ولدي حقاً، فلما مات أبوه، قلدته أمه بالسيف فقصر عنه، وطال السيف عليه، فقلدته الشمل ودخل على عبد الملك، فقال يا عبيد الله إلى

---

(١) دنوان مهلهل، ص٢٨٠، شعر المراقسة.

(٢) الشنان: العص، اللسان: (شنا).

من وصّى بك أبوك؟

فقال: إن أبي أوصى إليّ، و لم يوصي بي، فلما ركب، ركب لركوبه عشرون ألفاً من قومه، وهو الذي قتل مصعب بن الزبير، وجاء برأسه إلى عبد الملك، فلما رآه سجد له، وأمر لـه بألف دينار، فقال لا تعطيني لقتل مصعب ألف دينار، والله ما قتلته، لا لـك، ولا لأجلـك، ولكن لذحل(١) كان بيني وبينه، ثم ندم كيف لم يضرب رأس عبد الملك بالسيف حين سجد فيكون قد قتل ملكي العرب.

جاء رجل إلى الحَجّاج، فقال يا أمير المؤمنين: عصا عاصي من غرب الحي، وأنا عريف قومي، هدمت داري، وخلف على اسمي وحرمت عطائي، فقال لَهُ الحَجّاج: أما سمعت، قول الشاعر حَيْثُ يقول:

جَانيكَ مَـنْ يُجْني عليـكَ وَقَـدْ ... أجْـدى الصِّـحَاحُ مبـارِكُ الجَـرْبِ

وَلَـرُبَّ مَـأْخُوذ بِـذَنْب قَرِينِـه ... وَنَجَـا المُقَـارفُ صـاحبُ الـذنْب

فقال لَهُ الرجل: ما قاله الله خير مما قال الشاعر قال، وما الذي قاله الله (ﷻ)، قـال: قـال سبحانه، وتعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى(٣٩)﴾ [النجم].

فقال الحَجّاج صدق الله وكذب الشاعر، يا غلام ابن داره وأعد اسمه واردد عليه عطاءه.

ذكر بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

قال: اصطناع المعروف.

قيل إن سبب نقمة الرشيد على البرامكة، أنّ ميمونة أخت الرشيد هويت جعفراً بن يحيى بـن خالد البرمكي، وكانت تراسله، وتلاطفه ليزورها، فيأبى عليها، ويخاف الرشيد أنْ يخونـه في أهله وحريمه، فلما انقطعت حيلتها صنعت لَهُ طعاماً وسألت الرشيد أنْ يتغدى عندها فأجابها. وكان [١٥٦] لا يصبر عن جعفر لمحبته له، فقال، وأخي جعفر، قالت: نعم، فلما أكلا وجلسا إلى المساء يتحدثان، وأرادا الانصراف، فقالت يا سيدي قد اشتريت لك جارية منذ سـنتين، أديبة عاقلة كاملة حسنة، وإنما أردها لهذه فتبيت معها عندي، فتقر عيني بذلك، فقال وجارية أخرى لجعفر قالت وجارية أخرى لجعفر، فلما أدخلت على الرشيد جاريته، لبست ميمونة فاخر ثيابها، وتعطرت ودخلت على جعفر، وهو لا يعلم من هي فباتت معه ليلته.

---

(١) الذحل: الثأر، اللسان (ذحل).

فلما أصبحت قالت إني ميمونة أخت أمير المؤمنين قد كنت أراسلك، وألاطفك على أنْ تحبوني بمودتك، فأبيت، فلما يئست منك، احتلت لهذه الحيلة، وأشهد الله لئن لم تزرني لأفضحنَّك ونفسي، فخاف من شرها، ودقيق حيلتها، ولم يأمنها، فكان يزورها، حتَّى ظهر الرشيد على أمرهما. فقتلها وقتله، واستأصل البرامكة.

قال لمنجمون لكسرى إنك لتقتل، قال لأقتلن قاتلي، ثم أمر بُسم فخلطه في أدوية وجعله في برنية، وكتب عليه هذا دواء للجماع مجرَّب، منْ أخذ منه وزن كذا جامع ما شاء، وجعله في خزانة الطيب، والأدوية، فلما قتله ابنه شيرويه، رآه في خزانته، فقال بهذا كان يقوى أبي على الجماع، فأكل منه فمات مكانه. يقال إن عروة بن حزام توفي وجْداً بحليلته عفراء، فمر به ركب فعرفوه، وهو وميت، فلما انتهوا إلى منزل عفراء صاح منهم رجل: [الطويل]

أَلاَ أَيُّهَا القصرُ المغفَّلُ أَهْلُهُ ... إليكُمْ نَعَيْنَا عُروةَ بْنَ حِزَامِ

فسمعت عفراء أشرفت من القصر وقالت: [الطويل]

أَلاَ أَيُّهَا الرَّكْبُ المخثونَ ويحكُم ... أحقٌ نعيتُم عُروْةَ بْنَ حِزامِ

فأجابها رجل من القوم: [الطويل]

نَعَمْ قدْ دفنَّاهُ بأرضٍ بعيدةٍ ... مقيمٌ بها في سَبْسَبٍ وآكَامَ

فقالت مجيبة له: [الطويل]

فإنْ كانَ حقاً ما تقولون فاعْلَمُوا ... بأنْ قد نَعَيْتُم بَدْرَ كُلِّ ظَلاَمِ

فَلاَ هَنِئَ الفتيانُ بالعيشِ بَعْدَهُ ... وَلاَ رجعوُا منْ غيبةٍ بِسَلاَمِ

ولا وضعت أنثى تماماً بمثلهِ ... ولا بُشِّرَتْ في بُعدهِ بغُلاَمِ

ولو تبلغُوا ما قدْ توجهتموه لهُ ... ونُغِّصْتموا اللذات كُلَّ طَعَامِ

ثم سألتهم أين دفنوه، فأخبروها، فسارت إلى القبر تسألهم النزول لحاجتها، فانسلت إليه، فما راهم إلا صوتها فبادروا إليها، وهي ميتة، فدفنوها إلى جانب [١٥٧] قبره، وكذلك يحكى أنْ توبة بن الحمير كان يهوى ليلى الأخيلية، فقال فيها[١]: [الطويل]

ولو أنَّ لَيْلَى الأخيليَّةَ سَلَّمَتْ ... علي ودُوني جندلٌ وصفائحُ

لَسَلمتْ تسليمَ البشاشةِ اورقا ... إليها صدىً مِنْ جَانبِ القَبْرِ صايحُ

---

(١) ديوان توبة بن الحمير، ص ٧٥.

وأغبطُ مـــنْ ليلـى بمَـا لاَ أَنَالُـهُ   ألا كُلُّ مَا قَــرَّتْ بـــه العيـنُ صالحُ

فقيل إنها مرت عليه، وقيل لها هذا قبره فاطلعت من الهودج وقالت، السلام عليك يا توبة، ثم حولت وجهها إلى القوم، وقالت: ما عرفت لَهُ كذبة قبل هذه، فأين قوله، وذكرت الشــعر، فما باله لا يرد السلام، وكان إلى جانب القبر بومة كامنة، فلما رأت الهودج طارت، فنفرت الناقة، وألقتها، هماتت من وقتها، فدفنت إلى جانب قبره.

لما قُتل مصعب بن الزبير، حرجت سكينة بنت الحسين (ﷺ) تريد المدينة، فأطاف بها أهــل الكوفة، فقالوا أحسن الله صحابتك يا بنت رسول الله، فقالت: والله لقد قتلتم جــدي، وأبي وعمي وزوجي مصعباً، أيتمتموني صغيرة، وأيتمتموني كبيرة، فلا عافاكم الله في أهل بلد، ولا أحسن عليكم الخلافة.

في الأمثال: أنَّ عجوزاً كان لها دجاجة، كانت تعيش بما تلتقط من الأرض، وتبيض في كــل يوم بيضة تنتفع بها العجوز، فقالت العجوز لو زدت في علفها، لكانت تبيض في كــل يــوم بيضتين، فجعلت تواسيها في قوتها فسمنت الدجاجة، فانقطع بيضها بالكلية، وهذا مثل بــأن الإحسان ربما ضر.

مثل اخر: دخل جردان إلى دكان حداد، فصادف المبرد، فلم يزل يلحسه، حَتَّى سقط لسانه ــ وهذا مثل لمن يضر نفسه باللحاح في الباطل.

جاء رجل إلى هلال بن العلاء، فقال قد تزوجت، وأريد الليلة آتي بها، فادع الله تعالى بالبركة، فقال رزقك الله البركة، وشدة الظفر عند المعركة.

لما مات الحَجَّاج وجدوا في حبسه رجلاً لَهُ عشرون سنة، فنظروا ذنبه فإذا به قد ضــرط في المسجد، فقال ابن عباس لو خريء في الكعبة لما زيد على هذه العقوبة، فلما أطلق من حبسه، ذهب، وهو يقول: [الطويل]

إذا نحــنُ جَاوَرْنَــا مدينــةَ وَاســطٍ   خَرِينَــا وَصَــلَّيْنَا بِغَيْــرِ حِسَــابِ

قال بعضهم، رأيت أعرابياً قد عبر على هشام بن عمر الزهري، وهو أمير الجزيرة بالموصــل، فلما بصر به الحَجَّاج ابتدروه ضرباً، فرفع صوته فبصر به هشام فأحضره، قال: من أي العرب أنت؟ قال: من مضر، قال من أيّها؟ قال من عقيل، قال: فما أقدمك هذه البلدة؟

قال [١٥٨] الأمل، والطمع وحسن الظن، فقال: هل جعلت لحسن ظنك، وأملك ســلماً إلى حاجتك؟ قال نعم أيُّها الأمير: أبياتاً قلتها في ظاهر البرية فاستحسنتهن جداً جداً، حَتَّــى إذا

وردت باب الأمير فرأيت ما عنده من الهيئة، والاهة وعظم الشأن وشدة السلطان استصغرته حداً. فلجأت إلى لسكوت، والاعتذار.

فقال له هشام: يا أعرابي هل لك أنْ توقع بيننا شرطاً لا نحلفه نحن، ولا أنت؟ قال: وما هو؟ قال: تحضر ألف درهم ندفعها إليك ونشهد الله عيك، ومن حضر، وتنشد أبياتك، فإن كانت أقل من الألف، لم تنقصك شيئاً، وإنْ كانت أكثر من الألف لم نزدك شيئاً. قال الأعرابيّ: رضيت، ثم أنشد يقول: [الطويل]

ما زلتُ أخشى الدهرَ حتَّى تعلقتْ ... يديَ بمنْ لا يَتَّقي الدَّهْرَ صَاحِبُهْ

فلما رآني تحت ظل جناحه ... رَأى مُرتقاً مِنّي عَزيزاً مطالبُهْ

رَأي جَبلاً قد جاوز الحَرْثَ في الثَّرى ... كَمَا جاوزتهُ في السَّماء كواكبُهْ

وليسَ يخافُ الدهرَ منْ كَانَ جارُهُ ... هشَامٌ ولا يَخْشى عَلَيه نَوائبُهْ

فَتَيً كَسماء العَيْث والنَّاسُ تحتهُ ... مِنَ الخلق يَحْكي فعْلُهُ ويقاربُهُ

فضحك هشام وقال: يا أعرابي قد جرنا عليك، ما هذه قيمة أبياتك، بل قيمتها عشرون ألف درهم، فقال الأعرابيّ: إن لي فيها شريك، ولا يجوز البيع إلا يرضى الشريك، فضحك هشام من خبث الأعرابيّ ودهائه، وقال يا أعرابي كأنك حدثتك نفسك بالخيانة وبالنكث، فقال الأعرابيّ أيُّها الأمير رأيت النكث أحسن من الخيانة في الشركة، فازداد هشام تعجباً، وأمر بعشرين ألف درهم فأخذها وانصرف ــ لبعضهم: [البسيط]

عِنْدي حَدَائقُ جُودٍ منْ نوالكُمُ ... قَدْ مَسَّها عَطَشٌ فَلْيَسْقِ مَنْ غَرَسَا

تَدَاركُوها وفي أغْصَانها رَمَقٌ ... فليس يُرجى اخضرارُ العود إنْ يَبِسَا

ولا يُريبنكمُوا طولُ احتباسكمُ ... فالغيثُ أنفعُ ما يأتي إذا احتبسَا

مَنْ قَلَّ دقيقُهُ قَلَّ رفيقُه. يقال من تمام الضيافة الكلام عند أول وهلة، وإطالة الحديث عند المواكلة، يقول: العرب ذهب أبيضاه شحمه وسنانه (وذهب طيباه أكله ونكاحه).

قيل لأبي العيناء إن ابن حمدون يضحك منك، قال [١٥٩] كذا، قال الله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ**﴾ [المطففين: ٢٩].

جاء المطر فوقعت دار أبي علي الضرير، وكان من ظرفاء أهل بغداد فأنشد: [الخفيف]

مَنْ تكنْ هذه السَّماءُ عَليه ... نِقْمَةً أو يكنْ بها مَسْرُورَا

ولقـد أصْـبَحَتْ عَـذَابَاً وبؤسـاً ... ولَقينَـا منْهـا أذىً وشُـروراً
أيُّها الغَيْـثُ كُنْـتَ بؤساً وفقراً ... والنَّـاس حنظـةً وشـعيرا

كتب أبو العيناء إلى سليمان بن وهب الوزير: أنا أصلح الله الوزير زرع من زرعك، إن سقيته راع وزكا، وإن تركته ذبل وذوى، وقد مسني من الوزير، أصلحه الله حقاً بعد بر، وتغافل بعد تعهد، حتَّى شمت عدوّ، وتكلم حاسدٌ، ولله در أبي الأسود حَيْثُ يقول: لا تُهِنِّي بعد إكرامك لي والسلام، قيل لرجل من أصحاب السرايا تقدمْ وقاتلْ وخذ مائتي دينار صحاحاً، فأومأ بيده إلى رأسه وقال: أخاف أنْ يذهب رأس المال، ثم أنشد: [الطويل]

فلو أنَّ لي رَأْسَـيْنِ أذخـرُ واحـداً ... وأَلْقَـى الأَعَـادي بَعْـدَ ذاكَ بِواحـد
لاقدمتُ في الهيجـاءِ إقـدامَ باسـل ... ولَمْ أكُ هيَّابـاً لوَقْـعِ الشَّـدائِد
ولَكِـنَّ رأسـي إذا مَـا فقدتُّـهُ ... وَفَـارَقَني يومـاً فَلَـيْسَ بعائـد

سُئل الحسن البصري، لأي سبب استحب صيام الأيام البيض، ففكر، ثم قال لا أدري، فقال أعرابي عنده لكني، أدري، قال: وما هو؟ قال: لأن القمر يخسف فيها، ولا تخسف في غيرها، فأحب الله أنْ لا يحدث في السماء آية إلا حدث في الأرض عُبَادَة، فقال الحسن عند الأعرابي علم، فأسألوه.

يعجبني، قول ابن الرومي[1]: [الوافر]

وَقَـالوا في الهِجَـاءِ علَيْـكَ إثْـمٌ ... فَقلْـتُ الإثْـمُ عنْـدي فـي المَـديح
لأنِّـي إنْ مَـدَحْتُ أقُـولُ زوراً ... وأهْجُـو حِـينَ أهْجُـو بالصَّـحيح

ولابن الرومي[2]: [السريع]

لا تَلـحِ مَـنْ يبكـي شـبيبَتَهُ ... إلا إذا لَـم يَبْكِهَـا بِـدَم
لسـتا تراهـا حـق رؤيتـهـا ... إلاّ أوانَ المَشـيب والهَـرَم
ولَـرُبَّ شـيءٍ لا يُبيّتـهُ ... وُجدانُـهُ إلاّ مَـعَ العَـدَم
كالشَّمْسِ لا تبـدُو فضـيلتها ... حَتَّـى تُغشى الأرضَ بـالظُلَم[١٦٠]

ذكر أنّ بعض الأغنياء افتقروا إلى أنْ تعذر عليه قوته، فكتب بخطه شفاعة الوزير ابن مقلة،

---

(١) ديوان ابن الرومي ٢٣٣/١.
(٢) ديوان ابن الرومي ١٩٦/٤.

تزويراً عن لسان أبي عمر القاضي، سأله معيشة، ثم سلمها إليه بيده، إلى ابن مقلة في ديوانه، فما شك أنها خط القاضي، فقرأها وقال كرامة لشفاعته وطاعة، اجلس، قال: فجلست، وأنا ورجل من القاضي أبي عمر.

وإذا به قد دخل إلى الوزير فأكرمه وقال الآن وصلت رقعتك وشفاعتك، وأنا مهم بتحصيل شغله، فقال لَهُ القاضي: وأيّ رقعة هي؟ قال: فأخرجها وسلمها إليه، فقرأها وانشغل بالنَّاس، فجعل القاضي ينظر إلى النَّاس، فلم يرَ غيري، وأنا أتودد، وأتلون، فقال للوزير إي والله، ومن أحنه حضرت، وهو من بيت كبير وفضل غزير، وفيه الكفاية، فرفع الوزير إليَّ حاجبيه.

وقال، قل لكتبة الديوان، يعرضون عليه الأعمال جميعها، الخالية، والمشغولة، ويسلم إليه مـا يختار، وتضعف الجباية، فقال القاضي، ويكون معه غلامي ليعلم عنايتي به، وقال لغلامـه، إذا قضيت حاجته فاحمل إليَّ، قال: فأعرضوا علي الأعمال فاخترت ما أردت، ثم حملني الغلام إلى دار القاضي فأجلسني، وجاء القاضي فغير ثيابه، فلما حضرت عنـده خجلـت، فقـام إلي، وأكرمني.

وقال: أيُّها الشيخ ما ملكني أحد بمثل منتك، فقلت الله الله في أمري قد فعلت ما يجـب فيـه التَّلف، أو قطع اليد، فقال لا، والله إلا الكرامة، كيف رأيتني أهلاً لشفاعتك من دون أرباب المناصب، وجملتني عند الوزير بتلك الألفاظ، والبلاغة التي لم تخجلني فيها بلحنة، ولا بغيرها.

ثم قال الغلام، هات ما معك فأعطاني كاغدا فيه خمسون ديناراً، وقال استعن بها على حالك وإصلاح ترحك. إلى أنْ يهيأ شغلك، ثم قام فودعني، وودعته وانصرفت.

كان المهدي يقربُ رجلاً من بني أمية من ولد سعيد بن العاص، وكان بعض بطارقة الروم، قد عاث وكثر فساده على من يليه من أهل الثغر، فكتب المهدي إلى عماله في أسره وحمله إليه إن ظفروا بهن فاحتالوا، حتَّى أسروه وحملوه إليه، فجلس حافلاً، واحضر الأسير مكبلاً، وكـان الأموي جالساً قريباً من المهدي.

فأر د المهدي أنْ يكرمه، بأنْ يوليه قتلة البطريق، فقال: قم إليه يا أخا بني أمية واضرب عنقه، وعلى النطع سيف بمالي قاطع من سيوف الخلافة، فقام، وتناول السيف وضرب بـه عنـق البصريق ثلاث ضربات، ولم يُخط [١٦١] فيه خطاً.

فألقى السيف في النطع، وقال أُف لك، أما والله لو كان من سيوف الأحداد ما نَبَا، فغضـب المهدي، فوثب يقطان بن موسى، وتناول السيف واستأذن، وضرب به رأس البطريق فأزاله، ثم قال: يا أمير المؤمنين إن هذه سيوف الطاعة، لا تعمل إلا في أيدي أهلها، فُسـر المهـدي

وكأنه نشط من عقال، فقال أبو دلامة: [الخفيف]

أَيُّهَا الإِمَامُ سَيْفُكَ مَاضٍ   يَمِينُ الْوَلِيِّ غَيْرُ الكُهَامِ

فَإِذَا مَا نَبَا بِكَفٍّ عَلِمْنَا   أَنَّهَا كَفُّ مُبغِضٍ لِلإِمَامِ

قال أبو محمد بن حمدون، عاهدت الله تعالى، أنْ لا أعتقد مالاً من القمار، وأنه لا يقع في يدي منه شيء إلا ضيعته في ثمن شمع يحترق، أو نبيد يشرب، أو خدر مغنية، فلاعبت يوماً المعتضد بالنرد، فقمرته سبعين ألف درهم ونهض يصلي العصر قبل أنْ يؤمر بها، فجلست أفكر، وأندم كيف حَلفت.

وقلت كم عساي أشتري شمعاً ونبيذاً وخدر مغنية، فلم حَلفت، ولم بادرت؟، ولو لم أكن حلفت لاشتريت بها صيغة، وكانت اليمين بالطلاق، والمعتاق، وصدقة الملك، فلما أغرقت في الفكر، والمعتضد يراني، وأنا لا أشعر، فلم يسلم، قال لي فبماذا أنت؟ قلت في خير يا مولاي، قال بحياتي فصدقته الحال.

قال وعندك أني أريد أعطيك قمار سبعين ألف درهم، فقمت، وتصنعوا، قال نعم، قد صفوت قم، ولا تفكر في هدا الطمع، ثم مر يصلي، فلحقني غم شديد أشد من الأول، وقلت لم صدقته الحال، فلما فرغ من صلاته، قال يا أبا عبد الله، بحياتي أصدقني عن الفكر الثاني، فلم أجدْ بداً فصدقته.

فقال أما القمار، فقد فاتك لأني صفوت عليك، ولكني أهب لك سبعين ألف درهم من خالص مالي، فلا يكون إثم في دفعها، ولا عليك في أخذها، وتخرج من يمينك فتشتري بها ضيعة تستغلها، حلالاً، فأحضر المال، فقبلت يده، فأخذته واعتقدت به ضيعة جليلة، وعاهدت الله أنا، وهو أنْ لا نعود إلى قمار أبداً.

كان الوليد بن عبد الملك أعظم من بني أمية كبراً، فأراد الدخول مسجد رسول الله (ﷺ) والنظر إلى آثاره، فأخرج النَّاس، وهابوا سعيد بن المسيب أنْ يقولوا لَهُ شيئاً، وعلموا أنه لا يهاب، ولا يخرج، قال عمر بن عبد العزيز فبينما أجول مع الوليد، إذ بصر به من بعيد جالساً، وهو لا يعرفه.

فقال من ذلك الشيخ؟ قالوا شيخ الناس، وعابدهم، وعالمهم سعيد بن المسيب، أما إنه رأى أمير المؤمنين لنهض إليه، قال الوليد فنحن نذهب إليه فأتاه [١٦٢]، حتَّى وقف بين يديه، فو الله ما نهض، ولا حلّ حبوته، فقال الوليد كيف أنت يا شيخ؟، وكيف حالك؟

فقال: كما يحب أمير المؤمنين، ثم انصرف الوليد، وهو يقول، هذه بقايا النَّاس، فكان عمر بن عبد العزيز إذا تعذر عليه أمر من مُهم أمره قال إن ربّاً سخر الوليد، حتَّى مشى إلى سعيد بن المسيب وقام على رأسه، لقادر أنْ يسخر لي هذه الحاجة.

قيل لعدي بن حاتم أي الأشياء أثقل؟ قال تجربة الصديق، ومسألة اللئيم، ورد السائل، قيل لَهُ فأي الأشياء أوضح للرجال؟ قال: كثرة الكلام وإذاعة الأسرار، والثقة بكل واحد.

كان ملك من بني طسم يسمى عمليقاً[1]، وكان عاتياً بلغ من عتوه أنه أمر أنْ لا تزف امرأة في بني جديس إلى زوجها إلا بدأه بها، فبقي كذلك مدة، ثم إنّ امرأة من جديس أرادوا زفافها إلى زوجها، فأدخلت على الملك فاستحسنها وافترعها، ثم خلاها فخرجت إلى قومها في دمائها رافعة ثوبها عن عورتها، وهي تقول:[الطويل]

أيُصلحُ ما يأتي إلى فتياتكمْ ... وأنتمْ رجالٌ عددُ الرَّمْلِ
فَلَوْ أنَّنا كُنا رجالاً وكنْتُمُوا ... نساءً لَكُنّا لاَ نُقرُّ على الذُّلِ
فبعدُ البعلِ ليس فيه حميةٌ ... ويختالُ يمشّي مشية الرجلِ الفحلِ

فحميت من ذلك عشيرتها، وانتخت أقاربها من بني جديس، واغتالوا الملك فقتلوه بتحريضها.

مما قرئ على ابن دريد لبعض العرب: [الكامل]

يَلْقَى السيوفَ بوجهه، وبنحره ... ويقيمُ هامتهُ مقامَ المغفرِ
ويقولُ للطِّرقِ اصطبرْ لشَبا القنا ... فعفرتُ رُكنَ المجدِ إنْ لمْ يُعْفرِ
وإذا تأملَ شخصَ ضيفٍ مُقبلٍ ... مُتَسَربلاً سربالَ مَحلٍ أغْبَرِ
أوْمَى إلى الكرماءِ هذا طارقٌ ... نحرتني الأعْداءُ إنْ لمْ يَنحرِ

قال عطاء بن مسلم شهد رجل عند ابن ابي ليلي، وأنا عنده، فقال اكتبوا شهادته، ثم رفع رأسه فتأملته، فإذا شعره مصففاً على جبينه، قال: تصفف شعرك، ردوا شهادته، فقال: أصلحك الله، إن لي عذراً، قال: وما عذرك؟ قال بجبيني آثار، وأنا أواريها لقبح منظرها، فقال نعم، اكتبوا شهادته، ثم هم الرجل بالقيام فرأى في يده، وأظفاره اثر الحناء، فقال تخضب يدك بالحناء، ردوا شهادته، فقال [١٦٣] إنّ لي عذراً، قال: وما عذرك؟

قال لي أبٌ شيخ كبير فأنا اخضبه، قال نعم اكتبوا شهادته، ثم قام الرحل لينصرف، فرآه يجر

---

(١) انظر تفصيل أمر الملك العمليقي في كتب الأدب.

ثوبه، فقال تحر ثوبك، ردوا شهادته، فقال لي عذر، قال: وما عذرك؟ إنا ثلاثة إخـوة، وفي حالنا بعض الضعف، فقطعنا هذا القميص على قدر أوسطنا نتجمل بـه إذا خرجنـا، وأنـا أصغرهم، وأقصرهم، قال نعم اكتبوا شهادته.

قال الأصمعي: خرجت حَاجًّا فحال محمي محمر أعرابي. فشتمته وضربته فاحتملني، فلمـا وصلت البيت، إذا به متعلقاً بأستار الكعبة يقول: إلهي إنْ كنت غفرت فاغفر لمـن شـتمني وضربني فملت يا أعرابي، ضربناك وشتمناك، وتدعو لنا، قال فنظر إلي نظرة، ثم أنشأ يقـول:

[السريع]

لا يَغضــبُ الحــرُّ عَلَــى ســفلة ... والحــرُّ لا يُغضــبهُ النَّــذلُ

إذا لئــيمٌ ســـبَّني جهــدهُ ... أقــولُ زدني فلــي الفضـــلُ

قيل لأعرابي ممن أنت؟، فقال من قوم إذا عشقوا ماتوا، قيل، ومما ذاكَ؟ قال في نسائنا صباحة، وفي رجالنا عفَّة.

قال بعض الحكماء. أول العشق النظر، وأول الحريق الشرر، قيل لأعرابي صف النَّاس، وأوجز، فقال: النَّاس رجلان بخيل يجدُ، ولا يجود، وجواد يزيد، ولا يجد. فنظم المعنى محمود الوراق[1]:

[المنسرح]

والنَّــاس اثنــان فــي زَمَانــك دَا ... لَو تَلْتمسُ غَيْرَ هــذين رمتــالم تجــدْ

هَـــذَا بخيـــلٌ وعنـــدهُ سَـــعةٌ ... وذا جـــوادٌ بغـــير ذَات يَـــدِ

قال حميد بن وهب، كانت هند بنت عتبة عند الفاكه بن المغيرة المخزومي[2]، وكان من فتيان قريش، وكان لَهُ بيت للضيافة، تغشاه النَّاس بغير إذن، فخلا ذلك البيت يوماً، فاضطجع فيه الفاكه وزوجته وقت القائلة.

ثم خرج الفاكه لبعض حاجته، فأقبل رجل تغشاه، فولج البيت، فلما رأى المرأة ولى هارباً، فأبصره الفاكه حين خرج، فأقبل الفاكه فضربها برجله، من الذي كان عندك؟ فقالت: ما رأيت أحداً، ولا انتبهت، حتَّى انبهتني، فقال الحقي بأهلك، وأبيك، وتكلم النَّاس فيها، فقال أبوها: يا بنية إن النَّاس قد أكثروا [١٦٤].

فيك القول، فأبيني بناءك، فإن يك صادقاً، عليك دَسَسْتُ عليه من يقتله، فتنقطع القالة عنك،

---

(١) ديوان محمود الوراق، ص١٠٨ مع اختلاف في الرواية.

(٢) انظر خبرها في معظم كتب الأدب، والتاريخ كالعقد الفريد.

وإنْ يك كاذباً حاكمته إلى بعض كهان اليمن، فحلفت لَهُ بما كانوا يحلفون به في الجاهلية، إنه لكاذب عليها، فقال عتبة للفاكه، إنك رميت ابنتي بأمر عظيم، فحاكمني إلى بعض كهان اليمن، فخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف، وخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم، وخرجت هند ونسوة معها، فلما شارفوا البلاد.

وقالوا غداً نرد على الكاهن، تنكرت هند، وتغير وجهها، فقال أبوها إني أرى ما بك من تغير الحال، وما ذاك إلا لمكروه عندك. فهلا كان ذلك قبل أنْ تشهد النَّاس مسيرنا، فقالت، والله يا أباه ما لهذا أثر ولكن أنتم تأتوا بشر الخطى، ويصيب، ولا آمنه أنْ يسمني ميسماً[1] يكون علي وعليكم مسبته بين العرب، قال:إني أختبره قبل أنْ ينظر في أمرك، فصفر لفرسه، حتَّى أدلى، ثم أخذ حبة حنطة فأدخلها في إحليل الفرس، وأوكأ عليها يسير، فلما أصبحوا ودخلوا علي فأكرمهم ونحر لهم.

فلما تغدوا، قال لَهُ: عتبة، إنا قد جئناك في أمر، وإني قد خبأت لك خباءً أختبرك به، فانظر ما هو؟، فقال ثمرة في كمره قال احتاج إلى أبين من هذا قال حبة بُر في إحليل مهر قال: صدقت، فانظر في أمر هؤلاء النسوة، فجعل يدنو من إحداهن فيضرب كتفها، ويقول: انهضي، حتَّى دنا من هند فضرب كتفها وقال انهضي غير وسخاء، ولا زانية ولتلدنَّ ملكاً يقال لَهُ معاوية، فوثب زوجها الفاكه إليها فأخذ بيدها، فنثرت يدها من يده، وقالت: إليك، هو الله لأحرصُ أنْ لا يكون ذلك الولد منك، ولا يكون إلا من غيرك، فتزوجها أبو سفيان فجاءت منه بمعاوية.

قال الأصمعي قدم أعْرَابيٌّ البصرة بشيء كثير من المال، إبل وغنم وصوف، وأقط، فأقام بها، وصلح عليها جسمه، وأحل بالبادية، ثم إنَّه إشتاق إلى أهله وماله بظاهر العلج، فخرج يتنسم الأخبار، فلقيه رجل كان لَهُ به فعرفه، فقال الله أكبر، ألست فلاناً؟ قال بلى، قال ألست بي قال بلى، وبأهلك وبمالك؟

قال: الحمد لله، كم عهدك بأرضنا قال كذا وكذا يوماً [١٦٥] قال عهد قريب، كيف تركت ابي عثمان قال سيد الحي وزعيمه، ووليه وحميمه، قال الحمد لله، خير طيب أطاب الله خبرك، وكيف تركت أمه؟ أم عثمان؟ قال عميدة النساء إن كان للنساء عميدة:

ويشتاقها جاراتها فيزرنها ... ويقعدن عن أبياتهن فتعذر

---

(١) ميسماً: هو قطعة من الحديد توسم بها الإبل، وهو كناية عن لاشيء الثابت الذي لا يزول، اللسان: (وسم).

قال خير طيب أطاب الله خبرك، قد كانت لي دويرة بيلوق هناك كنت أنقطع إليها أحياناً فتجمع لي همتي، ويراجعني ذهني فكيف تركتها؟، فقال أعز الدُّويرة تسليني، قال نعم قال تركتها محروسة وبرجال الحي مأنوسة، إنها لمسلاة الأحزان وملتقى الجيران، قال الحمد لله خبر طيب أطاب الله خبرك، قال قد كنت اقتنيتُ نُويقة سميتها ضبعان، هل تعرف خبرها؟ قال نعم، إن أُسْتُشْفِيَتْ سَقَتْ، وإنْ أُسْتُنْسِتَتْ، وإلا فهي في الحي لبعض ولدائهم، وقد تمكنت لمكوثًا كثيراً منكراً، فقال خير طيب أطاب الله خبرك كان هناك لي كلب كنت به ضنيناً، وكنت أدعوه ريحان، هل لك به علم؟ قال نعم، يدعو الضيفان، ويذود السرحان، ويؤنس الجيران، ويحرس الأوطان، قال خير طيب أطال الله خبرك، فأين نزلت؟ قال: بعد ما تبوأت منزلاً فجع علينا قليلاً، فامتعنا بحديثك.

فحمله إلى منزله واحتفل في إكرامه وسقاه، فلما تمل مد رجله، فرأى رب مثواه بها أثراً، فقال ما هذا الأثر؟ قال إني وطئت على كلبك ريحان ميتاً، فعقرني ناب من أنيابه، إنا لله، أمات ريحان؟ قال نعم، قال كيف كان سبب موته؟

قال أكل من لحم نويقتك ضبعان فأكثر فمات. قال: ويحك أماتت ضبعان، قال نعم، قال خبر سيء أساء الله خبرك، كيف كان سبب موتها؟ قال كانت تنقل ماء لغير أم عثمان فنهشتها حية في مشافرها، فما أكل منها شيء إلا مات، قال، ويلك، أو ماتت أم عثمان؟ قال نعم، قال أماتك الله، ولا أحياك، وما كان سبب موتها؟ قال موت عثمان، قال: فحزنت عليه فانصدعت حرارتها فماتت، قال: ويلك أمات ابني قال نعم قال أماتك الله، ولا أحياك، وأماتك شر ميتة، وكيف مات؟

قال وقعت عليه الدويرة قال: أوقعك الله فيما يسؤك يا ابن الفاعلة، ووثب عليه ليضربه، فولى هارباً، وهو في أثره فحجز النَّاس بينهما.

قام رجل إلى الحَجَّاج بن يوسف، فقال أيُّها الأمير إنَّ أبي مات، وأمي حامل بي، وماتت أمي، وأنا أرضع، وكفلتني الرجال، حتَّى بلغ الله بي ما ترى، وإنَّ ضيعة لي تقوتني غلبني عليها الغالب، والأمين أحق من رد الله ظلامة المظلوم ورد يتظلم الظالم. [١٦٦]

فقال الحَجَّاج أيموت أبوك، وأنت حمل أمك، وأنت رضيع ترضع وكفلتك الرجال، وهذا بيانك عن نفسك، وأخبارك غرامك هو والله أدب الله لا أدب النَّاس، يا غلام اصرف المؤدبين عن محمد بن الحَجَّاج.

قيل إنه حضر يحيى بن أكثم باب المأمون، وجلس ليستأذن، فخرج خادم ظريف مفرط في

الصباحة، والحسن، كامل الأدب، دمث الأخلاق من مقصورة يريد أخرى، فلما رآه القاضي عجب به وقال ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].

فقال الخادم، ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنْ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾ [سبأ: ٣٢].

فأجابه القاضي: ﴿نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنْ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ١١٣] .

فقال الخادم: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

فقال القاضي: ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [ق: ٢٣].

فقال الخادم: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف. ٤١].

فقال القاضي: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٣٨].

فقال الخادم: ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [النمل: ٧٢]

وكان يسمعهم شيخ مطبوع، قال ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨].

فرفع صاحب الخبر ما جرى للمأمون، فوهب الخادم ليحيى بن أكثم، وأحضر الشيخ وقال: ما قلت، فقال سمعت قوماً يتشارطون بالقرآن فأجبتهم بما حضرني فوهب لَهُ شيئاً وصرفه.

يروى عن النبي (ﷺ) أنه قال لعائشة: «تنظرين إلى امرأة قد خطبتها»[1]

فمضت، فلما نظرتها وجاءت، قالت ما رأيت طائلاً، فقال ﷺ: «**لقد رأيت طائلاً، ورأيت طائلاً، ورأيت بجدها خالاً اقشعرت لَهُ ولحسنه كل شعرة في جسدك**»[2].

فقالت يا رسول الله ما دونك ستر، ولا سر.

أخبرنا أبو طالب عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن يوسف، قال قرئ علي أبي الحسين محمد بن الأبنوسي الصيرفي في حانوته بباب درب عون في الجانب الغربي ببغداد عشية يوم الأربعاء ثاني عشر جمادى الأولى في سنة خمس وخمسين، وأربعمائة، ونحن حضور نستمع، قيل أخبركم القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا يحيى بن حميد الحريري أجازه بخطه في شهر ربيع الأول من سنة سبع وثمانين وثلاثمائة. قال حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن يسار الأنباري.

قال حدثنا أبو يعقوب بن أبي حسان، قال حدثنا هشام بن عمار، قال حدثنا عيسى بن يونس بن أبي إسحاق الشعبي، قال حدثني هشام بن عروة عن عبد الله بن عروة [١٦٧] عن عائشة

---

(١) لم يرد الحديث بهذه الصيغة.

(٢) لم يرد الحديث بهذه الصيغة.

(ﷺ) قال: اجتمعت أربعة نساء من العرب، فتعاهدن، وتعاقدن أنْ لا يكتمن من أمر أزواجهن شيئاً.

فقالت الأولى: زوجي لحم جمل، غث على رأس جبل، وعر لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقل، وقالت: الثانية: زوجي لا أَبُثُّ خبره إني أخاف أنْ لا أذره أنْ أذكر عجره وبجره، وقالت: الثالثة: زوجي العَشَنَّق إن نطق أطلق، وإنْ سكت أُعلق، وقالت: الرابعة: زوجي كَليل تُهَامة، لا حَرٌّ، ولا قَرٌّ، ولا مخافة، ولا سآمة[1].

وحسبنا الله ونعم الوكيل، نجز بحمد الله وعونه وصلواته على خير

خلقه محمد وآله وسلم في الثالث من شهر جمادي

الآخرة لسنة عشر ومائة على يد أفقر

عباد الله سبحانه، وتعالى، وأحوجهم إلى عفوه وغفرانه

محمد صادق بن عبد السلام بن أحمد بن

محمد بن عبد الرحمن بن رضي الدين بن

عبد السلام البيروني غفر الله

تعالى لهم وعفى عنهم بمنه

وكرمه وهدايته

وحله

(١) ورد الخبر مطولاً في بلاغات النساء لابن طيفور، وفي معظم كتب المعاجم والأحاديث النبوية، وقد فصل أمره في كتاب بلاغات النساء تحقيق عارف عبد الغني.

عن جابر (ﷺ) قال: كان النبي (ﷺ) يُعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «**إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم يقول: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر، ولا أقدر، وتعلم، ولا أعلم، وأنت علام الغيوب.**

اللهم إنْ كنت تعلم أنَّ هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي، وعاقبة أمري، أو قال في عاجل أمري، وآجله فقدره لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإنْ تعلم أنَّ هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال وعاجل أمري وآجله، فاصرفه عني، واصرفني عنه، وقدر لي الخير حَيْثُ كان، ثم أرضني به، قال، ويسمى حاجته»[1]، رواه البخاري. [١٦٨]

عن أبي هريرة (ﷺ) عن النبي (ﷺ) أنه قال يوماً لأصحابه: «**أيعجز أحدكم أنْ يتخذ عند الله عهداً**».

قلنا يا رسول الله، وما العهد؟ قال: يقول أحدكم «**اللهم فاطر السماوات، والأرض عالم الغيب، والشهادة، الرحمان الرحيم، اللهم إني أعهد إليك في هذه الحياة الدُّنْيا، أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، اللهم لا تكلني إلى نفسي فأعجز، فإن نفسي تقربني من السيئة، وتباعدني من الخير، وإني لا أثق إلا برحمتك، فاجعل لي عندك عهداً تؤديه إليَّ يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد**».

فمن قالها كتبت في رق أبيض، ثم يطبع عليها بخاتم من مسك، ثم توضع تحت العرش. فإذا كان يوم القيامة، قال الله تعالى: **أنا أحق من أوفى بالعهد، إنَّ عبدي عهد إليَّ في دار الدُّنْيا وإني موف بعهده**[2].

ثم يغفر لَهُ بذلك العهد، وهو الغفور الرحيم (نقل من مختصر التبصرة).

(١) ورد الحديث في: صحيح البخاري ٢/ ٧٠، ٨/ ١٠١، ٩/ ١٤٤، سنن الترمذي ٤٠٨، سنن أبي داود ١٥٣٨، سنن النسائي (المجتبى) ٦/ ٨٠، هـ ١٣٨٣، السنن الكبرى للبيهقي ٣/ ٥٢، ٥/ ٢٤٩، كنز العمال للمتقي الهندي ٢١٥٣٠، مشكاة المصابيح للتبريزي ١٣٢٣، المغني عن حمل الأسفار للعراقي ١/ ٢٠٧، الأدب المفرد للبخاري ٧٠٣، الدر المنثور للسيوطي ٥/ ١٣٥، تفسير ابن كثير ٣/ ٢٢، الكلم الطيب لابن تيمية ١١٥، الأسماء ، والصفات للبيهقي ١١٩، ١٢٤.

(٢) حديث قدسي

فائدة وحديث

عن ابن عباس: إنّ من كان لَهُ حاجة إلى الله تعالى، فليقم في موضع لا يراه أحـــد، ويتوضـــأ وضوء سابق، ويصلى أربع ركعات، يقرأ في الأولى الفاتحة مرة، والإخلاص عشر مرات، وفي الثانية الفاتحة مرة، والإخلاص عشرين مرة، وفي الثالثة الفاتحة مرة، والإخلاص ثلاثين مـــرة، وفي الرابعة الفاتحة مرة، والإخلاص أربعين مرة، فإذا فرغ من صلاته، يقرأ الإخلاص خمسين مرة، ويصلي على النبي (ﷺ) سبعين مرة، ويقول لا حول، ولا قوة إلا بالله العلـــي العظـــيم سبعين مرة[١٦٩].



فهرس الآيات القرآنية



فهرس الأحاديث النبوية



فهرس القوافي

القافية	الصدر	اسم الشاعر	البحر	عدد	الصفحة
اللَّوَى	مَنْ بالَ مِنَ	شاعر	-	٢	١٢
بلا	وقَشّه قَدْ	أبو حاتم	الكامل	٢	٣٧
اقْتِصَابَهَا	وَلي عِدَّةٌ قُدُرات	شاعر	الطويل	٣	٤٧
العَمِى	يَقولونَ مالَكَ	أبو الفتح البستي	المتقارب	٢	٦٤
سواءُ	إذا كنتَ ذا مال	شاعر	الطويل	٤	٦٦
نَما	ارْفَعْ ضَعيفَكَ	شاعر	البسيط	٢	٦٩
تَشَاءُ	إذَا لَمْ تَخْشَ	شاعر	الوافر	٢	٧٥
الحَيَاءُ	وَرُبَّ قَبيحة مَا	شاعر	الوافر	٢	٧٥
النِّسَاءِ	عينُ بكّي لِلْقَصْرِ	شاعر	الخفيف	٥	٨٩
للدَّواءِ	تَنوقُ في الهَدِيَّة	شاعر	الوافر	٣	١٠٣
عجماءُ	لا تَشْتُمَنَّ بأمريءِ	شاعر	البسيط	٣	١٢٢
الظَّلْمَاءُ	إنّما مُصْعَبٌ شِهابٌ	ابن قيس الرقيات	الخفيف	٣	١٣٦
السَّماءُ	إذا ما ماتَ حارجةُ	شاعر	الوافر	٢	١٤٥
الهَجْرا	وَمُهَفهفٌ لمّا	شاعر	الكامل	١	٨٤
نأقْتَابِهَا	عَجِبْتُ للحِنِّ	شاعر	السريع	٣	١٤
بِكَاذِبِ	أتاني بحِنٌّ تَعَدّ	شاعر	الطويل	٧	١٥
السَّلْبِ	إنَّ الأسودَ أسودُ	شاعر	البسيط	١	١٩
وَتَحْجُبُ	عَصَا حُكْمِ	يحيى بن نوفل	الطويل	٣	٢٢
المَعِيبِ	وَلَكِنَّ الكريمَ	إبراهيم الصولي	الوافر	٢	٢٣
البابُ	أَلَيْتُ أحلسُ	شاعر	البسيط	٢	٢٨
أَبِ	غُلامٌ أتاهُ اللومُ	شاعر	الطويل	١	٣٠

فهرس الأعلام والأماكن والألقاب والوظائف والمصطلحات الحضارية



سيصدر عن مؤسستنا قريباً كتاب:

رياض زهر النقب في معرفة قبائل العرب

وهو عن مخطوط نادر مميز وحيد وبخط المؤلف

وكتاب:

الصحاح في أخبار السادة الرفاعية الأطهار